الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول

كلامٌ في السياسية

محمَّد حسنين هيكل

المقدمة

العربى والدولى *المصرية للنشر

، وكلها عن الزمن 2002وشتاء 2001هذه فصول كتبتها ما بين خريف ..
الأمريكي، بمعنى نشأة الولايات المتحدة الأمريكية وصعودها الاقتصادي الباهر
أواخر القرن التاسع عشر ثم عبورها للمحيط عائدة إلى العالم القديم، تفرض على
الدنيا زمانها وفيه تقدمها وقوتها وهيمنتها.
أهم "والتر ليبمان"وكذلك فإن القرن العشرين أصبح قرناً أمريكياً مصداقاً لمقولة
كاتب ومحلل سياسي عرفته الولايات المتحدة الأمريكية.

والبشرية تعيش اليوم بدايات قرن هو الحادي والعشرون بعد ميلاد المسيح والكل
هل يكون القرن الحادي والعشرين أمريكياً أيضاً؟ :يسأل نفسه
ومجمل الشواهد على الساحة الدولية الآن تقول بذلك، لكن عاصفة التقدم الإنساني
ولا تسمح بمدى "جو المستقبل"وقوة اندفاعها الهائلة لا تسمح لأحد بالتنبؤ عن
للرؤية يتجاوز بالسنين عدد أصابع يد واحد، على ذلك فالأغلب ـ وتلك ليست
مجازفة بالظن تتجاوز وسائل الرصد ـ فإن الثلث الأول من القرن الحادي والعشرين
أمريكي أيضاً، ومعنى ذلك أن الإمبراطورية الأمريكية شبه يقين في المستقبل حتى
.خط الأفق المرئي وبعده أيضاً
حتى على "الزمن الأمريكي"وهنا يصبح مهماً أن يحاول كل من يقدر ـ على قراءة
.سطح السحب العابرة، أو فوق كتل الضباب المتراكمة
!وتلك قراءة بأبجدية المجهول على سماء غائمة

محمد حسنين هيكل

إعادة اكتشاف أمريكا

:- أمريكا عند النظرة الأولى عبر المحيط1

هذه هي المرة التاسعة والعشرون التي أعبرُ فيها المحيط قاصداً العالم الجديد، وهو لم يعُد الآن جديداً، وإن ظلّ - بعد ستَّة قرون - في حاجة إلى الاكتشاف أو إعادة الاكتشاف حتى يمكن فهمه، لأن أمريكا الآن لم تعد فقط تلك القارة المليئة بالفرص، أو المعبَّأة بالقوة، أو المصممة على مشروع يرث الإمبراطوريات القديمة - وإنما لأن الإمبراطورية الأمريكية أصبحت ظاهرة غير مسبوقة في قصة الإنسانية، فهي حاضرة في كل قارة من قارات الدنيا - ضاغطة على كل إقليم - محشورة في كل بلد - مندسَّة في كل بيت - وتلك أحوال تدعو بالتأكيد إلى القلق لأن العالم لم يعرف من قبل وقد عرف العالم .، إلى هذا الحد في حية ومستقبل غيرها من الدول"متداخلة"دولة الأمريكي في حياة البشرية مع بداية القرن "لكن التداخل "متدخِّلة"من قبل دولا - "القلق"- تجربة طارئة تستوجب "الألفية الثالثة الميلادية"الواحد والعشرين وعاجلة "ضرورية"وتستدعي التنبه - في محاولة للفهم هي الآن!.

....

ومن المصادفات أن هذا العبور التاسع والعشرين للمحيط إلى أمريكا توافق بالنسبة لي مع موعد العبور الأول، وبفارق خمسين سنة بالضبط - فقد كانت أول سفرة !- نصف قرن بالضبط 2001- والآن 1951سنة "العالم الجديد"قصدت فيها وفي ذلك الزمن قبل خمسين سنة - بدت لي الولايات المتحدة الأمريكية قوة طالعة في أعقاب الحرب العالمية الثانية، توشك أن تدخل الساحة الدولية لاعباً كبيراً - لكنه لم يخطر ببالي في ذلك الوقت أن الولايات المتحدة - بعد خمسين سنة - سوف تصبح اللاعب الرئيسي - وربما الوحيد حتى إشعار لاحق - وأن تأثيرها على الدنيا، وعلى المنطقة التي تعنيني أكثر من غيرها في هذه الدنيا، سوف يبلغ هذا المدى الذي

.نراه، ونحس به ، ونتأثر منه إلى هذه الدرجة
وعندما قصدت أول مرة إلى أمريكا كانت الرحلة من القاهرة إلى نيويورك تستغرق ستاً وثلاثين ساعة في الجو، من القاهرة إلى أثينا محطة ـ ومن أثينا إلى روما في "جاندر"محطة ثانية ـ ومن روما إلى لندن محطة ثالثة ـ ومن لندن إلى مطار في أيسلندا محطة خامسة ـ "ريكيجافيك"ألى "جاندر"إيرلندا محطة رابعة ـ ومن ، ومنها على "جرينلاند"ينزلق الخط الملاحي بالطائرة إلى "ريكيجافيك"ومن وحتى نيويورك ـ وكذلك كانت هناك دائماً ضرورة لقضاء ليلة "ماينز"شواطئ .مبيت في منتصف الطريق، والغالب في باريس أو لندن
أي أنها ـ بالطيران، ومحطات الوقوف، وليلة المبيت ـ ثلاثة أيام إلى نيويورك ـ ومع ذلك بدت تلك أيامها معجزة من المعجزات، قياساً على ما كان قبلا، وما ظل حتى الحرب العالمية الثانية، حين كان السفر بالبواخر أربعة أسابيع ـ شهر كامل على أقل !تقدير ـ من الإسكندرية إلى نيويورك
وربما أن طول المسافات على هذا النحو ـ حتى بالطائرة ثلاثة أيام ـ كان يوحي بأن أمريكا بعيدة، لكن الزمن راح يتلاشى بإيقاع تضطرب له الحواس، فقد عبرت في وقت لا يزيد على "الكونكورد"المحيط في أوائل الثمانينات خمس مرات بطائرة ثلاثة ساعات واثنتي عشرة دقيقة كل مرة، مخترقاً خمس مناطق زمنية في هذه قانعاً بالنفاثات "الكونكورد"الساعات الثلاث وبضع دقائق، ثم توقَّفتُ عن استعمال ساعة أو أكثر قليلاً لكل منطقة زمنية، وهو :العادية تعبر المحيط في ست ساعات !عبء وجدته أخف على التوازن البدني والنفسي
وكنت منذ أواخر الثمانينات وحتى أواخر التسعينات قد امتنعت عن السفر إلى أمريكا، لأن زيارتها أصبحت بالنسبة لي ـ على الأقل ـ عبئاً على الأعصاب تتزايد وفي وقت من الأوقات كان .وطأته، فضلاً عن أنه لم يعد هناك إلحاح على ضرورته أي مصري أو عربي مهتم بالسياسة يذهب إلى واشنطن ووراءه سند سياسي قوي ـ والأساطير حقائق سياسية إذا قبلها)حتى ولو كان السند نوعاً من الأساطير ـ وكذلك (المعنيون بها، ومع ذلك فإن فكرة وحركة القومية العربية لم تكن أسطورة فقد كان في مقدور أي مهتم بالسياسة ـ مصرياً كان أو عربياً ـ أن يقصد إلى نيويورك أو واشنطن معززاً بنوع من المصداقية فيما يقول به أو يحاور أو حتى لكن الصورة راحت تتغير بما جرى للعالم العربي وفيه، والنتيجة أن .يتفاوض عليه وكان المزعج .الأوضاع العربية في الولايات المتحدة أصبحت مكشوفة ـ بل وعارية أن السياسة العربية نفسها هي التي تكفّلت أولاً بنَزع سلاحها، ثم تطوعت ثانياً بنَزع ملابسها ـ ثم إنها ـ ثالثاً فرطت في ثقتها بنفسها وما يلازم هذه الثقة من عزة

.الكبرياء
وهكذا أصبحت أجد عبور المحيط في ثلاثة أيام أو ثلاث ساعات عبئاً معنوياً ونفسياً
سفير "فرانك ويزنر"ورغم أن .وتوقفت عن السفر إلى أمريكا .لا حاجة لي به
الولايات المتحدة الأسبق في مصر لم يكف عن تذكيري بين وقت وآخر أن
ـ فقد ظللت لأكثر من عشر "الولايات المتحدة أكبر وأخطر من أن يقاطعها أحد"
!سنوات مكتفياً بالشاطئ الشرقي للمحيط الأطلسي ـ لا أفكر في غربه
ثم كان أن وجدت نفسي أخيراً ـ ولأسباب طارئة ـ عابراً للمحيط ثلاث مرات متوالية،
بأن "فرانك ويزنر"عائداً مرة أخرى وأخرى وأخرى إلى أمريكا مسلِّماً مع
."الولايات المتحدة أكبر وأخطر من أن يقاطعها أحد"

****

وهذه المرة الأخيرة ـ وهي العبور التاسع والعشرون إلى أمريكا ـ خطر ببالي أن ذلك
البلد الذي لا يستطيع ـ لحسن الحظ، أو لسوء الحظ ـ أن يقاطعه أحد يحتاج إلى
.1951استكشاف جديد بعد مرور خمسين سنة على أول عبور إليه سنة

....

والشاهد أن إعادة استكشاف الأشياء والأفكار والظروف ـ وحتى الأمزجة ـ عملية]
ضرورية لا بد أن يقوم بها الناس ما بين الوقت والآخر ـ نوعاً من الحساب
والمراجعة والتثبت بالحذف والإضافة حيال أزمنة متغيرة ـ وإلا فإن هؤلاء قد
يتنبَّهون ذات يوم وإذا الحقائق قد غافلَتْهم وسافرت إلى المستقبل، وتركتهم حيث
[.بما لم تعد بعده زيادة لمستزيد "تيقنوا"و "أدركوا"توقَّفوا بظن ـ أو وهم ـ أنهم

....

وربما اعترفت أنني في ذلك العبور الأول للمحيط ـ السفرة الأولى للولايات المتحدة
ـ لم أرتِّب نفسي بما فيه الكفاية لإعادة اكتشاف العالم 1951الأمريكية ـ سنة
!الجديد

- وعلى نحو ما فقد تأثرتُ بالصورة الشائعة وقتها عن الولايات المتحدة الأمريكية، وانطباعها أن أمريكا بلد فادح الغنى، وهو غنى مفاجئ لم تروضه ثقافة متأصلة، ونتيجة لذلك فإن هذا البلد قوة هائلة لكنها ساذجة ـ لم تصل إليها خبرة وحكمة ـ "هوليوود"وكذلك فهو بلد سهل وبلا عقد كما تعبِّر عنه أفلام .القارات القديمة "كلارك جيبل"على عهد براءتها الأولى، فهم جميعاً رجال على رسم النجوم أمثال "جريتا جاربو"، وهن نساء على رسم "جاري كوبر"و "روبرت تيلور"و (صبي مرح) "ميكي روني"، وأما الأطفال فكلهم "بيتي دافيز"و "نورما شيرر"و .(طفلة جميلة) (شيرلي تمبل)ـ أو

وبرغم هذه الصورة البرَّاقة فقد كان هناك كلام كثير خصوصاً في أوروبا مؤداه أن المخفي يختلف عن المعلن، وربما من هنا أنني تلك السفرة الأولى إلى الولايات المتحدة ـ قبل نصف قرن ـ وضعت في حقيبتي عدة مراجع لا بد أنها كانت تشير إلى .شكوك ساورتني عن العلاقة بين المخفي والمعلن في الشأن الأمريكي

وأتذكر أن المرجع الرئيسي الذي رحتُ أطالع فيه طول سفرتي الأولى عبر المحيط ـ وكان عنوانه "دوجلاس ريد"كتابٌ ذاع شأنه وقتها للكاتب الإنجليزي الشهير وما زلت أذكر فصل البداية في الكتاب، .far and Wide "بعيداً وواسعاً" كل الأمريكيين يجرون أو يهرولون، واستنتاجه "من أن "ريد"وملخصه ما لاحظه أن بعضهم يحاول الهرب من ماض يخاف أن يلحقه ـ وبعضهم الآخر يحاول الإمساك "!بفرصة يخاف أن لا يلحقها

آخر "وعندما أراجع ما نشرته عن تلك السفرة الأولى إلى أمريكا ـ في مجلة ـ وكنت أرأس تحريرها في ذلك الوقت ـ فإني أستطيع الآن أن أتمثل الصورة "ساعة :التي رأيت عليها أمريكا وقتئذ

- كتبت تحقيقاً عن الرأسمالية الكبيرة التي تحكم أمريكا، تكرر فيه استشهادي وكان ذلك كتاباً أوصاني بقراءته الدكتور ."ستين عائلة تحكم أمريكا"بكتاب "فوزي"وقد أصبح الدكتور "مندوب مصر في مجلس الأمن "محمود فوزي" ."فيما بعد وزيراً للخارجية، ورئيساً للوزراء، ونائباً لرئيس الجمهورية
- ضد السود في أمريكا، وقد بنيته على "التمييز العنصري"وتحقيقاً ثانياً عن نيو "حتى عاصمتها "لويزيانا"زيارة قمت بها إلى الجنوب الأمريكي، وإلى ولاية ."أورليانز
- ، وكان موضوعه ذلك "الجريمة المنظمة في أمريكا"ثم تحقيقاً ثالثاً وأخيراً عن في الاقتصادي والمال :في الحياة الأمريكية "المافيا"الدور الذي تقوم به عصابات ـ وفي السياسة بما فيها انتخابات الرئاسة والكونجرس بمجلسيه ـ وحتى في ."هوليوود"مجالات الفنون بما فيها عاصمة السينما في

ومع أن تلك كانت ـ وما زالت ـ عناصر مهمة في الحياة الأمريكية، فإنني فيما بعد أدركت أنها جزء من الحقيقة الأمريكية، وليست كلها، وأن التركيز عليها وحدها ـ !في تلك السفرة الأولى إلى أمريكا ـ كان قصوراً ـ لعل بعضه جموح شباب

***

وربما أن جزءاً من هذا الجموح في ذلك الوقت ـ يرجع في بعض منه إلى تأثير ، وأقصد الدكتور "مرشد ومعلِّم"صديق كبير كان بالنسبة لي أيامها مزيجاً من ، وهو واحد من أهمَّ العقول المصرية المفكرة في العشرينات "محمود عزمي"

والثلاثينات من ذلك القرن العشرين، وكان رائداً من رواد الكتابة الصحفية المتعمقة
وكان منذ عاد من بعثته إلى .في قضايا الشرعية والديمقراطية والتجديد
ذلك)لتدريس القانون في الجامعة المصرية الوليدة (في باريس) "السوربون"
ـ قد انجذب إلى الحياة العامة، وشارك في الحوار النشيط الذي دار طوال (الوقت
.وغيرها ..العشرينات حول الخلافة، والدستور، وحقوق المرأة
أواخر الأربعينات، وأصبحت مدعواً "محمود عزمي"وكنت قد تعرّفت على الدكتور
كل يوم خميس إذا كنت في مصر إلى بيته ـ في حدائق القبة ـ حيث كان يعيش مع
:وكان بيتهما حافلاً بثلاثة مواضع للجمال قريبة إلى العقل والقلب .زوجته الروسية
كتب التراث العالمي ـ والموسيقى الكلاسيكية ـ وتلك الساعات المليئة بالتأمل
.والسكينة أمام مدفأة تتحاور فيها ألسنة النار في ليالي الشتاء الباردة
في اليوم التالي لوصولي إلى نيويورك "محمود عزمي"ثم كان أن لقيت الدكتور
وهو وقتها عضو في الوفد المصري لدى الأمم المتحدة ـ ثم وجدته (1951سنة)
كذلك عرفت منه ثم "ناقداً إلى درجة النقمة على أمريكا وكل ما فيها، والسبب
أنه رغم عضويته في الوفد المصري إلى الأمم المتحدة ـ "فَهَمت أكثر فيما بعد
لأنها روسية ـ شيوعية ـ "رفضت السلطات الأمريكية طلب تأشيرة دخول لزوجته
الشهير ـ الذي نسبت إليه "مكارثي"ـ سطوة السناتور 1951وكانت تلك ـ سنة
، وهي اتهام ومطاردة كل شبهة في تحرر أو يسار، واعتبارها "المكارثية"فترة
."انتماء للشيوعية يستوجب البتر والتطهير
شيوعية ـ بل على "يدلّل زوجته "عزمي"كما كان الدكتور " "بوشكا"ولم تكن
العكس فقد كانت في الواقع روسية بيضاء من أسرة هاجرت إلى باريس بعد
."السوربون"، والتقت بزوجها وهي تدرس القانون ـ مثله ـ في "الثورة البلشفية"
وحتى أيام ابنه الملك "فؤاد"والغريب أن القصر الملكي ـ من أيام الملك "
وجد سقفاً "عزمي"شيوعية ـ وكذلك فإن الدكتور "بوشكا"ـ كان يعتبر "فاروق"
."على فرصه في الحياة السياسية المصرية لم يستطع تجاوزه
وكذلك قصور الشرق "السائدة والحاكمة في أمريكا وقتها "المكارثية"لكن
ـ فقد كانت الواحدة "بلشفية"روسية أو "بوشكا"لم تفرق بين أن تكون "الملكية
.موصولة بالأخرى زمن الاتحاد السوفيتي
يسكن فندق "محمود عزمي"وعند وصولي إلى نيويورك عرفت أن الدكتور
وفي لقائنا .واتصلت به، والتقينا ."سنترال بارك"المطل على "الباربازون بلازا"
الشهير، وطوال الطريق "التيمس"مشينا من فندقه في الشارع السابع إلى ميدان
!ساخطاً على كل ما يرى "عزمي"كان الدكتور

توقف أمام "محمود عزمي"وأتذكر عند وصولنا إلى الميدان الشهير أن الدكتور
أن واجهة المحل وهي تعرض العشرات من "محل لربطات العنق وقال ما مؤدّاه
ربطات العنق صورة ناطقة بالذوق الأمريكي ـ في تعبيره المباشر عن حال الثقافة
."الأمريكية
وفي ذلك الوقت كانت ربطات العنق الأمريكية صاخبة في الألوان والأشكال والرسوم
وفي تلك الوقفة أمام محل .إلى درجة تثير الاندهاش، وما هو أكثر منه أحياناً
يشير إلى ربطة عنق "عزمي"كان الدكتور "التيمس"ربطات العنق في ميدان
بالذات صفراء اللون، في وسطها رسم عين سوداء فقأها دبُّوس حاد فاسال بطولها
:ثم مضى يقول بمزيج من السخرية والاشمئزاز .نقطاً حمراء كأنها قطرات دم
تفضّل يا سيدي ـ هذه هي القيم الجمالية للحضارة الجديدة التي يتعين علينا أن "
ها الله ها " :بلهجته المشهورة وقتها "عزمي"ثم يضيف الدكتور ."نتعامل معها
!"الله يا سيدي على الحضارة الجديدة
***
كان له تأثير من "محمود عزمي"ومن الواضح لي ـ بعد زمن طويل ـ أن الدكتور
نوع ما على نظرتي إلى الولايات المتحدة ـ ذلك أنني بعد أسبوع في نيويورك قصدت
، وكان من حظى "للسيارات"لرؤية تلك القلعة الصناعية الكبرى "ديترويْت"إلى
بتوصية من الوفد المصري الدائم إلى الأمم المتحدة ـ أنني وجدت نفسي ضيفاً على
، وهو وقتها رئيس مجلس إدارة شركة "الثاني" "هنري فورد"مائدة غداء مع
.ويومها كنا خمسة ضيوف على مائدته من جنسيات مختلفة .للسيارات "فورد"
في "عزمي"خطاباً إلى الدكتور "ديترويت"ومساء نفس اليوم كتبت من
:قائلاً له "الثاني" "هنري فورد"أصف له وقائع الغداء مع "نيويورك
أنت في نيويورك تشكو مما تراه حولك من تعبيرات الثقافة الأمريكية ـ فما بالك "
"ديترويت"بما هو موجود هنا في الداخل الأمريكي وما عشته بنفسي اليوم في
."هنري فورد"على مائدة
تصور ثلاث ملاحظات قالها الرجل في طرف نصف ساعة ـ وتأمل معانيها
:"!الحضارية"
أظن أننا " :جلسنا مع الرجل بضع دقائق قبل الغداء، ثم دعانا إلى المائدة بقوله ـ
!"في حاجة إلى التزود بالوقود
ساخناً جداً، وأراد مضيفنا أن "كونسوميه"وكان الطبق الأول على المائدة حساء -
من وعاء في "فورد"يشرب بسرعة، وكان لا بد من تبريد الحساء، وهكذا أخذ
وراح ."هذا أحسن" :منتصف المائدة قطعة ثلج وضعها في طبق الحساء قائلاً

.يشرب
وحين فرغنا من الغداء والقهوة، وحان وقت انصرافنا، أشار لنا أن الحمام موجود - إذا رأى أحدنا أن يغسل يديه أو أراد شيئاً آخر، لكن إشارته إلى الحمام وردت "!إن عادم الطاقة لا بد أن يجد لنفسه مخرجاً" :لأنه قال لنا "جلف"بأسلوب تصور كل هذا الفساد في الذوق " :في نفس الخطاب "عزمي"ثم قلت للدكتور !"والتعبير في نصف ساعة
**
.هكذا كانت نظرتي الأولى على الولايات المتحدة الأمريكية
وأحسب - بأثر رجعي - أنها كانت نظرة مشوبة إما بنوع من العجلة سارعت إلى اتخاذ موقف دون أن يكون لديها ما يكفي من المعرفة - أو أنها كانت منحازة مبكراً لكنه في تلك الأيام كان يطمئنني أن شعوراً .متأثرة في ذلك بدوافع غير موضوعية من الحساسية إزاء الأمريكان يتسع - حتى في أوروبا - في أعقاب الحرب العالمية إن العيب في "وكان في إنجلترا على سبيل المثال تعبير ذائع يقول .الثانية أن لديهم أكثر من اللازم من الطعام - وأكثر من اللازم في الملبس - ..الأمريكان أي في إنجلترا، " "وأكثر من اللازم في الجنس - وأكثر من اللازم في وجودهم هنا ."وفي أوروبا بعموم
وكان ذلك يقال في إنجلترا وفي أوروبا، وكان الرد الأمريكي عليه أنه الحقد والحسد لأن أوروبا التي ظنت نفسها - بضرائب الدم وتكاليف الدمار - صانعة النصر في الحرب العالمية الثانية - عرَفت بعد انتهاء المعارك أن الموارد الأمريكية هي صانعة النصر الحقيقي، ثم إن الولايات المتحدة خرجت من وسط العاصفة مالكة لأهم ، وثلاثة أرباع "فورث نوكس"نصف ذهبه في خزائنها دخل قلعة :ثروات العالم بترولة امتياز تمسك عقوده في يدها، ومائة في المائة من قوته النووية في .ترسانتها
.وكذلك فهو الحقد والحسد من عالم قديم - نحو عالم جديد
ولم تكن أكثر المواقع حساسية تجاه الأمريكان أنهم الأغنى، أو الأقوى، أو الأوفر "هنا" غذاء وكساء - وإنما كان موضع الوجع الحقيقي أن تواجدهم وظهورهم !- بدا وجوداً جاء ليقيم ويبقى "في أوروبا خصوصاً"
وهنا كان الأمر يختلف هذه المرة في المجيء الأمريكي الأول إلى أوروبا أثناء .الحرب العالمية الأولى
فأمريكا التي شاركت في تلك الحرب - وادعت أيضاً أن مواردها صنعت النصر - لم تلبث أن سحبت قواتها عبر المحيط من حيث أتت، ولعله إحساسها أن

ما زالت متماسكة بما فيه "بريطانيا وفرنسا"الإمبراطوريات الأوروبية التقليدية
!الكفاية ـ وبالتالي فإزاحتها صعبة ـ وإرثها مؤجلاً بعد
وأما هذه المرة، بعد الحرب العالمية الثانية ـ فإن القوات الأمريكية التي شاركت في الحرب لم تعد من حيث أتت، بل بقيت في أوروبا، وكانت الإشارات واضحة، وأوَّلها أن أمريكا أصبحت على يقين من أن الإمبراطوريات الأوروبية التقليدية لم تعد
.تستطيع أن تحافظ على أمن دولى أو استقرار
وفوق ذلك، وهو الأخطر، فإن الإمبراطوريات الأوروبية التقليدية نفسها ـ ذلك الوقت ـ راودها خوف من انسحاب أمريكي يعود إلى الشاطئ الغربي للمحيط الأطلسي، ويتركها وحيدة في القارة الأوروبية أمام جحافل الجيوش الروسية التي وهذه الجحافل ."هتلر"زحفت من الشرق إلى ألمانيا في المعركة الأخيرة ضد الروسية مل تجيء إلى الغرب إعصار نار فقط، وإنما هي تحمل وراء إعصار النار
!فعل حريق ـ وهي الشيوعية "اللحظة التاريخية"نظرية اجتماعية لها تلك
.هكذا كانت أمريكا تريد أن تبقي في أوروبا ـ ولم تكن تدارى فيما تريد
وعلى أي .ثم إن أوروبا بدورها كانت تخشى أن تبتعد أمريكا كما فعلت مرة من قبل حال فقد كانت لدى الإمبراطوريات الأوروبية بقايا ثقة بالنفس جعلتها تتصور أن زمانها فيه عمر ـ وأنها ما زالت قوى كبرى مهابة وليست إرثاً ضخماً يجري حصره
!استعداداً لإجراءات نقل ملكيته

....

وهكذا فإن لقائي الأول السريع مع الولايات المتحدة أخذه جموح الشباب ـ وتأثر أيضاً بما شاع وقتها في أوروبا ـ ومنها إلى غيرها في العالم ـ ثم إنه استعار في
!بعض مواقفه نظّارة صديق
على أن التجارب تعلّم الناس أن الحقيقة أعقد من نظرة أولى ـ وأكبر من انطباع وأخطر من مأثورات تنتشر حتى وإن كان ..يشيع في زمن بعينه، له أحواله ومناخه
.فيها الكثير من الصدق، والحكمة المختزلة

:ـ حوارات طويلة مع السياسة الأمريكية2

لم يكد يمر عام واحد منذ عبرت المحيط غرباً لأول مرة ـ سائحاً أكثر منى دارساً، ومتفرجاً أكثر منى مشغولاً ـ حتى وجدت نفسي طرفاً نشيطاً في جدل سياسي طويل
.ومعقد مع السياسة الأمريكية
ـ بعد عام واحد بالضبط من النظرة الأولى على أمريكا ـ قامت 1952ففي يوليو سنة
التي "الثورة في مصر، وكان الخصم الخارجي الطبيعي لهذه الثورة هو بريطانيا

وفي عملية الفرز الضرورية . "التي تحتل شمال أفريقيا"، وفرنسا "تحتل مصر
للأوضاع الدولية ـ ذلك الوقت ـ فقد بدا أنه إذا أراد النظام الجديد في مصر طرفاً
عالمياً كبيراً يوازن القوى الإمبراطورية المتمسكة بمواقعها ـ فليس أمامه غير
الولايات المتحدة الأمريكية وهي منافس ظاهر يطلب إرث الإمبراطوريات :برلين
القديمة ـ والاتحاد السوفيتي وهو عدو زاحف يطلب نفس الشيء وإن بوسائل
.مختلفة

وكان البديل السوفيتي في ذلك الوقت مستبعداً لأسباب كثيرة ـ عقائدية وسياسية
وثقافية وحتى جغرافية ـ ومن ثم كان البديل الأمريكي هو الخيار المعقول، وربما
زكاه أن حساسية الإمبراطورية القديمة تجاه الولايات المتحدة بدت عاملاً مساعداً،
.أو يمكن أن يكون مساعداً

وما "نشأت وتوثقت عراها تلك الأيام "جمال عبد الناصر"وبصداقة خاصة مع
"ومازالت"ـ وجدت نفسي في صميم سياساته، خصوصاً وهي وقتها "زالت
!شواغل الوطن وهمومه

ثم كان أن حضرت محاولته الأولى في مقاربة أمريكا وتشجيعها على دور أقبلت هي
أيضاً عليه بحقائق الأشياء في الشرق الأوسط، وكان الأمل ـ تغذيه تصورات مثالية
لم تتورط بعد في سياسات إمبراطورية ـ أن الولايات المتحدة "دولة كبرى"عن
ـ "والآسيوية والأفريقية"أقرب من غيرها إلى فهم تطلعات الشعوب العربية
والإحساس بأشواقها المشروعة إلى الحرية في عالم يجري بناؤه الآن على أساس
.مبادئ وميثاق الأمم المتحدة

وعدد من أعضاء مجلس قيادة " "جمال عبد الناصر"وكذلك حضرت لقاءات
وكان ."جيفرسون كافري"مع السفير الأمريكي في مصر تلك الأيام "الثورة وقتها
ـ وواجهة لا تعبر بدقة عن "الذي عرفته قبلها بظروف العمل الصحفي" "كافري"
ـ تمتلك أسرته "أنجلوساكسوني"الشخصية الأمريكية، فالرجل أصلاً من عنصر
أرضاً شاسعة في الجنوب الأمريكي من قبل الحرب الأهلية، وكان عمله الطويل
ـ أقرب إلى "أنجلوساكسوني"سفيراً لبلاده في باريس قد جعله ـ إلى جانب أصل
!من اسكتلندا منه إلى راعي بقر من تكساس ـ أو من لويزيانا "جنتلمان"

ويليام "زار مصر نائب وزير الدفاع الأمريكي "1952سبتمبر "وفي تلك الأيام
.، وكان ذلك أعلى مستوى بعثت به الولايات المتحدة إلى مصر في حينه"فوستر
وتصادف مجيئه مع بداية المفاوضات المصرية ـ البريطانية في طلب الجلاء عن
ومع الرغبة المشتركة .مصر، وكان ذلك شاغل الوطنية المصرية الأول والأكبر
في إقامة علاقات ود من نوع جديد ومستوى أرقى ـ فإن مصر "مصرية وأمريكية"

سألت، وكان السؤال على عشاء أقيم لنائب وزير الدفاع الأمريكي عن إمكانية شراء وبدا الزائر في رده مستعداً لقبول الطلب، وفي .سلاح أمريكي للجيش المصري الذي كان اللقاء على العشاء في "كافري"ومع أن السفير .بعض تعليقاته متحمساً ، اعتبروا أن "جمال عبد الناصر"بيته ـ بدا متحفّظاً ـ فإن الحضور جميعاً، وأولهم نائب وزير الدفاع الأمريكي هي الجواب، وأن ما بدا من تحفظ السفير "حماسة" الأمريكي هو جملة اعتراضية داعيها التحوّط الدبلوماسي الزائد لدى البيروقراطية !في أي بلد في العالم

:وكان على حق أكثر من مرة .ـ كما أظهرت التجارب ـ على حق "كافري"وكان ـ مرة لأنه كان يعرف مسبقاً أن كلمة نائب وزير الدفاع لا تمثل ارتباطاً أكيداً لأنه يتكلم اجتماعياً على عشاء في بيت سفير لبلاده بعد أن احتسى كأساً "لحكومته بالنص فيما "كافري"من الويسكي، وشدّ أنفاساً من سيجار فاخر ـ كذلك كان تعبير ."بعد

والشهور التالية لها فترة انتخابات رئاسة 1952- ومرة ثانية لأن فترة سبتمبر الضيف الزائر ـ وهي إدارة "ويليام فوستر"أمريكية، والإدارة القائمة التي يمثلها ـ لم يبق لها في السلطة غير ثلاثة شهور انتقالية، والكل "هاري ترومان"الرئيس هو الفائز ـ أي الرئيس القادم ـ بعد "دوايت أيزنهاور"واثق مسبقاً أن الجنرال .1952الانتخابات في نوفمبر

كان يعلم أن الولايات المتحدة لن تتطوع لمصر بأي "كافري"ـ ومرة ثالثة لأن وهو "فهي في تقديره .شيء مقدماً ـ دفعة على الحساب ـ خصوصاً من السلاح بصرف النظر عن "تفضل أن تتفاوض وتساوم مع حليفها البريطاني "صحيح ـ ثم إن الولايات المتحدة إذا أعطت شيئاً لمصر فلن تعطيها "الهواجس والشكوك .سلاحاً يمكن أن يستخدم ضد إسرائيل

وهو يعرف سياسية بلاده متأكد أنها لن تعطي إلا بقدر ما "كافري"ومرة رابعة لأن تأخذ أولاً ـ فإذا كانت مصر تريد شيئاً فعليها أن تدفع مقدم ثمنه، ولأن أمريكا لا سياسي "عربون"مالي من مصر وإنما تبحث عن "عربون"تبحث عن وإستراتيجي ـ إذن فليست هناك صفقة محتملة في القريب العاجل ـ وربما بعده لأن عنها ليست على استعداد "الإمبراطورية القديمة"مصر المطالبة بجلاء الإنجليز .سياسية وإستراتيجية "عرابين"لأن تدفع

وذلك شيء لم أعرفه منه إلا بعد "على حق ـ مرة خامسة وأخيرة "كافري"ـ وكان اعتزاله الخدمة بسنوات طويلة، وكان قد ذهب ليعيش آخر أيامه ويموت ويدفن في ـ لأنه كان على يقين بأن الولايات المتحدة لن تساعد أي بلد عربي إلا إذا "فرنسا

!!وقع اتفاقية صلح نهائي مع إسرائيل

....

أيامها ـ وبعد ثلاثة شهور من الثورة ـ كان أميل إلى "جمال عبد الناصر"لكن
نائب وزير الدفاع، ولعله حسن النية في السياسة "ويليام فوستر"تصديق
ـ الذي بدا تحفظه "كافري"الأمريكية وقتها ـ أو لعلها أمانيه غلبت دلالة موقف
دون شرح أسبابه ـ ثم آثر الصمت حتى انتهى اللقاء، ثم ظهر ذلك وكأنه الأدب
الدبلوماسي، بما معناه أن السفير الأمريكي كما تقتضي اللياقة ألزم نفسه بالحدود
!الفاصلة بين السياسة والدبلوماسية

لدعوة وجهتها "جمال عبد الناصر"استجاب "ويليام فوستر"ونتيجة لتصديق
وزارة الدفاع الأمريكية إلى وفد مصري يزور المنشآت العسكرية في الولايات
.مقدمة تمهد لمفاوضات "جمال عبد الناصر"المتحدة الأمريكية ـ وقد اعتبرها
علي "الطيار "قائد الجناح"وكان أن سافرت بعثة مصرية لهذا الغرض رأسها
."جمال عبد الناصر"وكان وقتها مسئولاً في المكتب العسكري لـ " "صبري

طلب مني أن أسافر إلى الولايات المتحدة، بعيداً "جمال عبد الناصر"ثم حدث أن
عن الوفد العسكري، وظنه أنني أستطيع المساعدة على إنجاح مهمة الوفد بصداقات
يعرف أنها قائمة بيني وبين عدد من الصحفيين الأمريكيين البارزين وقتها، وكان
معظمهم ممن عرفت وزاملت في مهام عديدة عندما كنا جميعاً مراسلين لصحفنا في
ـ وفي معارك فلسطين "الحرب الأهلية في اليونان وما حولها" "البلقان"حروب
معركة "ـ وفي أحداث الثورة الإيرانية "قبل قيام الدولة اليهودية وبعده"
الانقلابات "ـ وفي أزمة الشرق الأوسط "وتأميم البترول الإيراني "مصدَّق"
كوريا ـ والهند "ـ وفي صراعات الشرق الأقصى "والاغتيالات في سوريا وغيرها
.ـ وفي غيرها من شواغل تلك الأيام "الصينية ـ وفيتنام الأولى ضد فرنسا

وهكذا عبرت المحيط غرباً للمرة الثانية إلى أمريكا، وفي هذه المرة لم أكن زائراً أو
متفرجاً، وإنما كنت في مهمة عمل تداخلت فيها السياسة مع الصحافة فقد وجدتها ـ
أيضاً ـ فرصة مناسبة لتغطية معركة الرئاسة في مرحلتها النهائية الحاسمة بين
أدلاي "عن الحزب الجمهوري ـ وبين منافسه "دوايت أيزنهاور"الجنرال
.عن الحزب الديمقراطي "ستيفنسون

وفي ذلك الوقت، وفي إطار هذه المهمة التي تداخلت فيها السياسة مع الصحافة ـ
اقتربت من بعض دوائر صنع القرار الرسمي في أمريكا، وضمنها قيادات الحزبين
الكبيرين المتنافسين في انتخابات الرئاسة، وعدد من الرجال النافذين في الإدارة
ـ السفراء "أيزنهاور"ونظرائهم القادمين مع الإدارة الجديدة "ترومان"القديمة

."الكبار في وزارة الخارجية ـ وكذلك مع الجنرالات الأهم في وزارة الدفاع
ولم يكن من المصادفات أنني وجدت موعداً تحدد لي مع مدير برامج المساعدات
ـ فالذين قاموا على ترتيب "أولمستيد"وهو وقتها الجنرال "الأمريكية العسكرية
جزء من برنامج اتصالاتي السياسية كانوا بغير شك يعرفون ما فيه الكفاية عن
.الأسباب المختلفة لقدومي إلى واشنطن

....
وباختصار فقد كانت تلك الزيارة إطلالة أكثر تدقيقاً وأشد تأنياً في النظر إلى القوة
.الأمريكية الخارجة إلى المسئولية العالمية الأوسع
والحاصل أنني عدت ـ عبر المحيط ـ أقل تفاؤلاً مما ذهبت، وعلي شبه يقين بأن
ـ مهمة صعبة ."علي صبري"قائد الجناح "مهمة بعثة شراء السلاح في واشنطن
"جمال عبد الناصر"ـ إن لم تكن مستحيلة ـ وكانت أسبابي وقد تحدثت بها مع
:مضيفاً إلى رأيي شواهد ما استخلصته، ومنها
يقوم في المنطقة بعد جلاء "حلف عسكري"ـ إن الولايات المتحدة لديها مشروع 1
وهناك تلازم بين العمليتين .منها "البريطانية والفرنسية"القوات الإمبراطورية
وذلك سمعته من الجنرال " .خطوة بخطوة ـ الخروج الأوروبي والدخول الأمريكي
"حلف اسلامي"وهو يحدثني عن خطة لدى الولايات المتحدة لإقامة "أولمستيد"
يملأ فراغ المنطقة العسكري بعد جلاء الإمبراطوريات القديمة عنها ـ ثم يكون منه
ـ "الستار الحديدي"عنصر جذب لعشرات الملايين من المسلمين يعيشون وراء
".داخل الاتحاد السوفيتي والصين
ـ إن الولايات المتحدة لن تبيع لمصر سلاحاً تستطيع به محاربة الإنجليز إذا تعطلت 2
جود "وذلك سمعته من الجنرال " .مفاوضات الجلاء من منطقة قناة السويس
دوايت "، وهو من أركان حرب الرئيس الجمهوري الجديد الجنرال "باستر
"وقتها" "، وتفصيله أن رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل"إيزنهاور
إن الحكومة البريطانية تعرف بوجود وفد "تليفونياً ليقول "إيزنهاور"اتصل بـ
يظن أنه يستند إلى "عسكري مصري في أمريكا يسعى لشراء سلاح، وأن هذا الوفد
ـ لا يتصور أن صديقه الجنرال "تشرشل"، وأنه ـ أي "وعد رسمي أمريكي
، وهو القائد العلى لقوات الحلفاء في معركة تحرير أوروبا، يرضى أن "أيزنهاور"
في "أيزنهاور"إمرة "يعطى للمصرين سلاحاً يقتلون به جنوداً حاربوا تحت إمرته
.الحرب المقدسة ضد النازية والفاشية
تأثر ـ وتعهد لـ "أيزنهاور"أن "جودباستر"وختام ما سمعته من الجنرال
على فرض أنه كان في النية "بأنه لن يعطي المصريين طلقة رصاص "تشرشل"

"!أصلاً إعطاء شيء
ـ إن الولايات المتحدة سوف تحاول تحقيق صلح بين العرب وإسرائيل كمقدمة 3
تحقيق هذا "بالإقناع"لمشروعاتها المقبلة في الشرق الأوسط ـ وأنها إذا لم تستطع
.مهما اقتضى ذلك من زمن أو من جهد "بالفرض"الصلح، فسوف تجازف لتحقيقه
ـ وهو واحد من أقرب المعاونين إلى "جون أندرسون"وذلك سمعته من "
أن أيزنهاور قاد حلفاً كبيراً لكل "وقد أصبح وزير خزانته ـ وملخصه "أيزنهاور"
المعسكر الغربي، وهو بتفكيره لا يعرف علاقة مع بلد واحد، وإنما يعرف علاقة مع
."لأننا في عالم جديد لا يعترف بالحدود التقليدية للسيادات الوطنية"أقاليم كاملة
فإنك تستطيع أن تدرك أننا لا نريد صراعات داخلية في قلب هذه "وإذا كنا ذلك
وهذا يعني أن الصراعات الصغيرة يجب أن ترتب نفسها للصراع الأكبر مع .الأقاليم
بين العرب "الخناقة"المحلية من نوع "خناقاتها"الشيوعية الدولية، وتنسى
"!وإسرائيل ـ وهذا هو شكل المستقبل
عندما حكيت له قصة تجربتي "جمال عبد الناصر"وقد رويت ذلك كله وأكثر منه لـ
والحقيقة أنه لم يكن مفاجأً بما قلته، فقد وجدتُه بعد أن غبت عنه .الأمريكية الثانية
علي "قرابة شهرين أو أقل تفاؤلاً، والظاهر أن متابعته لمهمة البعثة العسكرية
!الأمريكية "توقعاته"إلى الولايات المتحدة جعلته أكثر حذراً في "صبري
ومن أوائل الخمسينات وحتى أوائل الثمانينات من القرن العشرين عبرت المحيط
غرباً إلى امريكا أربعاً وعشرين مرة، وشاركت في حوارات ومناقشات بلا نهاية
مع إدارات أمريكية عديدة ومع رجالها من الساسة ومن العسكريين ـ "وبلا نتيجة"
في البيت الأبيض وإداراته، وفي الكونجرس بمجلسيه، وفي وزارتي الخارجية
والدفاع، وفي هيئة أركان الحرب المشتركة ـ بل وكذلك في وكالة المخابرات
.المركزية الأمريكية
وأبرز أركان "دوايت أيزنهاور"وبسرعة واختصار فقد قابلت وتحدثت مع الرئيس
ـ وفيما بعد قابلت وتحدثت مع "جون فوستر دالاس"إدارته وهو وزير خارجيته
وأبرز أركان إدارته، وكانوا مجموعة من أكفأ وألمع ما "جون كنيدي"الرئيس
، ومستشار الأمن القومي "دين راسك"شهد البيت الأبيض، وبينهم وزير الخارجية
، إلى جانب رجال أحاطوا "روبرت ماكنمارا"، ووزير الدفاع "ماك جورج باندي"
"إدوارد سورنسون"و "آرثر شليزنجر"بالرئيس زمانها وأشهرهم المؤرخ الكبير
"جون كنيدي"ـ ولم تتح لي الفرصة لمقابلة الرَّجل الذي خلف "بيير سالنجر"و
، لكني قابلت أقرب الناس إليه، "ليندون جونسون"بعد اغتياله، وهو الرئيس
الذي "جين روستو"مستشاره للأمن القومي، وشقيقه "والت روستو"وبينهم

الذي واصل مع "دين راسك"بقى قوة محركة في وزارة الخارجية الأمريكية مع "واستضفت في بيتي في القاهرة"- ثم قابلت "كنيدي"ما أبداه مع "جونسون" ، وتحاورت طويلاً معه ومع أركان إدارته، وأهمهم "ريتشارد نيكسون"الرئيس ويليام "، ووزير خارجيته الأول "هنري كيسنجر"مستشاره للأمن القومي "نيكسون"الذي خلف "فورد"- ولم تتح لي الفرصة أن أقابل الرئيس "روجرز حتى "نيكسون"، لكن إدارته ظلّت في الواقع هي إدارة "ووترجيت"بعد فضيحة جيمي "- وقابلت وتحاورت مع الرئيس 1976خسر معركة الانتخابات سنة ، "زبجنيو برجينسكي"، وكبار مساعديه وبينهم مستشاره للأمن القومي "كارتر رونالد "- ولم تتح لي الفرصة أن أقابل الرئيس "سايروس فانس"ووزير خارجيته "ألكسندر هيج"- لكني لقيت وحاورت أهم أقطاب إدارته وضمنهم "ريجان .وزير خارجيته "جورج شولتز"مستشاره للأمن القومي، و
قابلت "ما بين أوائل الخمسينات إلى أواخر الثمانينات"وفي تلك الفترة كذلك كنيث "من "وتحاورت مع غير هؤلاء كثيرين في أمريكا من المفكرين والأدباء من دافيد "- ومن رجال الأعمال إلى نجوم هوليوود "نورمان ميلر"إلى "جالبرايت من "- ومن مسئولي عوالم الأسرار إلى ملوك الإعلام "إلى لاناتيرنر "روكفللر "كاترين جراهام"أشهر مدير لوكالة المخابرات المركزية - إلى "الآن دالاس" ."واشنطن بوست"صاحبة مجموعة صحف
ولقد أضفت إلى ذلك كله قراءات لها بداية وليست لها نهاية، ثم إنها تشعبت بعيداً ."في كتابه الشهير "دوجلاس ريد"على حد تعبير "وواسعاً
وبناءً عليه كله فقد أستطيع القول بأنني اقتربت وعاينت وخالطت بنفسي عقل القوة الأمريكية وقلبها، ومع ذلك فقط ظل يراودني إحساس بأن ما عرفته عن الولايات المتحدة ليس كافياً - على الأقل ليس كافياً لكي يفسر لي طبيعة السياسة الأمريكية، .ومطالبها، ودوافعها، وأساليبها
ولقد ظننت أن التجربة المباشرة في التعامل مع القوة الأمريكية حسنت معرفتي .بحقيقتها، لكني مع ذلك ظللت على يقين بأن ما أعرفه ليس كافياً
.ترك عليّ انطباعاً - جاء قاصراً 1951بمعنى أن عبوري الأول للمحيط سنة
.- ترك لديّ إحساساً بخيبة الأمل 1952ثم إن عبوري الثاني للمحيط سنة
أربعة وعشرون عبوراً للمحيط إلى 1986إلى سنة 1953وتلى ذلك من سنة
لكنه بقي يراودني على نحو أو آخر .الغرب - أضافت إليّ بغير شك حصيلتها .إحساس بأن ما أعرفه عن أمريكا ما زال دون المطلوب
ولقد ظننت في بعض الأحيان أنني توصلت بطول الدرس وتتابع التجارب إلى

!مجموعة من المفاتيح تصورتها مهمة لفهم أمريكا
.وإلى حد ما فقد يكون لهذا الظن بعض ما يبرره
- هل تكفى هذه المفاتيح لفهم أمريكا؟3
مفاتيح "دستة"أظنني توصلت بالتجربة والمعاينة، وبالقراءة والدرس، إلى حسبتها مطلوبة لفتح بوابات أمريكا، والدخول منها، والبحث وراءها عن الأشياء !والأحوال، بما قد يسمح بفهم أو برؤية تعزز فعلاً أو تسند ردَّ الفعل
ومع أن الظن قد يكون إثماً، فإنني أجازف بعرض المفاتيح التي توصلت إليها - تاركاً .الحكم لغيري - أعلم وأقدر
:المفتاح الأول *
ومعنى .لديه كثير من الجغرافيا وقليل من التاريخ :إن الولايات المتحدة بلد محظوظ ذلك أن لديه غنى في الموارد بلا حدود، وخفة في أثقال التاريخ وحمولاته لم يتمتع بها غيره، وذلك منحه اطمئناناً إلى وفرة مادية طائلة - ثم إنه أعفاه من وساوس .تاريخية ينوء بها عديد من الأوطان أو البلدان
والذاكرة الوطنية للشعوب في بعض الأحيان عبء بمقدار ما هي حافز - لكن الهجرة إلى أمريكا كانت مشروطة بالتخلي عن القديم والبدء من جديد لمن يبغون الفرص .الطموحة
وإذا اعتبر هذا الحال فقراً في الإرث أو التراث - فإنه كان في نفس اللحظة عوناً .على مواجهة المستقبل مفرغاً من العقد والمسئوليات مما يخلفه الإرث أو التراث
فإن الشعب "من أول التاريخ"وفي حين أن شعوباً أخرى أرهقتها تجارب القرون الأمريكي بدأ مسيرته في الواقع منذ القرن السابع عشر الميلادي، وبالتالي فقط كان في حين "أكثر شباباً وأكثر نشاطاً من غيره، فهو في بداية العمر، وعنفوان الصبا ."كان غيره في آسيا قرب الشيخوخة - وفي أوروبا قرب الكهولة
وفي حين أن كل الحقائق لها بدايات ومقدمات في فكر عامة الشعوب - فإنه فيما .هنا والآن .يخض الشعب الأمريكي - كل الحقائق تبدأ الآن

....
- أي بعد اسبوعين اثنين من 1973نوفمبر 7ليلة "وذلك يذكرني بليلة من الليالي]
- وتلك ليلة ظلت فيها مؤرقاً حتى الصباح أفكر في "توقُّف معارك حرب أكتوبر
- "كيسنجر"وبيني - وفي بادأني "هنري كيسنجر"وقائع لقاء تم في المساء بين
:بقوله
أريد أن أسمع منك كل ما تريد قوله لي عن الأزمة الحالية في الشرق الأوسط، "-
:لكن لي شرطين

حدثني عن الواقع الراهن هذه اللحظة ـ لأننا من هنا .لا تحدَّثني عن التاريخ :أولاً
.نبدأ
"الأمة العربية"حدثني عن مصر وحدها، ولا تقل لي شيئاً عما تسمونه أنتم :وثانياً
ـ أعرف أن هناك شعباً في مصر ـ هذه حقيقة ـ ولكن أن هناك أمة عربية فذلك ادِّعاء
"!تقولون به، وهو لم يثبت لي، وبالتالي فلست مستَعداً له
وكان ذلك سبب الأرق ـ ومعه الدهشة ـ لأن ذلك الرجل الذي كان دارساً وأستاذاً]
[!وإنما اعتبر اللحظة الراهنة بداية كل شيء .للتاريخ ـ لم يعتبر التاريخ لأي شيء
ومع أن ذلك بدا لي مستغرباً، فإنني كنت على يقين أن ذلك الطلب صدر منه عن
!"التاريخ بدأ اليوم"قناعة لديه بأن
فقط .ومع أني حاولت أن أشرح له أن تلك البداية تلغى الحقوق ـ بل وتهدر القانون
إننا إذا كنا نريد التعامل مع الماضي فسوف نظل في الماضي، وإذا "كان منطقه
وبالطبع فقد كان ذلك منطق "ـ "أردنا المستقبل فأول المطلوب منا أن ننسى
["!التجربة الأمريكية أصلاً وأساساً

....
:المفتاح الثاني *
ولم تبدأ كدولة، وإنما بدأ .إن الولايات المتحدة لم تنشأ كوطن، وإنما نشأت كموطن
أي أن الولايات المتحدة في واقع الأمر بدأت ونشأ كفضاء مفتوح لكل من .كملجأ
كان هناك :يقدر على عبور المحيط أو يضطر لعبوره وإن تنوعت الأسباب
المهاجرون والأول من المغامرين ـ ثم لحقهم المنفيّون ممن كنت دول أوروبا راغبة
في التخلص منهم لأسباب سياسية أو أمنية ـ ثم كان هناك الهاربون من الاضطهاد
العنصري أو الديني ـ ثم كان هناك الباحثون عن الثروة في بلد تكشف أن موارده بلا
!حدود من الأرض إلى الماء ـ ومن الفضة إلى الذهب
الأولى ـ ثم الثانية ـ كانت الأخبار في العالم "كريستوفر كولمبس"ومنذ تمت رحلة
الحقيقة تتسع لكل من "أرض الميعاد"فتلك هي .القديم عن العالم الجديد أسطورية
يشاء، وفيها ما يحتاج إليه وأكثر، ثم إنها أرض بلا ملوك ـ ولا كنيسة ـ ولا إقطاع ـ
ولا قانون ـ ولا بوليس وإنما هي فضاء مفتوح لأي قادر على عبور المحيط، وعلى
.التعامل مع الحدود القابلة للاتساع والتمدد كل يوم

....
وربما أنه من هنا يمكن فهم استعداد السياسة الأمريكية في هذه اللحظة أن تتقدم]
لأي مشكلة بمقترحات غير محكومة بثوابت، وبمنطق أنه لا ملوك ـ ولا كنيسة ـ ولا
!إقطاع ـ ولا قانون ـ ولا بوليس ـ وإنما هو فضاء مفتوح

أن "صالح العرب"إلى أنه من "بيل كلينتون"وكذلك يتوصل رئيس ذكي مثل القدس "يتركوا القدس لإسرائيل ـ وإذا كان العرب والمسلمون على تصميمهم بأن ـ "أبو ديس"ـ هي "وراء التل"فإنه في مقدورهم تغيير اسم قرية قريبة "عربية ـ وميزتها أنها على بعد كيلو مترات قليلة من القدس الأصلية أمام "القدس"لتسمى ثم يضيف إنهم فعلوا كثيراً في أمريكا، فهناك مدن كثيرة في أمريكا اسمها .التل [!"بيروت"ـ و "والإسكندرية"ـ "القاهرة"، وهناك مدن اسمها "القدس"

....

:المفتاح الثالث *

إن الفضاء المفتوح لا يقبل باي عوائق من أي نوع، سواء في ذلك الطبيعة أو حتى سكانها الأصليون، ذلك أن الطبيعة لا بد لها أن تتسع بما يوافق طموح القادمين بحثاً عن الفرصة، ثم إن السكان الأصليين عليهم أن ينزاحوا وإلا فهم تذكرة دائمة للقادمين الجدد بأن هناك حقوقاً سابقة تعترض حقوقهم اللاحقة، وذلك خلط مادي !ومعنوي كبير يجب تسويته ـ وبكل وسيلة متاحة

وهكذا فإنه بعد النـزول الأول على الشواطئ الشرقية للقارة ـ شواطئ الأطلسي عبر أوروبا ـ فإن النفاذ إلى الداخل أصبح معلقاً بما يستطيع الجواد أن يرمح فيه

ثم إن الأمن في الداخل أصبح مرهوناً بما يستطيع المسدّس .ويستحوذ عليه ويضمّه .أن يسيطر عليه من الفضاء المفتوح، ويخليه ويضمنه

وكذلك فإنه اذا كانت الغابات والأحراش عائقاً، فإن الغابات والأحراش عليها أن تزول ـ وإذا كان الهنود الحمر وراء التلال والجبال ملاكاً ـ على نحو ما ـ للأرض، .فإن هؤلاء الهنود الحمر يتعين أن يختفوا ـ وجوداً وظلاً

....

....

وهنا يمكن فهم الرؤية الأمريكية لقضية فلسطين، فالمستوطن اليهودي ليس فقط] المجنـزرة "مهاجراً إلى أرض جديدة، وإنما هو كذلك وبقوة الجواد والمسدس وهذه "عائد إلى ارض يملك عليها امتيازاً من قديم "والمدفع الرشاش هذه المرة حجة إضافية يزيد عليها أنه اذا كانت الغابات والأحراش في القارة الأمريكية قابلة الفلسطيني من باب أولى لا بد من تجهيزه للاستيطان، ثم !"الخلاء"للإزالة ـ فإن ـ شأنه شأن الهندي الأحمر ـ عليه أن يختفي وجوداً !"الأصلي "الفلسطيني"إن وظلاً ـ ولم لا؟ إذا لم يكن للحق الأزلي اعتباره قانوني، وإذا لم يكن للحقائق الحية اعتبار إنساني "وقبل المهاجر الأمريكي"على الأرض قبل المستوطن اليهودي [!وأخلاقي

....

....

:المفتاح الرابع *

إنه إذا كان مطلوباً أخلاء القضاء المفتوح من أي عوائق ـ ومن أي دعاوي سابقة على الادعاء بملكيته بصرف النظر عن أية حقوق سابقة تاريخية، أو إنسانية، أو أخلاقية، أو قانونية ـ فإن السبيل إلى ذلك هو القوة، وقوة السلاح، وقوة السلاح وحدها.

وعندما تتجرد قوة السلاح من كوابح المبادئ والقيم والثقافة ـ مع غياب كافة أنواع الشرعية ـ فإن السلاح يطيح ـ بدون مقدمات، وبغير ضوابط ـ وبالتالي تكون الكلمة الأولى في أي لقاء هي تصويب المسدس، والكلمة الأخيرة هي الضغط على الزناد، وكذلك تتحول القوة في حد ذاتها إلى مصدر للمشروعية، وبها وليس بغيرها يتحول "الإغتصاب" إلى "حيازة" وتتحول "الحيازة" إلى "ملكية" تسن لنفسها قوانين جديدة تتعامل بها الأوضاع المستجدة في تنظيم علاقات الغلبة والسيطرة.

وكان ذلك ما حدث طوال قرنين من الزمان، فقط كان على أرض أمريكا الشمالية ـ وديانها وسهولها ومروجها وجبالها ـ ما يقدر عدده بخمسين مليوناً من الهنود الحمر عندما ظهرت "سانتا ماريا" سفينة ـ "كريستوفر كولمبوس" تتقدم ـ سفينتين وراءها. ثم ظلت أمريكا الشمالية تسمع طلقات الرصاص، وتلمح من بعيد دخانه، وترى على الأرض بقع دمه، وحين هدأت الضجة تبين أن ذلك الشعب النبيل الذي رفض أن يستسلم للنازلين على شواطئه والزاحفين على أرضه لم يعد باقياً منه غير مليونين أو ثلاثة.

....

....

[وهنا يمكن فهم المنطلق الذي تحاورت به السيدة "مادلين أولبرايت" وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة في مقابلة تليفزيونية "مايو سنة 1998":

سئلت "أولبرايت" عن استقالة اثنين من مفوضي الأمم المتحدة مسئولين عن تنسيق برامجها في العراق، وهما "دنيس هاليداي" و "هانزفون سبونيك" ـ كلاهما قدم استقالته لأنه لم يستطع أن يحمل على ضميره وزر وفاة نصف مليون طفل عراقي راحوا ضحية نقص الغذاء والدواء بسبب الحصار الذي تفرضه الولايات المتحدة "باسم الإمم المتحدة" على العراق؟

وردّت "أولبرايت" قائلة للسائل بالحرف: " ربما أنه ثمن غال كما تقول، لكننا نرى أن الهدف الذي نطلبه يساوي ذلك الثمن وأكثر منه"!!]

....
:المفتاح الخامس *
إن الضمير الأمريكي كان يتعين عليه أن يجد مسوغات معنوية ونفسية تبرر له جوانب العنف والقسوة في مغامرته التي بدأها على الشواطئ الأمريكية، ومنها إلى الداخل والوسط، وحتى أقصى الغرب، وهنا تأسس فكر راح يستكمل ويستوفي مطالبه وضروراته حتى تحول إلى مدرسة بأكملها.
وكانت بداية التأسيس من عناصر المهاجرين بسبب الاضطهاد الديني، ومن في طبعتها الأمريكية، وفي "نظرية المنفعة"المفارقات أنه من عندهم ظهرت :سياقها الأساسي وخلاصتها
- إن الله لم يخلق هذه الأرض وما عليها عبثاً، وإنما خلقها لبشر سواهم على مثاله.
- وإذا كان ذلك فإن هؤلاء البشر - على مثلا الأله - مكلفون بما ينفع الأرض ويحقق عليها كلمة خالقهم.
- وإذا كان نفع الأرض هو هدف البشر فإن الأقدر منهم على النفع هو الأحق بالقيام عليه.
- وإذا كانت هذه الأرض في حوزة الهنود الحمر منذ نشأة الحياة، ولم يقوموا بحقها - فإن مشيئة الله تتحقق بأن يحل محلهم من هو أقدر منهم.
الأمريكية، ومشى فقهها "نظرية المنفعة"وكذلك ظهرت أخلاقيات وقوانين وقواعد - إلى نهاياته على أساس انه اذا كان ما هو نافع مطلوباً - فإن ما هو !من بداياته نافع بدوره مشروع مهما كانت وسائله - وكذلك ينبغي أن يستقر القانون وتصاغ مواده.

....

....
وهنا يمكن فهم ما يراه العرب وينسبونه أحياناً إلى بلادة في شعور الرأي العام] الغربي تجاه اغتصاب فلسطين.
فقد نجحت اسرائيل أن ترسخ لديهم - على عكس الحقيقة - صورة مؤداها أن فلسطين كانت صحراء جرداء قبل أن ينزل عليها الخصب الصهيوني.
ومالك الأرض الحقيقي - والقانوني - ليس مالك صك الملكية، وإنما القادر على الأرض أكفأ - والممسك بها أقوى - ذلك أن الصك ورقة - وأما الحق فهو القوة.
وهذه نقطة مركزية تستحق فهماً عربياً أعمق، فالعدل حلم الضعفاء - لكن القانون يكتبه الأقوياء.

وغير ذلك الادِّعاء].

....

المفتاح السادس *:

إن كل شيء في أمريكا سهل وميسر، فذلك الوطن الأمريكي الذي أعفى نفسه من أعباء التاريخ القديم، والشرائع السابقة، والتقلصات والتقلبات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والحروب والثورات التي صهرت قارات العالم القديم منذ فجر الوعي الإنساني ـ وجد نفسه في وضع لم يتح لوطن من قبل:

قارة بكامل مواردها فضاءاً مفتوحاً، وقد استطاع المهاجرون أن يملئوا - "فراغهاً" وأن يستولوا على الأرض وما فوقها،.

ـ وهؤلاء المهاجرون استطاعوا في قرنين اثنين تأسيس موطن ـ تحول إلى وطن ـ له ثروته المادية، وله فكره المتحرر من القيود، وله طرائقه في الإنتاج والحياة، وله قوانينه ـ بل وله أخلاقه.

ثم إن هذا الوطن التفت إلى يمينه من خريطة العالم فوجد أوروبا إلى الشرق من - الأطلنطي وقد وصلت إلى عصر النهضة، وفاضت فيها الفلسفات والعلوم، والآداب والفنون، والمعارف والثقافية، ومعها تكنولوجيا من نوع مذهل يحل فيه البخار محل وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت هناك "عضلات الناس من الأحرار كانوا أو من العبيد وهي سحر قادر على كل شيء" في أوروبا نبوءات مبكرة عن طاقة الكهرباء "!

ولم يرهق المجتمع الأمريكي نفسه في إعادة اختراع الأشياء!

نظر إلى أوروبا ونقل، وذهب إلى أوروبا واشترى، وعاين ما وجد أمامه واختار ما رآه نافعاً ـ مفيداً ـ أو حلواً. وكان له ما أراد بغير موانع ولم تكن هناك على الفن ـ حقوق ملكية "مونتيسكيو" و "روسو" إلى "دانتي" و "شكسبير" والفكر ـ من أو "باخ" أو "موزار" أو "بتهوفن" فكرية ـ ولا كانت هناك على موسيقى أو غيرهم حقوق أداء علني ـ وكانت كل المخترعات من قوة البخار "فيفالدي" المحركة إلى قوة العدسات المبصرة، ومن المدافع بعيدة المدى إلى القطارات المسافرة فوق قضبانها حيث تمتد ـ معروضة لمن يشاء في السوق دون شروط وأوله أن تدفع من اللحم الحي "تعجيزية من نوع ما تواجهه الدول النامية الآن ضرائب كل شيء تريد أن تأخذه من العالم، حتى الكتاب، والفكرة، والنغم".

وهكذا أخذت أمريكا من العالم القديم كل ما أرادته دون معاناة أو ألم ـ دون حقوق أو رسوم.

....

....

وكذلك يمكن فهم تعود الأمريكان على طلب الأشياء ـ مادية ومعنوية، من حقوق]
الثروات الطبيعية إلى حقوق السيادة الوطنية ـ بلا عناء ـ مقابل ثمن نقدي يدفع، ثم
!يتم شحن البضاعة
وذلك بالضبط ـ على سبيل المثال ـ ما جرى في صفقة شراء الرئيس الصربي
، وكانت الصفقة بيعاً وشراء ـ تسليماً وتسلّماً ـ "سلوبودان ميلوسوفيتش"السابق
:والغريب أن الولايات المتحدة رتَّبت دفعها قسمة مع آخرين .قيمها بليون دولار
.مليون دولار يدفعها الاتحاد الأوروبي 445
.مليون دولار يدفعها أطراف دوليون مختلفون منهم سويسرا واليابان 200
.مليون دولار يدفعها البنك الدولي 150
182وأما الولايات المتحدة الأمريكية نفسها فقد كان نصيبها النقدي في الصفقة
[!مليون دولار ـ لكن الصفقة جرت تحت إشرافها وإدارتها

....
:المفتاح السابع *
فالعادة أن .إن التجربة الأمريكية جاءت بسابقة مغايرة لما كان قبلها في التاريخ
الأوطان تظهر مع ظهور الدول فيها، داخل رقعة محددة من الأرض لها أطراف
وحدود وتضاريس طبيعية تحول موطن أي مجتمع إنساني إلى وعاء مستقل بذاته
.وصفاته ـ ومن ثم تمهد لظهور سلطة فيه ترسم حدود الدولة وتشهر قيامها
تأخرت الدولة كثيراً عن الظهور، وإن تناثرت على سطح .في أمريكا اختلف الأمر
القرن السابع "القارة بؤر استيطان وعمران مكشوفة راحت حتى عصور متأخرة
تدافع عن نفسها بوسائل ابتدعتها من إنشاء شركات إلى "عشر والثامن عشر
ولما كانت الهجرة إلى أمريكا مستجدة، والثروات وفيرة، فإن .إنشاء ميليشيات
الدول الأوروبية تدافعت، وراح ملوكها يبسطون حمايتهم على مساحات تفوق حجم
.ممالكهم الأصلية، وكذلك كانت سيادتهم رمزية
لكن المجتمعات الاستيطانية الجديدة في أمريكا رأت لنفسها مصالح مختلفة عن
وتقدموا لملئه "دولة أمريكية"مصالح هؤلاء الذين رأوا الفراغ الناشئ عن وجود
، وكانت بدورها "جورج واشنطن"ـ وهنا ظهرت حركة الاستقلال الأمريكية يقودها
معركة سهلة، وذلك أن السيادات الملكية الأوروبية كانت رمزية، ثم إن المجتمعات
الاستيطانية الجديدة في أمريكا كبرت واتصلت، واشتدت حاجتها إلى دولة وطنية
وكذلك اتحدت .تحفظ لها مصالحها المتميزة عن غيرها، وتكفل للجميع أمناً مشتركاً
الولايات، أو بعضها، في حرب لطلب الاستقلال ـ ثم تقاتلت الولايات مع بعضها في
حرب لطلب الوحدة ـ ثم توصلت التجربة إلى شكل الدولة الاتحادية ـ بقوم عليها

مركز قوى يملكه الجميع ـ وحقوق متساوية تمارسها الولايات دون وصاية من
وفي ذلك كله كان الوطن الأمريكي يتوسع من الشرق إلى الغرب، والمدهش .المركز
جزيرة :لم يجر بالسلاح في بعض الأحيان، وانما جرى بالشراء "الفتح"أن
زعيم هندي أحمر باعها "جرى شراؤها مرتين "نيويورك"وعليها "مانهاتن"
إلى شركة هولندية ـ وبعدها بعشرات السنين باعتها الشركة الهولندية إلى الولاية
"لويزيانا"ـ صفقة بالبيع والشراء من اسبانيا "ولاية كاليفورنيا ."الأمريكية
.صفقة مع فرنسا

....

كذلك عرفت التجربة السياسية الأمريكية نفوذاً يتوسع بالبيع والشراء، وبالخصم]
!وبالتقسيط
بأننا "وربما هنا فإنه يمكن فهم ذلك الشعور الجازم في الكونجرس الأمريكي
اشترينا السلام في الشرق الأوسط بحمزة مساعدات أمريكية ملحقة باتفاقية كامب
ـ وقيمتها خمسة "جائزة السلام"دافيد بين مصر وإسرائيل، واسمها الرسمي هو
بلايين دولار سنوياً ـ تقسم بنسبة أكثر من ثلاثة لإسرائيل وأقل من اثنين لمصر ـ
["!حتى يستقرب ويترسخ السلام"ومدة الجائزة عشرون سنة قابلة للتجديد

....

:المفتاح الثامن *
.إن الدولة الأمريكية ظهرت في وقت احتدمت فيه الصراعات والثورات في أوروبا
فقد كان ذلك زمن قطع رقاب الملوك في إنجلترا وفي فرنسا ـ وزمن الحروب بين
الإمبراطوريات التي اشتد غضبها ونقص دخلها بعد أن فقدت ممتلكاتها الأمريكية،
.وزادت عليها تكاليف السباق الاستعماري إلى آسيا وفيما بعد إلى أفريقيا
وفي تلك اللحظة الحرجة من تاريخ الإمبراطوريات فإن زعيم وقائد الاستقلال
الابتعاد تماماً عن "، قدم لوطنه وصيته الأهم وهي "جورج واشنطن" :الأمريكي
صراعات القارة الأوروبية التي لا تعني أمريكا، ولا تهمها، ولا يصيبها منها إلا
."الضرر
ان الصراعات الأوروبية بحور دمٍ لها منابع "جورج واشنطن"وكانت وجهة نظر
دم بعيدة غائرة في الزمن، وذلك كله حدث قبل ان تولد أمريكا لكن حدوثه الآن
يعطي لأمريكا ميزة لأن التهاء أوروبا في حروبها السياسية والدينية والاقتصادية
والاستعمارية يكفل للدولة الأمريكية المستقلة فترة كافية تدعم فيها وحدتها بصهر
حتى تذوب وتتوحد مصالحها، وذلك "باللغة والثقافة الجديدة"عناصر الهجرة اليها
يمكنها من صنع وطن ودولة ـ بل وأمة إذا توصلت عملية الصهر دون تدخلات من

.الخارج
صحيحة، وقد كان كذلك في زمانها، فإن ابتعاد أمريكا "واشنطن"وإذا كانت وصية عن الصراعات الأوروبية كان لها ملحق ضروري هو تصفية بقايا الجيوب الأوروبية في أمريكا الشمالية، وتخليص ولايات الإتحاد وما حولها من قبضة الإمبراطوريات البائدة ـ وهنا جاءت الحرب مع البرتغال ومع إسبانيا.

....

ومن غرائب التاريخ المصري أن آخر ملوك المكسيك وهو الإمبراطور] ـ طلب قوات تساعده في تمكين ملكه، وتطوع لمساعدته خديو مصر "ماكسميليان" حملة "ماكسميليان"باشا وكلاهما أرسل لـ "اسماعيل"باشا، ثم "سعيد" عسكرية مصرية تفاوتت التقديرات في شأنها ـ فمن التقدير يقول إنها عشرة آلاف جندي مصري، إلى تقدير يصل بهذا الرقم إلا أضعافه ـ وبالفعل فقد ذهب مجندون مصريون ـ فلاحون بالسخرة ـ بالألوف جيشاً مهدى بلا مقابل من خديو مصر إلى [!إمبراطور المكسيك ولم يظهر لهؤلاء الآلاف فيما بعد عدد ـ ولا أثر

....

"جورج واشنطن"وفي كل الأحوال فإن الدولة الأمريكية الناشئة تطبيقاً لوصية .قامت بتصفية كل الجيوب الأوروبية في أمريكا الشمالية
وأكثر من ذلك فأنها انتهزت فرصة الفوضى الأوروبية طوال القرن التاسع عشر ثم أعلنت إن خط المياه وسط المحيط هو حدود سلامتها وحمايتها من صراعات العالم .هو خط الأمن الأمريكي "1823" "مبدأ مونرو"القديم، وأصبح ذلك الخط وفقاً لـ

....

على أرض القارة "حدود سيادة"هكذا عرفت الولايات المتحدة ومارست مبكراً] وصلت إلى منتصف المحيط ـ وذلك ما "حدود أمن"الأمريكية ـ ثم رسمت لنفسها أخذته اسرائيل فيما بعد ومارسته معتبرة أنه اذا كان خط حدودها هو كل فلسطين، ـ إلى إيران وباكستان وجنوب "آرييل شارون"فإن خط أمنها واصل ـ طبقاً لـ وبالطبع فإن الولايات المتحدة تتفهم ـ بوعي التجربة، وحتى دون .السودان [!ضرورة الاعتراف العلني الآن

....

:المفتاح التاسع *
"كاليفورنيا"إن الولايات المتحدة حين استكملت توسعها إلى الغرب وتملكت الأطلسي :ـ وجدت نفسها في موقع فريد مؤدّاه إن المحيطات نفسها "تكساس"و .شرقاً، والهادئ غرباً، ـ هي بذاتها حواجز الأمن الضامنة له

فهذه المساحات الشاسعة من الماء، وهذه الجبال العالية من الموج، عصيّة على أي
وفي أسوأ الأحوال فإن أي جيش غاز لا .جيش غازٍ حتى بعد ظهور وتقدم الطيران
يستطيع أن ينقض على أمريكا مفاجأة، كما تفعل الجيوش الألمانية مع فرنسا مثلاً
.أو مع روسيا
هكذا ظهر في التاريخ لأول مرة وطن تضمن الطبيعة ذاتها أمنه وتعفيه من أي
تهديد خارجي، وكان ذلك حدثاً في الفكر الاستراتيجي مستجدّاً بالكامل، لم يخطر
، ولا "الإسكندر"الثاني، ولا غاز مثل "رمسيس"مثل "فرعون"على بال
."كلاوزفيتز"، ولا مفكر عسكري مثل "نابليون"إمبراطور مثل
وطن ضخم غني بموارده، فادح في ثرواته ـ ومع ذلك فهو غير معرض لتهديد من
.(حتى ظهر عصر الصواريخ في أواخر القرن العشرين)أي نوع

....

وربما إنه يمكن فهم مشروع الدفاع الاستراتيجي بالصواريخ المضادة ـ وهو]
المشروع الذي تقوم الدنيا وتقعد الآن تصدياً له ـ فهماً أعمق إذا جرى النظر إليه
ـ "الأطلسي والهادئ"المحيطين "عازل"على أساس أنه استمرار الإستراتيجية
فمشروع الصواريخ المضادة للصواريخ .الحامي للأمن الأمريكي "العازل"وهو
.يكفل إلا ينفذ في سماء المحيطين تهديد ـ صاروخي ـ يصل إلى الولايات المتحدة
وكان ذلك ـ من وجهة نظر السياسة الأمريكية ـ أفضل، لأنه يقفل الباب على سباق
ومن المنطقة إنه .في الأسلحة النووية تبارت فيه دول كثيرة وقرت لنفسها إمكانياته
وبما ان الولايات .إذا استطاع طرف إلغاء سلاح طرف آخر فإنه يضمن النصر
ـ فإن الصورايخ المضادة للصواريخ "ريجان"المتحدة سابقة ـ بتجربة النجوم أيام
وتلك "هذا مع الأخذ في الحساب .تكفل لها موقع القلعة المنيعة لا يصل اليها تهديد
أن الصواريخ المضادة للصواريخ كفيلة بإلغاء فاعلية كل "نقطة جديرة بالاعتبار
الترسانات النووية التي تملكها ـ ولا تملك غيرها الآن ـ روسيا ـ وتلك الترسانات
التي تملكها بلاد كانت تنتمي إلى الاتحاد السوفيتي سابقاً مثل أوكرانيا ـ وفوق ذلك
ـ وذلك "بريطانيا وفرنسا"تلك الترسانات التي تملكها دول صديقة في الغرب الآن
!من باب الاحتياط ليوم تتغير فيه الأجواء وتختلف ـ وكله جائز
وهكذا فإن الولايات المتحدة في دفاعها عن نفسها لا تتسابق مع طرف، وإنما هي
[!تمنع كل الأطراف مرة واحدة

....

:المفتاح العاشر *
إن قوة الولايات المتحدة ـ المجتمع والدولة ـ عندما نمت وزادت وتراكمت، أصبح

عليها أن تخرج من عزلتها وأن تتوسع بالمصالح والنفوذ إمبراطورياً، وتلك طبائع الأشياء بعد قوة الأشياء.
لكنه كان لافتاً أن أمريكا شاركت في الحربين العالميتين الأولى والثانية بغير نظرية أمن!
وكانت تلك أول إمبراطورية في التاريخ لديها نظرية مصالح ـ وليس نظرية أمن ـ ذلك أنه في غياب "التهديد" لا يوجد مطلب "أمن".
وعلى سبيل المثال فإنه خلال حربين عالميتين، لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية في أي وقت معرضة لغزو، ولا كانت مدينة من مدنها مكشوفة أمام طيران مغير.
وفي اوروبا مثلاً ضربت كل العواصم، بل واحتل معظمها: باريس ـ روما ـ اثينا ـ فيينا ـ وارسو ـ براج ـ برلين ـ وفوقها نصف موسكو على الأقل. ونفس الشيء عواصم آسيا، وفي مقدمتها طوكيو وبكين وسنغافورة.
لكن نيويورك وبوسطن وواشنطن وشيكاجو ولوس أنجلوس وسان فرانسيسكو ونيو أورليانز ظلت طوال سنوات الحرب تمارس حياتها العادية، ولا يشغلها خطرا أو مظنّة خطر. يلفت النظر أكثر في غلبة "نظرية مصلحة" وغياب "نظرية أمن" أن الولايات المتحدة الأمريكية اتخذت قرارها بدخول الحربين العالميتين بناءً على حسابات هادئة باردة تجري تقديراتها من بعيد، وتدقق وتختار لحظتها المناسبة، وحين تكون الضرائب أقل والفوائد أكثر.
○ في الحرب العالمية الأولى ظلت الولايات المتحدة تتابع ما يجري على المسرح الأوروبي ـ ثم قررت الدخول سنة 1917 وكانت نهاية الحرب سنة 1918.
○ وفي الحرب العالمية الثانية ظلت الولايات المتحدة تنتظر حتى بعثر "هتلر" جيوشه في القارة الأوروبية وشمال أفريقيا، وأكثر من ذلك تورط في بحر الثلج الروسي بغزوه للاتحاد السوفيتي أول أغسطس سنة 1941. وبعد خمسة شهور، وعلى استحياء بعد الغارة اليابانية الشهيرة على الأسطول الأمريكي في "بيرل هاربور" دخلت أمريكا الحرب العالمية الثانية يوم 7 ديسمبر 1941 ـ وكانت هزيمة جيوش المحور في ذلك الوقت محققة ـ شبه مضمونة تقريباً.
....
[وكان دخول الولايات المتحدة إلى حرب إرث الإمبراطوريات القديمة تطبيقاً رائعاً لإستراتيجية كان يمارسها القرصان الشهير الكابتن "مورجان" في القرن السابع "عشر ـ وكان الكابتن "مورجان" يرى أن "القرصان العظيم" هو ذلك الذي يهاجم "القراصنة الصغار" العائدين بغنائمهم من مهاجمة السفن المتناثرة في البحار، أو الراجعين بعد الغارات على الموانئ المصدرة للذهب في البحر الكاريبي. كان رأيه

يقومون بالعمل القذر، ثم الاستفراد بهم وهم محملون إلى "القراصنة الصغار"ترك فهي لم تذهب لتستولي على .وكذلك فعلت الولايات المتحدة .الحافة بالغنائم كذلك .المستعمرات واحدة بعد واحدة، وإنما انتظرت لترث الإمبراطوريات "مورجان"وهو الأصل والأساس في عائلة " "مورجان"استراتيجية الكابتن الإنجليزية، والتي ملكت ولا تزال بعضاً من أكبر "ويلز"المهاجرة من مقاطعة [."البنوك والمؤسسات المالية الأمريكية

....

:المفتاح الحادي عشر *

لغياب تهديد يمس الوطن "نظرية أمن قومي"إنه إذا لم تكن للولايات المتحدة حدوداً وعمقاً ـ كما هو شأن أوطان العالم ودوله ـ وإذا كانت للولايات المتحدة فقط ـ فإن هذه مقدمة تترتب عليها نتيجة شديدة الأهمية، "نظرية مصالح قومية" بالمعنى المتعارف عليه في أوطان أخرى "الوطنية"بعيدة الأثر، وتلك هي غياب ذلك أن حيوية الوطنية في بلد من البلدان في أي مكان وزمان هي .وتواريخ مختلفة أي أن التهديد أو احتمال .نتيجة لتهديد مباشر يمس هويته أو أرضه أو استقلاله وأما إذا كانت .التهديد هو الذي يخلق ردّه الفعل والمقاومة، وتلك شرارة الوطنية المشكلة طلب المصلحة، وليس رد التهديد ـ فإن المصلحة لها دواع وحوافز ومحرّكات من نوع مختلف لا يعرف الصمود إلى النفس الأخير ـ ولا الاستعداد .للتضحية ـ ولا القبول بالشهادة

وربما أن ذلك هو التفسير المقنع للحقائق الظاهرة ـ والمؤثرة ـ على السياسة .الأمريكية، خلافاً لدول كبرى وإمبراطوريات سبقت في التاريخ

.ـ الشعور بالطمأنينة، والرغبة في متابعة صراعات الآخرين أو حتى إدارتها من بعد

ـ الدخول في المعارك عندما تميل الموازين إلى الرجحان، ويفوت وقت التضحيات .الكبرى، ويحين وقت تقسيم الغنائم الكبيرة

ـ التردد في مواجهة الموت لأن الدفاع عن المصالح ـ خلافاً للدفاع عن الأوطان ـ لا يعرف الصمود والتضحية والقبول بالشهادة ـ لأنه إذا كانت المسألة مصالح فالكل يريد أن يعيش حتى تتحقق المصالح، وليس لديه استعداد دون حافز يسابق به إلى .الموت ثم يفوز غيره بالجائزة

....

....

ومن المفارقات أنها .ولعل ذلك يفسر عقدة فيتنام حتى الآن في الولايات المتحدة] الحرب الوحيدة الفكرية، أو المبدئية، أو العقائدية ـ التي دخلتها الولايات المتحدة

الأمريكية في تاريخها وخسرتها ـ لأنها نوع من الحروب لا تعرفه أمريكا ولا !تمارسه، وهي من الأصل لم تؤمن به لأن الظروف لم تلجئها إلى هذا الإيمان
بيل "ثم إن ذلك أيضاً هو التفسير المعقول لكون شاب متهرب من خدمة العلم، وهو ، أصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية رغم أن تهربه من الخدمة كان "كلينتون [!معروفاً ومشهوداً

....

....

:المفتاح الثاني عشر *

لا "نظرية المصالح"إنه ذا كان ذلك كله صحيحاً ـ وهو كذلك في الغالب ـ إذن فإن بد أن تجد لها في ممارسة الصراعات وسائل أخرى لا تحتاج إلى الصمود ـ ولا .تنتظر التضحية ـ ولا تلاقي الشهادة

ومعنى ذلك أن عليها أن تمارس صراعاتها أو حروبها بوسائل مبتكرة، أهمها أن تكون المعارك عن بعد، وأن يتحقق النصر بغير دم أمريكي، لأن الدم الأمريكي قد وهنا فسوف يكون " !يسيل ـ إذا سال ـ دفاعاً عن وطن وليس دفاعاً عن مصلحة "أي مصلحة؟ ثم مصلحة من؟ وأين الغنيمة في النهاية؟ :السؤال باستمرار راحت ترسم خططها، "مصالح أمريكية"هكذا ظهرت وموررست استراتيجية !وتجري تحركاتها خطوة بعد خطوة

- وكانت البداية الافتتاحية للإستراتيجية العالمية للولايات المتحدة سفناً تستكشف عبر الأطلسي نحو شمال أفريقيا على طول شاطئها "الشواطئ حاملة منتجاتاً وسلعاً ."من الدار البيضاء إلى الإسكندرية من أواخر القرن الثامن عشر
- والخطوة الثانية بعثات تبشيرية تنادي بنقاء ديني لا تؤثر عليه صراعات الكنائس تواصلت هذه البعثات التبشيرية الأمريكية طوال القرن التاسع "والملوك في أوروبا ."عشر ـ من أعماق الصين إلى أعماق صعيد مصر
- وكذلك ظهرت طوال القرن "بعد البعثات التبشيرية، وامتداداً لها، بعثات تعليمية العشرين جامعات أمريكية يستحق بعضها الاعتراف له ـ مهما كانت الأسباب الداعية ."إليه ـ بأن نتائجه ساعدت على كثير من التنوير ـ خصوصاً في بيروت والقاهرة
- بتدبير ـ أو من غير تدبير ـ إعلام قوى خصوصاً بالصور، وبالذات بعد ظهور ."هوليوود"السينما، ينقل إلى الدنيا نوعاً آخر من الحياة الجذابة، وأصبحت قلعته
- نداء مستمر إلى أكبر عقول العالم في كل التخصصات لكي تذهب إلى إمريكا، بغواية أنه هناك وليس هنا يوجد المجال الحقيقي لهذه العقول لتعمل وتبدع وتطل وتلك حرب استنزاف "على العالم من أوسع نوافذه، وتعود إليه من أوسع أبوابه

."تأخذ من بقية العالم قدراته الخلاّقة

○ مخابرات لم يعرف العالم مثيلاً لوسائلها ومواردها، لأن المطلوب منها أن تلمح بالانقلابات من "أي عائق يعترض المصالح الأمريكية - ثم تتكفل بالقضاء عليه والمخابرات الأمريكية لا تنشط ضد العدو فقط - بل .قبل أن يستفحل ضرره "الداخل - ولا تزال - تركِّز همها للتجسس "إيشلون"وكانت العملية "ضد الصديق مع العدو على أسواق لندن وباريس وبرلين - فأسرار الشركات في هذه العواصم أكثر أهمية ."من أسرار الحكومات

○ العمل على تطوير أسلحة متقدمة تدخل للقتال إذا فرضته الظروف - على أن يكون .القتال من بعيد - ثم يدور ويحقق كامل أهدافه بغير دم أمريكي قدر ما هو ممكن

○ وفى تطوير هذه الأسلحة المتقدمة - بعيدة المدى - فإن الإمكانيات الأمريكية تقدر على تحقيق سبق تنقطع أنفاس الآخرين دونه ثم لا يبلغونه، ويكتشفون بعد فوات .الأوان أنه كان سباقاً إلى الإفلاس

○ وفي أثناء ذلك كله وخلاله - وقبله وبعده - سيطرة على الموارد الرئيسية للعالم كله عن طريق شبكة مصالح معقدة تتولى حماية الموارد البحرية - وتأمين الأجواء - "شرطة إقليمية"وتكفل وجود محطات محلية ومأمونة لتقويم على حماية المصالح وهي محطات يمكن تزويدها بالسلاح وبالمال وبالخبرة دون داع لوجود أمريكي ."وإسرائيل هي النموذج الأشهر"مباشر في ساحات الصراع

○ ترويج لأسلوب حياة معين هو أسلوب الحياة الأمريكية، وإذا كانت أمريكا لم تنتج ثقافة تصاحب القوة وتثبتها، فإنها تستطيع أن تغري العالم بأسلوب ابتدعته، إذا تصرف الناس على مثالك في حياتهم، واستعملوا مفرداتك في "والمنطق فيه أنه - وذلك أكفأ أنواع التأثير - وبعد ذلك فهي "خطابهم - إذن فقد قبلوا رسالتك طواعية الحركة السريعة، والطعام السريع، والصور السريعة، وحتى الملابس السريعة !توضع وتخلع في طرفة عين

**

وكانت تلك المفاتيح - دستة مفاتيح - حصيلة نصف قرن تقريباً - تكرر فيه عبور المحيط أربعة وعشرين مرة، ولعلها أفادت من حقيقة أن العالم العربي كان الساحة الأهم لمطالب الإستراتيجية الأمريكية - ومع ذلك ظل وحتى النهاية يظهر لي، وكان .ما لدى محصور كله في مجال التوصيف لم ينفذ بعد في مجال التحليل

فهي إذن معرفة ناقصة مهما كانت مساحة الزمن الذي توفر لها، ومهما بلغت درجة الجهد الذي بذل فيها، وضمنه عبور المحيط أربعاً وعشرين مرة، وكلام، وحوارات، ."ومفاوضات في بعض المرات"واتصالات

:- مشاهد الهجرة الإمبراطورية4

عبوران للمحيط في البداية للاستكشاف، اربعة وعشرون فيما بعد، ثم عبور لثلاث والمجموع كله تسعة ."لا أحد يستطيع مقاطعة أمريكا"مرات حكمتها مقولة أنه وعشرون عبوراً.

- وقد وقعت 2001وهذه المرة الأخيرة - نهاية الربيع وبداية الصيف في سنة بالمصادفة البحتة على كتاب لفت نظري عنوانه - وراجعت فهرسه، وأخذته معي، ومررت على فصوله في ساعة، ثم توافرت على قراءته تفصيلاً وتدقيقاً في بضع ساعات، وكان شعوري أن الكتاب يطرح على قارئه طريقة معينة في تحليل أمريكا - وليس مجرد توصيفها، مع وجود تداخل بالطبع بين التحليل والتوصيف.

وتوافق وصول الكتاب إليّ مع لحظة تزايد فيها إحساسي بأن هذا البلد يحتاج ألى من يغوص فيه عمقاً ليبحث عن البذور والجذور، وينظر في التركيب النفسي لهذه القوة الجديدة التي نمت تحت سمع الدنيا وبصرها، ولم تكن مثل غيرها من القوى التي نشأت في أعماق الماضي، وقرونه الغابرة التي تباعد عنها الزمن، بحيث شحبت الوقائع وخفتت الأصوات.

وكانت الإمبراطورية الأمريكية ظاهرة مختلفة - فقد نشأت تحت سمع وبصر عالم دخل عصر النهضة بكل وسائله وأدواته المعرفية، وتحت متابعة ورقابة القوى الإمبراطورية التي تحكمت اقتصادياً وسياسياً من معقلها الأوروبي - في قارات العالم القديم، وخصوصاً آسيا وافريقيا - ومع ذلك فإن المسعى الإمبراطوري الأمريكي استطاع أن يغافل الجميع ويسبق، ويأخذ من الإمبراطوريات القديمة ما وبينما كانت الإمبراطوريات .عندها ويضيف عليه، ويتملك ويحتكر في سنوات القديمة ما زالت تتوهم أن مقادير العالم في يدها - إذا أمريكا فجأة وفي أقل من تزيح الجميع وتسيطر، حتى وإن جاءت "وتلك طرفة عين في التاريخ"نصف قرن سيطرتها قليلة الحكمة، ثقيلة اليد، لا تدرك أن الإمبراطورية فن، وأن القوة وحدها حماقة!

....

، أو بـ "العملاق"والشاهد أن الكتاب الذي تحدَّث عنه عنوانه يمكن ترجمته بـ ، واي وصف غير ذلك يفيد معنى زيادة الحجم، مترافقة "الطود"، أو بـ "المارد" في نيويورك، 2001- وقد صدر سنة Colossusمع زيادة القوة، والعنوان هو فصلاً، وشارك في وضعه أكثر من ثلاثين مؤلفاً، 38صفحات على 506وهو في قام بعضهم على كتابة أكثر من فصل فيه، وقصدُهم أن يكون نظرة بالعمق على نشأة ومن جانبي فقد أحسست طوال قراءة الكتاب أنني أمام .الدولة والقوة الأمريكية

واللافت للنظر في .عملية تحليل نفسي دقيق ـ مضيء وكاشف للتجربة الأمريكية فصول الكتاب أن مؤلفيه على اختلاف مواضع اهتمامهم توافقوا فيما بينهم على أسلوب يستخدم التوثيق الاجتماعي الذي تكمن أهميته في خلوه من الأسرار والخبايا، وفي أنه يرجع إلى مصادر أتيحت لكل الناس، ولم يتوقفوا طويلاً عندها لأنها من مشاهد حياة كل يوم، وفي ذلك ينسى الكثيرون أن مشاهد حياة كل يوم هي المسودّة الأولى للتاريخ بأكثر من الأوراق المحفوظة في الخزائن تحت الأقفال !والأختام

والمشاهد التي توقف أمامها المؤلفون كثيرة، وكلها أشبه ما تكون بطبقات، فوقها طبقات، وتحتها طبقات، وتكاد كل واحدة منها أن تكون قناعاً ينزاح فتسفر وراءه لمحة من وجه الحقيقة التي صنعت التركيبة النفسية للقوة الأهم في التاريخ وفي :الدنيا

:مشهد *

إن المهاجرين الأول إلى أمريكا أذهلهم ما وجدوه من ثراء مكدس لا يخطر على البال، وأبلغ تصوير لذهول المهاجرين الأول يرد في حوار مشهد مسرحي لرواية :، وعنوانها فرجينيا"المسرح الشرقي"ـ في لندن على 1605عرضت ـ سنة فرجينيا، وكانت من "ولاية"ـ والإشارة واضحة إلى أقاليم "فردوس العالم الفريد أول مواطن الهجرة إلى أمريكا، وأصبحت أشهرها، والسبب كما يرد في سياق أحدهما كان اسمه المسرحية يظهر في حوار بين اثنين من أبطالها،

:ـ والحوار يجري على النحو التالي "سيجال"والثاني "سكابتريست"

هل الكنوز وفيرة على هذا النحو هناك كما ..ولكن قل لي يا كابتن :سكابتريست" سمعت؟

الذهب بالأكوام حيثما .الذهب هناك أكثر من النحاس هنا .اسمعني أقول لك :سيجال كل شيء مصنوع من الذهب حتى سلاسل ..كل شيء .كل الأواني من الذهب .نظرت وأما المجوهرات فهي منثورة حيثما أدرت البصر، حتى على ملابس .الأسرى "!الأطفال هناك، مرصعة بياقوت وزمرد يخطف بصرك إذا التفت إليهم

:مشهد *

يكتشف المهاجرون الأول ـ حتى في فيرجينيا ـ أن الموارد الطبيعية لها قيمة تستطيع إنتاج ثراء يفوق كل ما يلمع من ذهب سلاسل الأسرى، وياقوت وزمرد ملابس الأطفال ـ ثم إن الجهد المطلوب لتحقيق هذا الثراء بسيط، وان كان يحتاج بسرعة إلى رأس مال يتمثل في أدوات للزراعة، وللبناء، ولتمهيد الطرق، وكلها لا وذلك ممكن لأن الذين سمعوا عن موارد .بد أن تجيء من الشاطئ الآخر للمحيط

العالم الجديد مستعدون للاستثمار فيها، لكنهم لبعد المسافات يريدون ضمانات، وأول الضمانات تنظيم مضمون لحركة أموالهم، يصون لهم حقهم في الأصل إطار 1607وهنا يظهر سنة .وأرباحه ـ ويضبط محدودية خسائرهم إذا وقعت يديرها من بعيد مفوضون عن ملاكها، ويكون "فرجينيا"الشركة المساهمة ـ شركة عليهم نوع من نظام يتابع، ويتأكد أن الأرباح واصلة، وأن الخسائر محدودة، لأن .كل مساهم لا يلتزم بما هو أكثر من نصيبه في رأس المال
إن من يريد أن يفهم أمريكا عليه أن يدرس " :ويقول كاتب هذا الفصل من الكتاب إن بداية الولايات المتحدة " :ثم يضيف ."بعناية فكرة الشركة المساهمة المحدودة وكان رأس مال شركة ."فرجينيا"الحقيقية كانت شركات من نوع شركة ، وكان احد "بقيمة نقود ذلك الزمان"مائة ألف جنيه إسترليني "فرجينيا" الوزير الشهير في عصر) "فرانسيس بيكون"المساهمين البارزين فيها السير .("جيمس"الأولى، وخلفها الملك "إليزابيث"الملكة
، وقد "فرجينيا"وكان أهم ما قامت به الشركة شق طرق واصلة إلى مختلف أنحاء فرضت الشركة رسوم مرور يدفعها المسافرون عليها في كل مرة يستفيدون منها، وكان ذلك اختراعاً جديداً في أداء الخدمات يستوفي ثمنها أولاً بأول من لحظة وكانت تلك بداية مشروعات الطرق الكبرى، يدفع تكاليفها المستفيدون " ".إنشائها ."!منها كلما سافروا عليها
شركة :وخلال مائة سنة كانت الشركة هي الولاية والولاية هي الشركة ."فيرجينيا"
:مشهد *
يتنبّه الهنود الحمر من سكان أمريكا الأصليين إلى أن المهاجرين البيض الذين نزلوا وما خطفوه "على شواطئهم لم يعد يكفيهم ما امتدت إليه أيديهم من ذهب وجواهر ـ وإنما هم الآن ينصبون خياماً على الأرض، ويدقون ويحفرون، "!من بنات ونساء ،وهو "جاك بيتي"ويورد .وقد جاءوا بآلات وبذور ـ وإذن فهي إقامة وليست زيارة ، 1624مكتوباً سنة "فرجينيا"، واحداً من تقارير شركة "العملاق"محرر كتاب :ومرسلاً إلى جمعية المساهمين بها في لندن، وفيه بالنص
فهم همج، .إن الخلاص من الهنود الحمر أرخص بكثير من أية محاولة لتمدينه" برابرة، عراة، متفرقون جماعات في مواطن مختلفة، وهذا يجعل تمدينهم صعباً، وإذا كانت محاولة تمدينهم سوف تأخذ وقتاً طويلاً، فإن .لكن النصر عليهم سهل بالقوة بالمفاجأة، بالتجويع، :إبادتهم تختصره، ووسائلنا إلى النصر عليهم كثيرة بحرق المحاصيل، بتدمير القوارب والبيوت، بتمزيق شباك الصيد، وفي المرحلة

الأخيرة المطاردة بالجياد السريعة والكلاب المدربة التي تخيفهم لأنها تنهش جسدهم ".العاري
مشهد *:
يظهر في تقارير الحكومة البريطانية خطاب يفرق بين 1633في خطاب بتاريخ سنة ، وهؤلاء - طبقاً "فرجينيا"أنواع من المهاجرين، بالتحديد هؤلاء الذين هاجروا إلى لكن هناك مهاجرين من نوع آخر .للخطاب - مهاجرون هدفهم الربح بأية وسيلة ، وكلهم عائلات هاجرت هرباً من الاضطهاد الديني "نيو إنجلند"ظهروا في ، وقد جاءوا من سويسرا وهولندا واسكتلندا وغيرها "كالفين"معظمهم من أتباع وهؤلاء المتدينون أنشأوا شركات .حيث انتشرت دعوة التطهر الديني والنقاء ، "رضا الله"يؤمن المساهمون فيها بـ "أخلاقية"تجارية، ولكنها شركات وقد أسس .عنهم "رضا الله"ويعتبرون زيادة أرباح استثماراهم شاهدهم على منطقاً - شبه عقيدة ينظمون به أعمالهم، ويديرون شركاتهم "الأخلاقيون" هؤلاء توماس "، وخلاصة منطقهم طبقاً لخطبة شهيرة لراعي كنيستهم "نيو إنجلند"في الضفاف كما "و ."أنه لا بد من ضفاف للماء وإلا علا سيله وأغرق الجميع "شبرد رضا "هي أن يعمل البشر جادين على رفع مستوى أنفسهم بما يلقى "شبرد"يراها على زيادة الثروة، "اخلاص مسيحي"- ووسيلتهم إلى ذلك هي العمل بـ "الله عن المخلصين له يتمثل "رضا الله"و .وتوسيع الملكية، وإعلاء بناء البيوت المال والأرض "بكثرة "الطوفان"بالضبط في تحقيق هذه الأهداف، أي في زيادة "مرهونة بـ "زيادة النجاح"أن "يتذكر المؤمنون"- ولا بد أن "والعقار ضفاف "، والاثنين معاً "الثراء دين"، و"الدين ثراء"، وبالتالي فإن "الإيمان !"الماء حتى لا يسيل ويغرق الجميع
تكبر الشركات، وتتراكم الثروات، وتظهر الحاجة "نيوإنجلند"وفي "فرجينيا"وفي إلى توكيلات على الشواطئ تتعامل مع أوروبا في الاستيراد والتصدير، ثم تقوم وظهرت .شركات أخرى على صناعة التخزين لأن الملاحة مواسم،والزراعة مواسم في أمريكا بدايات أسر فعلت كل شيء حتى تغتني، وفي حين أن بعض طالبي الغنى !- بالصلاة !طارد الثراء جهاراً نهاراً بالسلاح، فإن بعضهم استدعاه جهاراً نهاراً -
مشهد *:
التي تعمل من الشاطئ الشرقي للولايات المتحدة حيث "الولايات"لكن الشركات نزلت أولى موجات الهجرة واستقرت، ومضت تزرع وتتاجر، وتغتني وتراكم الثروة ذلك أنه .- راحت تواجه مشكلة تحجم نشاطها بالرغم منها، وهي مشكلة اليد العاملة - لم يزد عدد المهاجرين من اوروبا عبر المحيط عن ربع 1700حتى قرابة سنة

مليون مهاجر، وكلهم يريد المال والأرض والعقار، وليس فيهم أحد يريد أن يكون أجيراً، وإلا فلماذا ركب جبال الموج وجاء إلى أرض الميعاد.
وممن تتم عملية "الى جانب ذلك فإن سكان البلاد الأصليين من الهنود الحمر ـ ليسوا على استعداد للعمل، ولا "إبادتهم لأنهم همج لا يصلحون للتمدين ولا للتدين لخدمة هؤلاء الذين انقضوا عليهم مع أمواج المحيط.
تشتغل ولا .والحل العملي الذي يطرح نفسه هو الإتيان عن أي طريق بيد عاملة أي عضلات تعمل "العبودية"والحل هو .وتقبل بالقليل ولا تنتظر زيادة .تشارك بطعامها وليس أكثر، وطاعة تقبل الأمر لأنها لقنت تحت الأسر درس الطاعة "شركات مساهمة أيضاً"وكذلك قامت في أمريكا شركات .بالسلاسل والسياط الذي قام على كتابة الفصل "جيمس هيدجز"ويورد ."تجارة العبيد"نشاطها كما سماها ـ مجموعة من أوراق إحدى الشركات "التجارة في الأرواح"الخاص بـ "سالي"المساهمة في هذا المجال، وقد ركز فيها على سجلات سفينة الشحن ."أيسيك هوبكنز"وقبطانها
نيكولاس وبراد ـ شركة "توجيه من الملاك "سالي"وفي سجلات السفينة إننا نثق فيك وفي إخلاصك لنا، وخدمتك لمصالحنا، " :يقول للقبطان "مساهمة وتشحن سفينتك بمن "شاطئ غينيا"ونحن نفوضك بأن تذهب إلى شواطئ أفريقيا التي تراها، وأنت مخول أن تبيع "بالوسائل"تستطيع أن تجلبهم من العبيد وتشتري منهم كما تشاء في طريق رحلتك إلى أمريكا عندما تتوقف في جزيرة عبد 100عبيد لك مقابل كل 4ونذكّرُك طبقاً للعقد بأن حصتك هي ."باربادوس" ونريد أن .من ربح الحمولة عندما يتم بيعها 5%للشركة، مضافاً إلى هذا نسبة "!نذكرك بأن السرعة في هذه التجارة مطلوبة لأن الحاجة إلى اليد العاملة ماسة ، وهو يكتبها بالتفصيل لتكون "هوبكنز"يوميات قبطانها "سالي"وضمن سجلات في علم المساهمين عندما يتحاسب معهم على حصيلة أرباح رحلته:
!"عبدة ـ فتاة"الروم مقابل "مشروب"من "جالون"قدَّمت لشيخ القبيلة "
- جنيهات لشراء صبي 7دفعت.
- عبيد صالحين للعمل هذا اليوم بعد الظهر مقابل بصل وسكر وروم 5اشتريت للجلاب.
- ـ واحدة من العبيد شنقت نفسها .عبداً 196حمولتنا الآن.
- ثلاثة عبيد قفزوا إلى البحر ولم نستطع إنقاذهم من الغرق، وقررنا حبس الباقين ـ وربطنا الأسرى بالحبال "وكنا نخصصه لبقرتين معنا"في العنبر الأسفل للسفينة.
وسوف نبدأ رحلة العودة نحو الكاريبي غداً !الحمولة الآن كاملة العدد وزيادة ـ.

أول "في ذلك الوقت "ماساشوستس"و "نيوإنجلند"و "فرجينيا"وفي سجلات]
سفينة - 1200أربعمائة شركة في تجارة العبيد تملك حوالي "القرن الثامن عشر
.[غير مئات الشركات ومئات السفن تعمل في أوروبا
:مشهد *
، ومع بداية القرن التاسع عشر - أي بعد قرن كامل من تأسيس الشركات 1800سنة المساهمة المتاجرة في العبيد - سواء تلك التي عملت من أمريكا - أو التي تعاملت معها من أوروبا ومن شواطئ أفريقيا - وصل عدد العبيد الذين حملتهم السفن عبر المحيط إلى ثلاثين مليوناً من البشر - من الأرواح - هذا غير عدد غير معروف - وينقل كاتب .بالملايين - ماتوا في السفن وألقيت جثثهم في المحيط طعاماً للحيتان - عن كتاب آخر سبقه - صفحة كاملة "العملاق"الفصل الخاص بالعبيد في كتاب دور العبودية في نمو "وجدها أكثر دقة وأمانة في التعبير، والكتاب السابق عنوانه يرد ما يلي "254"وفي الصفحة ."محركات النمو :نيوإنجلند "ولاية"مستعمرة
:بالنص
وقد كانت .نيو إنجلند أغنى مناطق أمريكا "ولاية"كانت مستعمرة 1770سنة " وكان محرك النمو هو العبيد .بالفعل قصة نجاح رائع، وطاقة في الإنتاج لا مثيل لها الذين كانوا العنصر الفاعل على الأرض وفي المصانع، والترس الدوار في عجلة كان العبيد هم أساس الزراعة، وعماد :التجارة والتصدير إلى أوروبا وغيرها ."الصناعات القائمة عليها مثل السكر والتبغ، وغير ذلك من المنتجات الأخرى
باختصار كانت العبودية هي " :وتختم الصفحة المستعارة من كتاب سابق قائلة وبرغم أن عدد تجار العبيد في .المولد الأكبر للثروة الزراعية والصناعية والتجارية لم يكن كبيراً، فإن كل التجارة بعموم اعتمدت إلى آخر حد على "نيو إنجلند"
".عبيد هؤلاء التجار"عبيدهم
عندما ظهرت قوة البخار - "لا إنسانية تجارة العبيد"ثم بدأت الأصوات ترتفع بـ بعدها وليس قبلها - فتلك طاقة أقوى من عضلات العبيد مئات المرات، ومحركاتها لا تحتاج إلى وجبات طعام أو حظائر نوم، أو حراسة ليل ونهار تضمن أن لا يهرب وكانت نسبة الهرب أو الانتحار أعلى بين النساء منها بين "العبد أو ينتحر
."الرجال
ويبدو أنه في تلك الفترة ظهرت وانتشرت أدبيات واسعة تعارض تحرير العبيد أو
:وكانت الحجج الأكثر تردداً وتكراراً ."التجارة في الأرواح"تقييد
- إن استعمال البخار ليس له أن ينهى دور العبيد في الانتاج، فهذه وسيلة، وتلك "
.وسيلة وكلتا الوسيلتين تؤدى دوراً يتكامل - ولا يتعارض - مع الأخرى

ـ وإذا أوقف التجار الأمريكيون تجارتهم في العبيد فإن غيرهم من جنسيات أخرى
.سوف يحصلون على الفائدة، والأرباح
التي لا تعرف "الأرواح"ـ والقيود على تجارة العبيد سوف تكون وبالاً على هذه
.فيها "التجارة"يده عن "السيد"ماذا تفعل أو كيف تعيش إذا رفع
ـ إن السلطات لا يصح لها أن تتدخل في حرية التجارة بأي شكل من الأشكال، لأن
ذلك يتعارض مع الفكرة الرئيسية التي قامت عليها أمريكا، وهي الحرية ـ حتى من
وضمن حجج المنطق أنه لا يصح لأحد أن ينسى أن ضيق أفق القانون "القانون
."كان مشكلة المشاكل في العالم القديم
:مشهد *
لأمريكا أن تبتعد عن أوروبا ـ فإن أمريكا مع مطلع القرن "واشنطن"وبرغم وصية
وكانت تلك فترة .التاسع عشر اقتربت لكي تكون أكبر مستفيد من مصائب أوروبا
الطاحنة، ومسرح عمليات المطاردة "نابليون"الثورات الكبرى، وزمن حروب
البحرية والحصار حول القارة الأوروبية، لكن السفن الأمريكية شراعية ـ وبخارية
، فهي بعيدة لا تطولها المعارك ولا إجراءات "الحياد"فيما بعد ـ كانت لها ميزة
الحصار، والسفن التي تحمل الأعلام الأمريكية لا شأن لها بصراعات أوروبا التي
كانت لدولها وشركاتها وأفرادها استثمارات واسعة في العالم الجديد تحرص عليها
وفي هذه الحقبة من الاضطراب في .وتحاول إخراجها من دائرة النزاع والخطر
أوروبا تمكنت التجارة الأمريكية من السيطرة على الملاحة في المحيط الأطلسي،
وبنت لنفسها فوق الموج سعة سفن تزيد عما تملكه بريطانيا أو فرنسا، وكان ذلك
لأن السفن "بنما"خروجاً كثيفاً إلى اعالي البحار ـ زادت معدلاته بعد شق قناة
الأمريكية أصبحت قادرة على الانتشار في المحيط الهادئ نفس قدرتها في المحيط
.الأطلسي
وبذلك فإن المحيطات الحامية لأمريكا لم تعد مساحات شاسعة فقط، وإنما أصبحت
أيضاً مناطق مأهولة ـ أمريكياً ـ لأن أساطيل أوروبا بقيت قريبة من شواطئها
تمارس الحصار أو محصورة هي نفسها ـ بينما أصبح العلم الأمريكي في الأطلسي
علم الملاءمة، تتحرك تحته البضائع بحرية، وتتوقاه أعمال المصادرة، لأن الكل
!يستفيد منه أو يحاول أن يستفيد
:مشهد *
وعندما جاءت قوة البخار ـ كان أول قادم بعدها هو القطار، وكان بناء السكك
أن مد خطوط "العملاق"محرر كتاب "جاك بيتي"ويكتب .الحديدية في أمريكا
على اتّساع قارة "قاهر المسافات وموحد الأرجاء"السكك الحديدية كان هو

.بأكملها
كانت أمريكا منذ البداية كنزاً هائلاً ـ لكن حجمه كان مشكلة لأن النفاذ إلى عمقه كان يمشي بسرعة الحيوان، ومداه الأسرع هو سعة رئة الحصان ـ فلما جاء القطار البخاري على البر ومعه السفينة البخارية في النهر والبحيرة واستسلمت القارة بأكملها للاستغلال والاستثمار، للإنتاج وللتوزيع، وعندما لحق برق التلغراف بطاقة البخار تحولت القارة إلى شبكة اقتصادية ومالية واحدة مع حجم لم يعرف له في العالم مثيل، وذلك طبيعي لأنه لم يحدث من قبل أن انفتحت قارة كاملة بكل مواردها صوت قطار السكة "وشاعت في تلك الأيام مقولة أن .وكل طاقاتها على هذا النحو !"الحديد هو نبض القارة الأمريكية ـ يدق
وكان الفضاء الأمريكي أكبر مشجع ومناد لقوة البخار ـ وكان أن الميكنة بتفاعلها .مع هذا الفضاء الأمريكي تمارس صنع معجزة في الإنتاج تجاوزت كل التوقعات
ثم كانت الحرب الأهلية الأمريكية هي القبضة التي كسرت آخر الحواجز على أرض مدنية القارة، لأن الحرب الأهلية عبّأت قوى، وحلقت صناعات ضرورية وعسكرية، وضمنها ثورة في صناعة النسيج حتى يلبس الجنود في الصيف وفي الشتاء، وكانت الإضافة الأكبر في صناعة النسيج أن الأطفال أصبحوا عمالها ـ لأن .الرجال كانوا في الحرب، والنساء في المزارع ـ خصوصاً مزارع القطن
والجنوب "الصناعي"وحين سقطت آخر الحواجز في القارة بين الشمال ـ وعاد الرجال من ميادين القتال ـ كانت الرأسمالية الأمريكية جاهزة "الزراعي" لأداء دورها في سوق اتسع بما فاق الخيال، وساعدته ثروات راكمتها فرصة التجارة أثناء انشغال أوروبا بصراعاتها ـ وفرصة الصناعة التي اقتضتها ضغوط .الحرب الأهلية ـ وفرصة الضرورات التي قضت أن يعمل كل السكان ـ حتى الأطفال
:مشهد *
كانت الرأسمالية الأمريكية من طراز مختلف عما عرفته أوروبا أو آسيا ـ فهذه رأسمالية جديدة، عاملة، ومقاتلة، بل وعدوانية، وليست رأسمالية إقطاعية ووراثية فالرأسمالية الأمريكية راكمت ثرواتها من أرض الهنود .وعلى مشارف الانحلال الحمر التي صادرتها وزرعتها، ومن جهد العبيد الذين جلبتهم ورفعت سوط الجلاد فوق ظهورهم، ومن تجارة المحيط التي سيطرت عليها في غفلة من أوروبا، ومن موارد قارة شاسعة وغنية وصلت خطوط السكك الحديدية إلى كل إرجائها طولاً لم "قلب من حديد"وعرضاً، وجعلتها سوقاً واحدة ـ ثم إنها كانت رأسمالية لها تؤثر عليه الثقافة ـ كما حدث في أوروبا ـ فلم يلن لصوت الموسيقى، ولم يتأثر بمسرح النهضة، ولم يجرب المتعة إلى درجة الانحلال في قصور وأسر أوروبا

."بوربون"وآل "رومانوف"وآل "هابسبورج"الحاكمة مثل آل
وفي حين أن الرأسمالية الأوروبية الإقطاعية الوارثة قاومت انتشار التعليم ـ فإن أي عامل يتعلم له "أول ذكاء الرأسمالية الأمريكية إدراكها لأهمية التعليم بمنطق أن !ـ وكان المهم هو ماذا يتعلم؟ "قدرة إنتاجية أكثر من عامل جاهل
صفحة من كتاب يدرسه تلاميذ المرحلة "العملاق"وينقل واحد من مؤلفي كتاب ، والصفحة 1833سنة "نيو إنجلند"الابتدائية ضمن منهج بدأ تعميمه في ولاية :على شكل أسئلة وأجوبة تجري على النحو التالي
لنفرض أن الرأسمالي الذي يستثمر أمواله حقق أرباحاً كبيرة، فهل هذا يضر :س" بالرجل العامل؟
.ذلك يساعده على أن يدفع أجوراً أحسن لعماله ..بالعكس :ج
أن يدخر رجل غني أمواله ليستثمرها، أو يصرفها على هواه؟ ..ما هو الأفضل :س
.بالطبع يدخر ويستثمر :ج
هل يمكن أن تشعر بالأسف لأن رجلاً حقق أرباحاً طائلة؟ :س
.سوف أكون شديد السعادة ..بالعكس :ج
ما الذي يحول رجلاً من عامل إلى رأسمالي؟ :س
."أن يدخر :ج
!وهكذا سؤال وجواب ملء صفحة، وملء كتاب بأكمله
يبدأه التعليم ـ ثم تجربة "ترويض الوعي"وهنا كانت أمريكا تقدم نموذجاً جديداً في ."وفيما بعد جاء دور الإعلام"العمل ـ
:مشهد *
كانت الرأسمالية الأمريكية تنمو وتنمو، وكانت قدرتها على التنظيم خرافية لأن وهكذا .المجال أمامها مفتوح للتجديد والنمو، والاندماج في وحدات لها قوة ودول ، وتمتلك النصيب الأكبر من "ستاندارد أويْل"تحت اسم "روكفللر"ظهرت دولة بترول أمريكا الشمالية، ثم راحت تنزل على أمريكا الجنوبية وتكاد تحول فنزويلا إن الله أعطاني ثروتي "الذي كان شعاره "روكفللر"إلى مستعمرة لإمبراطورية ."وليس من حق بشر أن يعترض على إرادة الله
ـ ضمن فصول كتاب "بول جونسون"وفي فصل كتبه المؤرخ الإنجليزي الشهير :كلامه قائلاً "جونسون"بدأ "العملاق"
:هناك في تاريخ أمريكا نوعان من الآباء المؤسسين للولايات المتحدة"
ـ نوع من صانعي الاستقلال وكاتبي وثائق الدستور، قادوا محاولة تطوير
ـ "صمويل جونسون"ـ و "ألكسندر هاملتون"رجال مثل " "دولة"إلى "الشركة"

."ـ وغيرهم "بنيامين فرانكلين"ـ و "جيمس ماديسون"و
، قادوا الرأسمالية الأمريكية وحاولوا أن "البارونات اللصوص"ـ ونوع ثان من
"فورد"، ثم رجال مثل "روكفللر" "الدولة"من طغيان "الشركة"يحموا
."راند"و "ديللون"و "فاندر بيلت"و
أصلٌ في مجازاً بلاغياً، وإنما كان للتعبير "البارونات اللصوص"ولم يكن تعبير
ذلك أن الرأسمالية الأمريكية بنت قوتها الطالعة على عصر جديد تحققت .الحقيقة
كل اكتشافاته في أوروبا، وقد أخذت الرأسمالية الأمريكية هذه الاكتشافات
.وأخضعتها لفكرة التنظيم الذي لا يحده قيدٌ من عرف أو تقليد
وذلك حدث للسيارة، وللطائرة، وللكهرباء، وللطاقة النووية، وللتليفون واللاسلكي،
.وللكومبيوتر، وللصواريخ ـ وحتى لمساحيق التجميل
ومثلاً فإن أوروبا كانت هي التي بدأت صناعة السيارات، لكن تدافع العمّال في
ورشة وانكفاءهم لإنهاء العمل كان يستغرق ثلاثة أيام لصنع سيارة واحدة ـ ثم
مسار واحد لهيكل السيارة :في التنظيم إلى فكرة خط التجميع "هنري فورد"توصَّل
يضيف إليه كل عامل يمر أمامه مسماراً واحداً أو صامولة واحدة ـ وتم اختصار مدة
صنع سيارة واحدة من ثلاثة أيام إلى ثلاث ساعات، وخطوط التجميع صفوفاً ـ واحداً
إلى جانب الآخر ـ والعمال لا يتزاحمون أو ينتظر بعضهم بعضاً، وإنما هم واقفون
وكان .في أماكنهم وخط التجميع يمر أمامهم، ويؤدى كل واحد منهم حركته بسرعة
ذلك فتحاً في وسائل الإنتاج وصل بأمريكا إلى أن تصبح الأقوى في العالم صناعياً
.وتجارياً
في سؤال "جاك بيتي"وكانت الرأسمالية الأمريكية قد وضعت لنفسها هدفاً صاغه
:واحد
!"كيف يمكن تحويل ترف الرجل الغني ـ إلى حاجة يومية للرجل العادي؟"
وذلك ما حدث للسيارة، وحدث للكهرباء، وحدث للتليفون، وحدث فيما بعد :وقد كان
.للتليفزيون، والغسالة الكهربائية، وجهاز تكييف الهواء، والكومبيوتر
.وكذلك أصبح الترف الذي خطر للأغنياء حلماً ـ سلعاً جاهزة تحت تصرف الأجراء
وكان ذلك عالماً جديداً واعداً ـ وقاسياً في نفس الوقت ـ لأن السيطرة على هذه
نص خطاب بعث "جاك بيتي"وينقل .السوق المتسعة كل يوم تحتاج وسائل مختلفة
إلى منافس له، معتبراً أن ذلك "كورنيليوس فاندر بيلت"به المليونير الشهير
كذلك " "المتوحشة"الخطاب أبلغ تصوير وقع عليه لروح الرأسمالية الأمريكية
."تعبيره
تحول "والشاهد أن الخطاب نص شديد الاختصار موجه إلى شريك لـ فاندر بيلت

والنص كما يلي موجه إلى مجلس إدارة الشركة .إلى منافس له وأقام شركة مستقلة
:المستقلة
:السادة"
ولن أقاضيكم لأن إجراءات القانون تأخذ زمناً طويلاً، ولهذا .إنكم حاولتم خداعي
:المخلص I' ll ruin you . "أخرب بيوتكم"فإني سوف
.كورنيليون فاندر بيلت
:مشهد *

ومع ذلك فقد كانت الرأسمالية الأمريكية التي أكدت سطوتها في حاجة إلى ترتيبات نظام سياسي قوي ـ ونظام قضائي أقوى ـ وقانون يسري على كل :تحمي الثروة باستثناء الهنود الحمر الذي حوصروا في مستوطناتهم، وباستثناء العبيد "الناس "!الذين سقطت عنهم صكوك العبودية وذلك يكفيهم

كانت الحاجة إلى نوع من القانون ماسة في أمريكا منذ نشأتها، خصوصاً على الشواطئ الشرقية التي ظهرت عليها موانئ التجارة عبر المحيط ومخازن السلع ثم إن المستثمرين الأوروبيين الذين أنشئوا ."مستوردة أو جاهزة للتصدير" الشركات المساهمة الأولى للتجارة، واعتمدوا فيها على المسئولية المحدودة وعلى .الثقة بالمفوضين عبر المحيط ـ كانوا أيضاً في حاجة إلى حماية قانون

وحتى المغامرون الذين بدءوا بالدخول إلى عمق القارة بحثاً عن الفرص الهائلة المعروضة في انتظارهم ـ كانوا في حاجة إلى وسائط اتصال وتأمين وتمويل يعطونها ما لديهم في مقابل أن تزودهم حيث كانوا بما يحتاجون إليه في حياتهم ـ وذلك ما .حتى المسدسات وطلقات النار ـ وتلك علاقات تتطلب قدراً هائلاً من الثقة عن أصل " "شريف"أعطى سلطة غير محدودة لرجل الأمن الذي أطلقوا عليه لقب ."عربي انتقل إلى أمريكا أيام الإسلام في الأندلس

وفي الحقيقة فإن الحاجة قضت بإطارات متعددة للقانون ـ فالشواطئ والموانئ والمخازن تحتاج إلى أطر قانونية لها مواصفاتها ـ لكن الداخل الذي يغزو الأرض الجديدة ويتجّه غرباً يحتاج إلى أطر قانونية لها مواصفات معقدة ـ ثم إن المساحات الشاسعة المفتوحة كانت لها حياة تحتاج إلى أطر قانونية أوسع، وذلك جعل القانون وكان .الأمريكي عوالم متداخلة وليس عالماً واحداً كما هو الشأن في بلاد أخرى وفي .المكلفون بوضع أطر القوانين في أمريكا أحسن المشرعين وضعاً في التاريخ حين أن القوانين في أوروبا صاغتها احتكاكات طبقات من النبلاء، وطبقات من الإقطاعيين، وطبقات من البورجوازيين الكبار والمتوسطين والصغار، وطبقات من الفلاحين، وطبقات من العمال ـ فإن عملية وضع القوانين الأمريكية كان أمامها أن

تطلع على التراث السياسي والقانوني بكل غناه وخصوبته، وأن تستوعب، وأن تستوحي ما تشاء، وتصوغه من جديد على أحوالها، وتفصله تفصيلاً محكماً على مصالح وعلاقات أمامها على مساحة قارة جديدة.
مشهد *:
لا يكفيهم "فاندربيلت"وجدت آخرين غير "وحشية البارونات اللصوص"لكن القانون، ولا يحتاجون إلى خراب بيت خصومهم!
وجدت من يرفع A T & Tوبالفعل فإن الشركة الأمريكية للتليفون والتلغراف ضدها عشرات القضايا لأن احتكارتها أصبحت عابرة لكل الولايات، وتهمتها أنها لا وأحسّت الشركة أن صورتها تتأثر، وقررت أن تحاول ."لقمة لأحد"تريد أن تترك وكان أن لجأت الشركة إلى .يمكن إشاعتها بين الناس ."بمسحة ملائكية"تغييرها ـ وكانت تلك سنة "أن يفعل لها شيئاً"طالبة منه "آير"مشتغل بالأعلان اسمه أن شركة "آير"واكتشف ."في عصر الصناعة"بداية فن العلاقات العامة 1908 التليفون والتلغراف الأمريكية تعرض خدماتها على الناس تحت حملة إعلانات ـ وقرر أن !"لأنهم لا يستطيعون الاستغناء عنها"تناديهم أن يأخذوا خدماتها البداية من هنا، فاختار لإعلانات الشركة شعارات جديدة تخاطب المستهلكين:
ـ "ولاؤنا تحت تصرفك"ـ و "روح الخدمة العامة دافعنا"ـ "هدفنا أن نخدمك" ."أنت شريك معنا"
.وتغيرت صورة الشركة الأمريكية للتليفون والتلغراف
وبلغ ،. وهو فنٌ أمريكي"فناً قائماً بذاته"وأصبحت العلاقات العامة من يومها طغيان هذا الفن في تأثيره على الرأي العام الأمريكي حداً دعا كثيرين إلى التخوف وذهب أحد أصدقاء الرئيس .سوف يفلت عيارهم "البارونات اللصوص"من أن يلفت نظره إلى ضرورة عمل شيء، وكان ردُّ "تيودور رزفلت"الأمريكي الأسبق أنت تريديني أن " :بعبارة صارت مثلاً في التاريخ الأمريكي الحديث "الرئيس" !"أمارس الحب مع فيل
مشهد *:
لم تكن وحشية الرأسمالية الأمريكية مظلمة ـ كما كان إقطاع القرون الوسطى في أوروبا.
وكذلك فإن الرأسمالية التي أدركت في بدايات القرن التاسع عشر أهمية التعليم على طريقة الاستثمار والأجور والادخار، ـ وصلت إلى أواخر القرن التاسع عشر وهي على يقين من أنه إذا أرادت أمريكا أن تخرج للعالم وتلعب دورها فيه فإنها في حاجة إلى تعليم من نوع جديد، وكان أن بعضاً من أهم مؤسسات التعليم الحديث جرى

إنشاؤها، وأقيمت جامعات في الولايات المتحدة الأمريكية تحمل أسماء مؤسسيها
.وغيرها .."ستانفورد"ـ "ييل"ـ "هارفارد" :القادرين على التمويل والدعم
وإلى جانب التعليم أدركت الرأسمالية حاجتها إلى المعرفة، فإذا مؤسسات الفكر
والبحث الكبرى تلقح بالجامعات وهي الأخرى تحمل أسماء القادرين على التمويل
.وغيرها .."راند"ـ "فورد"ـ "روكفللر" :والدعم
كانت أمريكا على وشك أن تنافس العالم في جامعات التعليم العالي ـ وكانت قد بدأت
وقد استطاعت هذه المؤسسات بالفعل أن "تسبقه بمؤسسات التفكير والبحث
ـ وتلك طبيعة "التغيير"تستوعب طاقة المثقفين الأمريكيين، وبدلاً من نزوعهم ألى
المثقف ـ تم تجنيد فكرهم لصالح التقدم وليس لصالح التغيير في مفهوم الرأسمالية
."الأمريكية
:مشهد *
عندما عادت أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية إلى أوروبا، وبقيت على أرضها
تنتظر إرث إمبراطورياتها السابقة في آسيا وأفريقيا ـ كانت واثقة أن هناك حدوداً
لمقاومة الآخرين، لأنهم جميعاً ينتظرون إشارتها ـ رغم حساسيتهم الشديدة من
القوة الأمريكية التي بدت أمامهم طاغية ـ كانوا يحتاجون مساعدتها في مهمة إعادة
.تعمير ما خرّبته الحرب
وأصرت أمريكا على أن تأخذ التنظيم الدولي الذي وقع عليه عبء إدارة العالم بعد
وكان أن قام مبنى .نيويورك :النصر، وهو الأمم المتحدة، إلى عاصمتها المالية
البارونات "أشهر "روكفللر"ومقر الأمم المتحدة على أرض تبرّعت بها أسرة
!"اللصوص
ومع أن الاتحاد السوفيتي راح يشاغب في أروقة هذا التنظيم الدولي الجديد ـ فإن
"ريجان"إلى "روزفلت"أمريكا تجنّبت أن تحاربه ـ وإنما تصرف رؤساؤها من
لن أحاربكم لأن الحرب في " ..حضرات السادة" :"فاندر بيلت"بنفس منطق
ـ لكني سوف أستنْزف قواكم بسباق سلاح لا تستطيعون "الأزمنة النووية مخاطرة
"!الخروج منه، ولا تستطيعون الوصول فيه إلى نهاية ـ وكذلك أخرب بيتكم
جاك "ويكتب .وكانت الفرصة مناسبة اقتصادياً لأمريكا ـ كما كانت مناسبة سياسياً
ـ ثم إن "اقتصاد السوق"أن السياسة الأمريكية راحت تبشر وتدعو إلى "بيتي
تحول إلى "مجتمع السوق"ـ ثم إن "مجتمع السوق"تحول إلى "اقتصاد السوق
."عالم السوق"
فيه ألف شركة عابرة للقارات تملك الرأسمالية "سوق العالم"أو "عالم السوق"و
وهذه الألف شركة تسيطر على أكثر من نصف اقتصاد .الأمريكية الأغلبية فيها

المال، وتكنولوجيا :العالم إنتاجاً وتوزيعهاً، خصوصاً في قطاعات حاكمة أهمها المعلومات والاتصالات والإعلام ـ وكلها متربعة على عروشها في أقمار صناعية سارية في كل أرجاء الفضاء، مطلة على الدنيا من علٍ ومن بعد!
**
كذلك أصبح القرن العشرون قرناً أمريكياً ـ وكذلك القرن الواحد والعشرون على الأرجح. وهنا تجئ أهمية تحليل أمريكا ـ كما كانت من قبل أهمية توصيف أمريكا.
والشاهد أن العالم عرف من قبل مستويات من الدُّول:
○ فهناك الدول :القوى Powers " الدولة ـ روسيا ـ النمسا ـ فرنسا ـ بريطانيا العثمانية ـ مثلاً ـ في وقت من الأوقات قبل الحرب العالمية الأولى".
○ وهناك الدول :القوى الكبرى Great Powers " ـ ألمانيا ـ فرنسا ـ بريطانيا إيطاليا ـ الاتحاد السوفيتي ـ مثلاً ـ في وقت من الأوقات قبل الحرب العالمية الثانية".
○ وهناك الدول :القوى الأعظم Super Powers " الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحدهما في وقت من الأوقات زمن الحرب الباردة".
○ وهناك بعد ذلك كله "الدولة الكاسحة" ـ وتكل هي الترجمة الأقرب إلى معنى الوصف الذي يطلق الآن على الولايات المتحدة في تفردُّها بالقوة العالمية، وهو وصف Hyper Power.
والمشكلة الكبرى في القوة الكاسحة ـ الأمريكية بالذات ـ أنها ما زالت تجربة مفتوحة وكأن مرحلة الخلق الأولى لها لا تزال مستمرة، هنا فإن وصف القوة الكاسحة وما يتضمنه من الشعور بفعل مستمر ـ ينطبق بشكل مدهش على القوة الأمريكية ـ الإمبراطورية.
لكن الإمبراطورية دائماً، وبقوانين الحياة، علو ثم نزول، وتوهج ثم خفوت ـ والسبب ـ طبقاً لنظرية المؤرخ الأمريكي الكبير "بول كنيدي" ـ أن أعباء الإمبراطورية ـ راسخة أو كاسحة ـ تظل تتزايد حتى ينوء بحملها من أقبل عليها في البداية ـ وقد صدقت نظرية "كنيدي" على كل الإمبراطوريات في التاريخ. وبالفعل فإن الإمبراطورية الأمريكية التي كانت تعطى للاقتصاد العالمي ثلاثين في المائة من مدخوله سنة 1960 وإذا هي تنزل إلى 21% ـ تراجعت بعد ثلاثين سنة، أي ـ فقط أن التفوق المطلق ـ أو النسبي ـ للإمبراطورية الأقوى لم يعد كما كان، وإنما تخلف سواء بالإرهاق، أو بجهد أكثر تصميماً من آخرين.
على أن الإمبراطورية الأمريكية الكاسحة تحاول هذه اللحظة أن تعوض الاقتصادي بالعسكري، وإذا كان نصيبها في القوة الاقتصادية العالمية قد تنازل، فإن سطوتها العسكرية غالبة. وأكبر الظن أن الخطر الحقيقي القادم على الدنيا هو اللحظة التي

تحس فيها الإمبراطورية الكاسحة أنها مرغمة على التراجع ـ أمام قوة يمكن أن تسبق، أو تحالف قوى يستطيع أن يتصدى، لأنه ساعتها سوف تكون اللعبة الدولية شديدة الخشونة، بالغة العنف، لأن القوة الأمريكية ـ حتى هذه اللحظة ـ تعلمت كيف .تكسب، ولم تتعلم كيف تخسر

وما لم يحدث غير المنتظر وغير المتوقع، فإن هذه اللحظة موعدها على الأرجح بعد عشرين أو ثلاثين سنة، لكنه طوال هذه المدة وحتى هذا الموعد سوف تظل الإمبراطورية الكاسحة تمارس دورها بكل ما عندها ـ ظاهراً يراه الناس في حياتها ويقدرون على توصيفه، أو باطناً يدركه الناس من تحليل تجربتها ـ طبقة في النفس .وفي الوعي، فوقها طبقة وتحتها طبقة ـ ويقدرون على تحليله

**

ـ "التوصيف"وأخيراً فلا أعرف إذا كان ما حكيته عن الولايات المتحدة في مجال ـ كلاهما "التحليل"في مجال "العملاق"أو إذا كان ما عرضته من خلال كتاب يكفي لفهم الولايات المتحدة الأمريكية؟ ـ لكنها في كل الأحوال محاولة لاستثارة .العقول

معها دون "للتعامل"ذلك أن فهم أمريكا، او محاولة فهمها، ضرورة حيوية .يصنعها الوهم "خفَّة"يصنعه الجهل، ودون "خوف"

فالعداء لأمريكا ـ وهو أسهل المواقف ـ في هذه الأزمنة خطأ كبير لا تحتمل مخاطره، .والوقوع في غرام أمريكا خطأ أكبر لا تحتمل خسائره

ثم إنه ليس معقولاً أن تنتقل السياسة في العالم العربي من مباراة في العداء لأمريكا !ـ إلى مباراة في الولاء لأمريكا، لأن حقائق الحياة أعقد من ذلك ـ وأيضاً ضروراتها

تقرير رئاسي أمريكي

خريف خطر

مقدمة تقرير على مكتب الرئيس بوش الآن

هذا الحديث ليس نتيجة جهد صحفي مقصود، وإنما هو محصلة لقاءات وحوارات جرت في إطار شخصي مع زملاء وأصدقاء أثناء زيارة للولايات المتحدة عدت منها ولم يكن في نيتي أن أكتب عن هذه الزيارة شيئاً، لكنه خطر لي أثناء عبور .أخيراً المحيط ـ قرابة سبع ساعات في الطائرة ـ أن هذه الولايات المتحدة الأمريكية تستحق ـ أكثر من أي وقت مضى ـ نظرة على شخصيتها في محاولة لاستكشافها أو وبالفعل فقد حاولت إعادة النظر إلى أمريكا من جديد بعد .إعادة اكتشافها مرة أخرى وقد عرضت في العدد .1951نصف قرن على أول نظرة إليها عبر المحيط سنة الماضي بعض الملاحظات والاستنتاجات مما توصلت إليه في محاولة فهم الشخصية

.الأمريكية، ولم أكن أريد أن أزيد
ثم كان أنني ـ وبمحض مصادفة ـ أطلعت على تقرير عن سياسة أمريكا في الشرق
"جورج بوش"الأوسط عرفت أنه الآن ـ هذه الأيام ـ على مكتب الرئيس الأمريكي
ينتظر من الرئيس أن يقرأه، وينتظر على الهوامش علامات مما يخطه هذا الرئيس
الجديد لأمريكا من ملاحظات على ما يقرأ، وهو معظم الأحيان ـ كما سمعت ـ
علامات استفهام أو علامات تعجب يفهمها معاونوه الأقربون، وأولهم السيدة
وتترجمها "مستشار شئون الأمن القومي في البيت الأبيض"كونداليزا رايس
ـ تيسيراً عليه، "جورج بوش"إيضاحات أو شروحات لرئيسها ـ وتلميذها ـ
.وتهويناً للمشقة
وكان الاطلاع على هذا التقرير المعروض الآن على الرئيس هو الذي استدعى إلى
ذاكرتي تلك الأحاديث التي اعتبرتها شخصية مع زملاء وأصدقاء، على امتداد
.أسبوعين في أمريكا
وفي ذلك التفاعل بين عين تقرأ وذاكرة تسترجع، راودني الظن بأن تلك المحاولة
التي سبقت لاستكشاف الشخصية الأمريكية قابلة لأن تلحق بها زيادة تجرب أن تطل
وذلك ـ في .على القرار الأمريكي في الشرق الأوسط وتوجهاته في المرحلة القادمة
.هذا الحديث ـ قصدى
.هـ

!ـ الملاحة في بحار عاصفة1

على مكتب الرئيس جورج بوش الآن تقرير مفصل عن الخيارات السياسية المتاحة
تدهورت أحوالها "أزمة منطقة"وتلك .له ولإدارته في شأن أزمة الشرق الأوسط
كتلة صخر مهولة انكسرت من الجبل وراحت تتدحرج ـ ولا "بشكل أصبحت فيه مثل
تزال عشوائياً على سفوحه، وهي توشك أن تنقض على الوديان والشطآن المحيطة
.بالجبل مهددة بدمار وخراب إلى درجة الكارثة
وهذا الوصف لمنطقة الشرق الأوسط وأزمتها الحالية ليس من عندي، ولكن صاحبه
الذي لم يشارك في أعمال اللجنة الرئاسية التي وضعت "هنري كيسنجر"هو
التقرير، وكان يود لو انضم إليها لكن مستشاري الرئيس الأقربين اعترضوا برغم
الذي "كولين باول"وأولهم وزير الخارجية "أن عدداً منهم سبق لهم العمل معه
وكانت أسباب الاعتراض متنوعة، ."كان لعدة سنوات مساعداً خاصاً لكيسنجر
هنري سوف يظل باستمرار "أن "الأب "جورج بوش"وذلك رأى "بينهما بداية
.، وتلك تجربة مضى زمنها لأن الظروف تغيرت"أسير لتجربته السابقة في المنطقة
أن هنري لن يعمل من "فهناك خشية "نائب الرئيس "ديك تشيني"وذلك رأى "ثم

أجل توسيع خيارات الرئيس، وإنما سوف يعمل لتوسيع نفوذه الشخصي، وتلك
."لا تتغير مهما تغيرت الظروف "هنري"طبيعة
لأحوال الشرق الأوسط "هنري كيسنجر"ولم تعتمد اللجنة الرئاسية توصيف
الراهنة بما فيها كتلة الصخر المهولة التي تهوى على سفوح الجبل وتهدد الوديان
والشطآن، وإنما اختارت اللجنة وصفاً آخر عنونت به تقريرها الرئاسي، وهو
لأحوال المنطقة، بل تابعه في "هنري كيسنجر"عنوان لم يبتعد كثيراً عن أوصاف
استلهام تقلبات الطبيعة ومفاجآتها، فقد كان العنوان الذي اختارته مجموعة العمل
Navigating Through "الملاحة في بحور مضطربة"الرئاسية لتقريرها هو
Turbulence.
وهكذا، ففي حين رآى كيسنجر أن المنطقة صخرة هاوية من قمة جبل فإن
!المجموعة الرئاسية رأتها بحوراً مضطربة تتلاطم فيها العواصف
**
بشأن الشرق الأوسط وخيارات السياسة "المجموعة الرئاسية"والواقع أن تقرير
كان واحداً من خمسة تقارير تمثل قائمة "المضطربة"الأمريكية وسط هذه المنطقة
والتقارير الخمسة تعالج .أولويات السياسة الأمريكية من منظور الإدارة الحالية
حلف "- أوربا "الصين واليابان"شرق آسيا :خيارات القرار الأمريكي في
- "الهند وباكستان وما حولهما"- شبه القارة الهندية "الأطلنطي والسوق الأوربية
وهو في التقرير الأمريكي مواقع إنتاج النفط وضمنها العراق وإيران "الخليج
والمقصود بها أساساً هي "- وأخيراً منطقة الشرق الأوسط "وشمالاً حتى القوقاز
."ساحة الصراع العربي الإسرائيلي

□

ويستحق الملاحظة أن هذه التقارير الرئاسية الخمسة - الأولويات الرئيسية للسياسة
الأمريكية - لم تكن أول ما عرض على الرئيس بوش من مقترحات، وإنما كانت
التي لحقت ."فترة الريبة"هناك قبل ذلك أوراق عمل أعدت على عجل في
جورج "عندما ظهرت نتائجها تتأرجح بين !بانتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة
.لأيام طالت إلى شهر وزيادة "آل جور"و "بوش
فالمعتاد أن .تلك مسألة غير معتادة في السياسة الأمريكية "فترة الريبة"كانت
تظهر نتائجها الانتخابات، ويتحدد المرشح الفائز بالرئاسة، وتكون لديه فترة
انتقالية مدتها ثلاثة شهور تقريباً، يختار فيها طاقم إدارته ويعهد إليه بخطوط حملته
بحيث إنه - منذ الأسبوع الأول من شهر .الانتخابية حتى يحولها إلى سياسات
نوفمبر حين تجري انتخابات الرئاسة وتعلن النتائج، وحتى الأسبوع الأخير من

شهر يناير حين يؤدى الرئيس الجديد قسمه الدستوري بادئاً عهده ـ تكون العجلة مستعدة للدوران خصوصاً أن شخصية وكفاءة أي رئيس تقاس بإيقاع إدارته خلال المائة يوم الأولى من رئاسته، حتى تنتهي فترة السماح الممنوحة له في ظرف عام، !ومن ثم يبدأ الحساب عسيرا ويشتد

وقع ما لم يكن معتاداً، لأن نتيجة "آل جور"و "جورج بوش"لكنه في حالة من محكمة إدارية محلية في ولاية :الانتخابات تحولت إلى جدل وصل إلى القضاء ومع الانشغال بالمعارك القانونية .فلوريدا وحتى المحكمة العليا في واشنطن والمرشحين "الجمهوري والديمقراطي"والسياسية والإعلامية بين الحزبين ، بدا كل شيء مؤجلاً بما فيه السياسات والخيارات والقرارات ـ "بوش وجور" وكذلك تشكيل طاقم الإدارة نفسه ـ فيما عدا قلة محددة من الأعوان الأقربين، ولم يكن في مقدور أحد منهم أكثر من التفكير في ترتيبات مؤقتة تسد ثغرة وتغطي فجوة .ولا تزيد

والحاصل أن المطلوب الأساسي في هذه الفترة كان نفسياً، ومخافة أن يقع في روع العالم ـ على حد تعبير تردد ساعتها ـ أن البيت الأبيض يوشك أن يصبح نوعاً من وفي الحقيقة، فإن الاتجاه الذي ساد وقتها هو النزوع ."جدران ليس وراءها سكان حقيقي مدروس وقابل للاستمرار أكثر "شغل"وليس خطى "تشاغل"إلى تحركات .من أسابيع قليلة

وكان هناك إدراك مبكر لدى مجموعة المعاونين الأقرب إلى الرئيس بوش أن العالم كله سوف يتفهم حاجة الإدارة الجديدة إلى فسحة وقت، إلا منطقة واحدة تتملكها .العصبية باستمرار، وتحرج الجميع ونفسها أيضاً وهي منطقة الشرق الأوسط

ـ أن السياسات في هذه المنطقة معظمها !والسبب عندهم ـ وعند غيرهم أيضاً سياسات شخصية، والأعصاب السياسية للأفراد عادة أكثر حساسية من الأعصاب مخاوف "السياسية لبلاد تدير أمورها مؤسسات وتحركها إستراتيجيات لا تتعلق بـ أمراء ورؤساء يتصرفون مثل راكب دراجة عليه أن يتحرك طول "وهواجس !الوقت، أو يسقط على الأرض إذا كف عن الحركة

**

بعد فترة الريبة قررت مبكراً إرسال "القادمة"وكان من نتيجة ذلك أن إدارة بوش بحيث تكون أولى مهامه في منصبه الجديد "كولين باول"وزير الخارجية المرشح :رسالة إلى أمراء ورؤساء الشرق الأوسط من ثلاثة بنود

ـ لا داعي الآن للانسياق لضغوط الرأي العام العربي والتعجل بالتورط في مطالبات .برفع الحصار عن العراق

- لا داعي للانسياق لضغوط الراي العام العربي وتصعيد الأزمة مع إسرائيل بما يؤدى إلى "تخريب مساعي السلام".
- لا داعي للإسراع في زيارات عربية على مستوى القمة إلى واشنطن في الفترة المبكرة من عمل الإدارة.
وهكذا، فإن الإشارات الثلاثة التي حملها "كولين باول" إلى المنطقة كانت طلباً صريحاً لفسحة وقت تعوض ما ضاع أثناء فترة الريبة قبل أن تتأكد نتائج الانتخابات. وفيما يظهر، فإن أركان الإدارة الأمريكية الجديدة أقلقتهم بعض الأصداء التي وصلتهم من المنطقة بما فيها الترحيب بنجاح "جورج بوش" على أساس معرفة وصداقة قديمة تربط "آل بوش" ورجالهم بسياسيين وساسة في الشرق الأوسط، وبالذات من أيام حرب الخليج والتحالف الذي جرت الحرب تحت أعلامه.
وكانت تلك الأصداء موضع حرج للرئيس الأمريكي الجديد وفريقه، لأن الصحافة الأمريكية أو بعض كتابها وجدوها فرصة للإشارة إلى الفوائد الشخصية الهائلة التي عادت على "آل بوش" وأولهم "ديك تشيني" ومساعديهم وزير الدفاع في إدارة "بوش الأب - ونائب الرئيس في إدارة بوش الابن، وهي فوائد زادت وفاضت ودارت حولها أقاويل لا ضرورة لإعادة بعثها ونشرها الآن بعد أن كاد النسيان يطويها.
وهكذا، فإن الرسالة إلى المنطقة بطلب الانتظار كانت عاجلة لظروف طارئة ولدواع شخصية أيضاً، وقد حملها وزير الخارجية بكل الرقة والكياسة المتاحة لجنرال سابق - مع أنه خدم سنين طويلة في البيت الأبيض!
ومما يستلفت النظر أن نفس الرسالة عندما نقلت إلى السعودية وإلى بعض دول الخليج لم يكن المكلف بنقلها وزير الخارجية "كولين باول"، وإنما تركت المهمة لـ "بوش الأب" الذي شرح بنفسه في أحاديث تليفونية متعددة وطويلة ظروف إدارة "الإبن" للأمير عبد الله ولي عهد السعودية ولاثنين أو ثلاثة غيره من أمراء الخليج، وقد تفهم الأمير عبد الله ظروف الأصدقاء وقدر حاجتهم إلى فسحة وقت وكان الاتصال بولي عهد السعودية وغيره من أمراء الخليج إشارة إلى "نية" و"قصد" وسياسة كان مطلوباً من وقت مبكر صياغتهما كإستراتيجية.
**
وعندما جاء وقت تحويل البرنامج الانتخابي للحزب الجمهوري، وتقديرات الرئيس المنتخب ومجموعة الرجال الأقوياء المقربين منه، انطلقت مجموعات العمل الرئاسية تسابق الوقت بتقاريرها حتى تلحق البيت الأبيض وساكنه الجديد.
وكان البيت الأبيض الجديد قد أعطى لكل مجموعات العمل الرئاسية توجيهاً عاماً

تلقاه الجميع، لكنه أعطى للمجموعة المختصة بكل أولوية مزيداً من التفاصيل عن رؤية الرئيس وإدارته لمجال عملها في كل منطقة.

....

....

وكانت الخطوط الرئيسية في التوجيه العام الذي تلقته مجموعات العمل الرئاسية وكان الرجل الذي قام بالمهمة والإيضاح هو نائب .تعطى للجميع تصوراً متكاملاً وكان مؤدى التوجيه العام للجميع ."ديك تشيني"الرئيس:

إن الولايات المتحدة تجد نفسها الآن في وضع فريد لم يتح لأي قوة غالبة في "1" التاريخ، فقد تمكنت من النصر في الحرب الباردة وانهار الاتحاد السوفيتي أمامها، كما أن الإمبراطورية السوفيتية تناثرت أجزاء وأشلاء متفرقة وأحياناً متخاصمة.

وفي الوقت الحالي فإنه لم يعد هناك تحد للقوة الأمريكية، كما أن كل التحديات الصين تحد محتمل لكن أمامه وقتاً طويلاً - "المحتملة مؤجلة الآن إلى سنين وحقب واليابان تحد محتمل لكن الفرصة أفلتت منه، وسوف تظل فالتة إلا إذا استطاعت اليابان في المستقبل إنشاء علاقة خاصة من نوع يصعب التنبؤ به الآن مع الصين - كما أن أوربا الغربية تحد محتمل شريطة أن تتمكن من تحقيق وحدتها كاملة، وذلك ."الآن في مجال الأحلام

، وهذا التفوق مضمون في "متفوقة بمراحل"يترتب عليه أن الولايات المتحدة الآن المستقبل المرئي، ومسئوليتها الحقيقية أن تعمل بكل الوسائل على الاحتفاظ به وتدعيمه، وتلك هي المهمة الأولى للسياسة الأمريكية وللقدرة الأمريكية في كل مجال.

"قيادتها المطلقة"والرأي السائد في الإدارة الجديدة أن الولايات المتحدة حققت لأنها استطاعت أن تمسك باللحظة التاريخية "بوش"و "ريجان"للعالم في عهد وتستعمل إمكاناتها المادية والمعنوية للحفاظ على مكاسبها وهو ما ينبغي للإدارة الجديدة أن تعود إليه وتحافظ عليه.

ويستعيد التوجيه إلى ذاكرة سامعيه أن الإمبراطورية البريطانية احتفظت بسيادتها على البحر الأبيض - وهو مركز الثقل في الإستراتيجية العالمية طوال القرن التاسع الآخرين على فكرة "تعويد"عشر والنصف الأول من القرن العشرين - بمجرد سيطرتها على البحار، في حين أنه على ساحة الواقع لم يكن لديها في البحر غير تواجد عسكري محدود في إمكانياته عند مداخل "القرون"الأبيض طول هذه البحر الأبيض ومخارجه في السويس وجبل طارق، ثم أسطول فوق مياه البحر يتكون من بارجة واحدة وست مدمرات فردت أعلامها ترفرف على الموج ما بين

والولايات المتحدة في وضع أقوى عشرات المرات مما كانت عليه .قبرص ومالطة
الإقرار بوجودها في "عادة"الإمبراطورية البريطانية، وكل ما يلزمها هو ترسيخ
أي "وتأكيد هذا الوجود بحيث يصبح عنصراً مؤثراً على القرار في "كل مكان"
."مكان

....

. ...

إن الاقتصاد الأمريكي ما زال الأكثر حيوية والأقدر على التجدد، وتلك حقيقة "2"
تعكسها سيادة الدولار على غيره من العملات في أسواق العالم، ولا ينبغي أن يؤخذ
التي انهارت "التكنولوجيا الجديدة"ما حدث في أسواق المال ـ خصوصاً لشركات
في القوة الاقتصادية الأمريكية، ذلك أن الطفرة "هشاشة"قيمة أسهمها ـ دليلاً على
التي حملت أسهم شركات التكنولوجيا الجديدة إلى ذروة السوق هي نوع من
التي تحدث من جراء التوقعات المبالغ فيها في مراحل التحول البارزة "الصرعات"
والحقيقة أن هذه الطفرة من توابع اختراقات في تكنولوجيا .في قوى الإنتاج
جاهزة لقبول "وجود فكرة"المعلومات جعلت كثيرين يتصورون أن مجرد
وقد "رأس المال"المخاطرة يخلق حالة يستطيع فيها الاستثمار أن يستغنى عن
فرقعت مثل فقاعات الصابون "الطفرة"والنتيجة أن .ثبت أن ذلك وهم مستحيل
!وكانت عملية تصحيح لأوضاع السوق ضرورية وواجبة
في الأسواق كان هو "تصحيح الوهم"وفي حقيقة الأمر، فإن ما أخذته عملية
خلقت "التعاملات"من زيادات في حجم "الاستسلام للوهم"بالضبط ما جاء به
وخلقت إحساساً مبالغاً فيه بأزمة .إحساساً زائفاً بالرخاء عندما تضخمت
الآن في "بينما الأكيد أن الرأسمالية الأمريكية هي .عندما فرقعت "الرأسمالية"
ترك الأسواق مفتوحة ومنع أي طرف من :أقصى درجات قوتها وكل ما يلزمها هو
."التدخل في حركتها
تشجيع "مسئولة إلى حد كبير عن "إدارة كلينتون"والإدارة الديمقراطية السابقة
وحدها وإنما فعلته في مجالات "المال"، وهي لم تفعل ذلك في مجالات "الأوهام
."الأمن"كثيرة، وأهمها مجال
هي التي أدارت بنجاح معركة "ريجان وبوش الأب"وفي حين أن إدارة جمهورية
عجزت عن "كلينتون"سقوط الشيوعية والاتحاد السوفيتي، فإن إدارة ديمقراطية
.استغلال فرصة هذا السقوط وتهاونت في ضرورات التفوق الأمريكي

....

....

"3" إن الإدارة الجمهورية العائدة إلى موقع القرار عليها أن تستأنف خطط الدفاع ، وأولها مواصلة "الأب" "بوش"و "ريجان"الإستراتيجي كما تصورتها إدارات برنامج حرب النجوم، والخطوة التالية فيها إنجاز شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ لأن هذه الشبكة هي التي تعطى الولايات المتحدة درعاً وافية ضد المخاطر مهما كان مصدرها.

وإذا كان هناك من يتصور أن إستراتيجية الردع المتبادل القائمة على توازن في القوة النووية بين الدول التي تملك إمكاناتها لا تزال كافية فهؤلاء على خطأ كبير. لأن الردع النووي المتبادل كان إستراتيجية صالحة لمرحلة الحرب الباردة بين قوتين تملك كل منهما إمكانية تدمير القوة الأخرى سواء بضربة أولى من منصات في "أو بضربة ثانية من منصات إطلاق متحركة "على البر"إطلاق ثابتة ومرجع الاختلاف أن القوى النووية في . لكن الظروف الآن مختلفة"الغواصات العالم تعددت بدخول الصين والهند وباكستان وكوريا الشمالية بترسانات نووية مؤثرة، وذلك يفرض على الولايات المتحدة إستراتيجية جديدة لا تردع طرفاً واحداً والسبيل ."بما فيها أطراف هي اليوم صديقة"أو طرفين وإنما تواجه كل الأطراف ثعبان يمنع ويبلع كل ثعابين الخصوم "إلى ذلك درع منيعة حول الولايات المتحدة وبعدها يصبح "قبل الوصول إلى الشواطئ والمدن ومواقع القوة الأمريكية وذلك مهما كانت تكاليفه .الآخرون تماماً تحت رحمتها تتصرف إزاءهم كما تشاء أرخص من أي سباق نووي يعمد علي الردع، خصوصاً وقد اتسع طابور الداخلين يرضيها أن "مارقة"إلى مجال القوة النووية وهو طابور طويل يضم دولاً صغيرة و تعتبر نفسها ندا للولايات المتحدة في إستراتيجية ردع متبادل!

....

....

"4" إن الإدارة الجمهورية الجديدة عليها ان تمارس دورها في الدفاع والتمكين الإدارة "و ."الضرورات"لا تستوجبها "بغير قيود"للمصالح الأمريكية وحدها هي الطرف الوحيد الذي يحق له توصيف المصالح الأمريكية "الأمريكية وفي مجال العمل السياسي، فإن الإدارة تستطيع أن تمارس .دون اعتبار لأي ضغوط "مسئوليتها"داخل الأمم المتحدة وفي الوقت نفسه تستطيع ممارسة "دورها" بالذات في مناطق حساسة بالنسبة للمصالح الأمريكية ومنها "خارج الأمم المتحدة منطقة الشرق الأوسط".

وما حدث هو أن إدارة كلينتون سبق لها أن ورطت الولايات المتحدة في تعهدات ، أو بدعوى حرية المنافسة "بروتوكول كيوتو"بدعوى المحافظة على البيئة

، وتلك كلها وغيرها تنازلات أعطت "اتفاقيات منظمة التجارة العالمية"التجارية
.العالم إشارات خاطئة مفادها أن الولايات المتحدة يمكن تطويعها أو يمكن ابتزازها
وقد سمحت إدارة كلينتون بذلك لأنها وضعت نفسها موضع الدفاع عندما فقدت
ذلك الأساس الضروري للمشروعية الأخلاقية نتيجة لفضائح كلينتون "رئاستها"
لكن الإدارة الجمهورية الجديدة ."مونيكا لوينسكي"الجنسية وأشهرها فضيحة
.من هذا النوع "عرى أخلاقي"ليست مكشوفة بحالة
وهنا دخل على التوصية تحذير يطلب من الكل أن ينتبهوا إلى احتمال أن يتصور
بعض الأطراف أن في مقدورهم ممارسة نوع من التطويع والابتزاز بظن أن الإدارة
الجديدة وصلت إلى البيت الأبيض بأقل فارق في أصوات الناخبين في أي انتخابات
أعيدت "، ووسط ضجة شديدة عن سلامة عملية الفرز "صوت 300"سابقة
وكذلك يمكن أن يحل التطويع والابتزاز السياسي محل ."عشرات المرات يدوياً وآلياً
وهنا فإن ضرورات القوة تفرض على الإدارة الجديدة .التطويع والابتزاز الأخلاقي
أن تأخذ المبادرة في يدها، وأن تأخذها بشدة وبحزم لا يدع لأحد مجالاً للشك في أن
!القرارات الأمريكية تصدر عن شرعية مجروحة أو يمكن تجريحها

....

....
إن الإدارة الجديدة يتعين عليها أن تمارس سياساتها في العالم في إطار "5"
والحاصل أن أوضاع العالم كما برزت .مناطق متصلة، وليس في إطار دول محددة
بعد الحرب العالمية الثانية وأثناء الحرب الباردة تكشف أن القضايا المطروحة على
، حتى وإن كانت الحدود "حدود"وليس عن "آفاق"الساحة الدولية تكشف عن
."شبه قارات"شاسعة
."بكين"وهنا، فإن الصين هي منطقة شرقي آسيا وليست بلداً واحداً عاصمته
ـ ومنطقة البحيرات هي وسط "دلهي"والهند هي شبه القارة الهندية وليست
."كينشاسا"أفريقيا وليست
مثلاً هي أزمة منطقة "كوسوفو"وحتى في حساب الأزمات المحلية فإن أزمة
ومشكلة العراق .كلها، وليست أزمة إقليم من بقايا يوجوسلافيا القديمة "البلقان"
هي مستقبل منطقة الخليج العربي كله، وقضية الصراع العربي الإسرائيلي هي أمن
شرق البحر الأبيض المتوسط، وليس السلطة الوطنية الضعيفة في غزة أو إسرائيل
!المستقوية في تل أبيب

....

....

، "مواقع"وليس مع "مناطق"وهكذا، فإن السياسة الأمريكية عليها أن تتعامل مع
وفي نفس الوقت، فإن التعامل مع .لأن ذلك هو مدلول الخريطة السياسية ومقتضاها
"قوى محلية"مناطق يمكن السياسة الأمريكية من استيعاب وتفريغ ادعاءات
في المناطق التي توجد فيها ومن ثم "أدوار إقليمية"تتصور نفسها قائمة على
.ترتب لنفسها امتيازات تطالب بها
وإلا جلبت "رئاسة العالم"إن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تدعي لنفسها "6"
لنفسها مشكلات تستثير الحساسية أو تستدعي المنافسة أو تستفز الآخرين بغير
.لزوم لكن عليها في نفس الوقت أن تحتفظ لنفسها بالكلمة الأخيرة في أي موضوع
:وذلك يعني
.إن الولايات المتحدة لا تقبل قسمة أو توزيعها في مسئولية القرار العالمي ○
ولا تقبل قيادة جماعية أو نوعاً من مجلس الإدارة مسئولاً بالتضامن حتى ولو ○
!كان لرئيسه صوتان أو حتى ثلاثة
ولحل هذه الإشكالية فإن المدخل إلى ما تريده واشنطن يكون التشاور مع ○
الأطراف الدولية الكبيرة، كل على حدة، ومع كل طرف داخل المنطقة التي تتصل
بأمنه المباشر أو مصالحه، دون ضرورة لإشراك كل الأطراف في كل المسائل، مع
ملاحظة أن الوصول إلى توافق عام زيادة لا حاجة إليها وأفضل منها أن تحجز
.الولايات المتحدة لنفسها حق رؤية الأفق كاملاً وسلطة الحركة عليه بمفردها
أنه نظر في عينه "وقرر "بوتين"مع "بوش"واتساقاً مع فكرة التشاور، تلاقي
وحتى بعد أن تكررت اللقاءات بين الرجلين في ."واكتشف أنه يستطيع الثقة به
كانت مستشارة الأمن للرئيس "بينها مجموعة الثمانية في جنوا"أكثر من مؤتمر
"بوتين"في زيارة للكرملين قابلت فيها "كونداليزا رايس"وهي السيدة "بوش"
وهي على باب "كونداليزا رايس"بعد عشرة أيام من اجتماعات جنوا وقالت
كان يمثل تهديداً للولايات المتحدة وأما "السابق"إن الإتحاد السوفيتي " :الكرملين
!"روسيا فهي الآن صديق
وكانت تلك هي الخطوط العامة للتوجيهات التي أعطيت للمجموعات الرئاسية في كل
!المناطق - بما فيها المجموعة الرئاسية للشرق الأوسط
**
فطرحت نيابة عن "كونداليزا رايس"وفيما يتعلق بالشرق الأوسط تدخلت السيدة
:رئيسها ثلاث ملاحظات
."معجزة"إن أزمة الشرق الأوسط تحتاج فيما ثبت بالتجربة إلى :الأولى ○
إن رؤساء أمريكيين سابقين اقتربوا من الأزمة ولم يأخذوا منها إلا :والثانية ○

."حرق أصابعهم"
تحول قطعة "ـ رئيس لا يعتبر نفسه صانع معجزات "جورج دبليو"إن :والثالثة ○
!!، كذلك فهو لا يريد أن يحرق أصابعه"الحجر إلى رغيف خبز
:"بوش"إلى "كلينتون"ـ من 2
لم يخرج تقرير اللجنة الرئاسية عن الخيارات السياسية المتاحة للرئيس بوش في الشرق الأوسط فجأة إلى النور، ولم يطبخ هذا التقرير على عجل ليقدم للإدارة .الجديدة على صينية أو على طبق فور طلبه
وإنما كان للتقرير الرئاسي أساس أبعد من ذلك وأعمق، لأن قسماً كبيراً من أفراد المجموعة التي عكفت على إعداده كان لها سابق اهتمام بالمنطقة، ولذلك فإن معظم وفي الواقع، فإن الصورة .الجهد كان عملية تنسيق وتنظيم ومضاهاة وصقل عندما قام اثنان من "2001"النهائية للتقرير لم تكتمل إلا في شهر يونيه الأخير للمنطقة حتى يجري تقديم التقرير "اللحظة الأخيرة"المشاركين في إعداده بزيارة ."اللمسة الأخيرة"وعليه
كانت مجموعة العمل الأصيلة تضم قرابة أربعين وزيراً وسفيراً وخبيراً سبقت لهم وكانت للمجموعة الكبيرة لجنة إدارة ضيقة .الخدمة في إدارات جمهورية من قبل ، "من إدارة ريجان الأولى مثلاً "الكسندر هيج"بينهم "ضمت وزراء خارجية ، "من إدارة ريجان الأولى أيضاً "انتوني ليك"منهم "ومستشاري أمن قومي الذي خدم ثماني سنوات سفيراً "صمويل لويس"مثل "وسفراء عملوا في المنطقة ."في إسرائيل
وقد تولت اللجنة ترتيب وتنسيق زيارات ولقاءات لأعضائها على اتساع عواصم وهنا، فإن أحد عشر "إستراتيجية معمقة"الشرق الأوسط وذلك لإجراء حوارات عضواً من أفراد مجموعة العمل قاموا بزيارة للمملكة العربية السعودية وللأردن ولإسرائيل وللضفة الغربية، وقابلوا مجتمعين أو فرادى كل من ظنوا أن لديه شيئاً .مهما يسمعونه منه
وعندما فرغت المجموعة من إعداد تقريرها وقد ركزت عليه طوال شهور الربيع ـ في أوائل "روبرت ساتلوف"و "دافيد بروك"قررت إرسال اثنين من أعضائها هما اللمسة "وإضافة "النظرة الأخيرة"إلى المنطقة لمهمة "يونية"الصيف !"الأخيرة
وأخيراً أكملت اللجنة تقريرها في ثمانين صفحة، ثم إنها وضعت فوقه تلخيصاً !لمجمل ما فيه في حالة ما إذا لم يجد الرئيس وقتاً كافياً لقراءة ثمانين صفحة
**

المدخل العام للتقرير يبدأ بعرض واسع يطرح على الرئيس بوش وكبار معاونيه صورة ما تغير في الأفق الإستراتيجي للمنطقة منذ ترك الجمهوريون رئاسة أمام كلينتون في انتخابات "الأب" "بوش"الولايات المتحدة الأمريكية عند سقوط .1992سنة

الأب ـ تركت منطقة "بوش"أن آخر إدارة جمهورية ـ وهي إدارة "ويحدد التقرير :الشرق الأوسط وقد تحققت فيها ثلاثة إنجازات كبيرة يمكن البناء فوقها

هو فتح الطريق أمام سلام شامل في المنطقة، وذلك بمؤتمر مدريد :الإنجاز الأول □ لصنع "راغبة وقادرة ومستعدة"الذي قصدت إليه كل الدول العربية 1991سنة السلام مع إسرائيل من خلال مفاوضات سياسية لها مساراتها المختلفة ومن خلال وهو أن توفر !مؤتمرات للتعاون الإقليمي متنوعة في موضوعاتها لكن هدفها واحد وتشرك دول المنطقة دون تمييز في أجواء من !"جوائز السلام"للكل نصيباً في ذلك يحقق توازناً في القوى "بالتحديد وبالاسم لأن "تركيا"التعاون تساهم فيه ."محكماً وفاعلاً

وقد لحقت بمدريد اتفاقيات سلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، وبين من الدول الأعضاء في "نصف دستة"إسرائيل والمملكة الأردنية، وتلى ذلك أن جامعة الدول العربية أقامت علاقات مع إسرائيل شملت السياسة والاقتصاد ومجالات ."!أخرى في التعاون المشترك فيها الأمن وتبادل معلومات المخابرات

....

....

لم يذكر التقرير أن التعاون في مجال تبادل معلومات المخابرات وصل إلى حد أن] قدمت لبعض الدول العربية صور برقيات شفرية ملتقطة من شبكات "الموساد" وقدمت لها أيضاً تسجيلات لمحادثات تليفونية جرت بين ..دول عربية أخرى مسئولين عرب وفيها مايهم مسئولين عرباً آخرين تحرص عليهم إسرائيل ـ أكثر من ذلك فإن إسرائيل قدمت لإحدى الدول العربية محضراً لوقائع لقاء سرى جرى .[!بين وزير الدفاع في دولة عربية ثانية ومدير المخابرات في دولة عربية ثالثة

....

إن مطلباً إستراتيجياً شديد الأهمية تحقق بالكامل في الوقت الذي :الإنجاز الثاني □ وذلك المطلب هو ضمان "1992بعد انتخابات الرئاسة "ترك فيه بوش الأب مكانه وموارده البترولية الحيوية على نحو نموذجي حلم به كل رئيس "أمن الخليج" .مكنت منه "حرب الخليج الثانية"أمريكي وعجز عن بلوغه ـ لكن

كان المطلب النموذجي لتحقيق أمن الخليج هو إجراء فصل كامل بين الداخل

وفيه سوريا " "الشام"عن "الخليج العربي"والساحل في العالم العربي، أي عزل البترول تنفصل عن "شئون"وذلك يعني أن .، وكذلك عن مصر"وفلسطين بما يعني عملياً فك الارتباط بين دول مجلس "الصراع العربي الإسرائيلي "قضايا" ."التعاون الخليجي وبين بقية العالم العربي من دول جامعة الدول العربية

وكان المطلوب بالدرجة الأولى من أطراف التحالف الذي خاض حرب الخليج إخراج .العراق من الكويت، لكن ذلك الهدف استعمل مقدمة لها ما وراءها

أوله أنه بهذا التحالف أصبح بعض العرب شركاء إستراتيجيين لإسرائيل حتى □ وإن لم يقصدوا، وكانت تلك الشراكة هي ما أقنع إسرائيل بالامتناع عن الرد على خلال ليالي القتال من منتصف يناير إلى أواخر "صواريخ عراقية طالت بعض مدنها ."1991فبراير

شئون "وثانيه هو تحصين أمن الخليج بصورة حاسمة،والتأكد من فصل □ عندما تم نزول القوات "قضايا الصراع العربي الإسرائيلي"عن "البترول .الأمريكية وتمركزها في كل دول مجلس التعاون الخليجي دون أي اعتراض

على وجود القوات الأمريكية "تعود"وثالثه وهو الأهم أن الرأي العام العربي □ !ما يزعج أو يثير "بالعادة"على مياه الخليج وشطآنه وقواعده، ولم يعد في ذلك

والإنجاز الثالث هو ما بدا من أن العالم العربي يقبل عموماً بأهم ظواهر □ ، فقد أصبحت صيحة اقتصاد السوق هي اللازمة المسموعة في كل "العولمة" قامت بها معظم "إعادة هيكلة اقتصادية ومالية "محفل عربي، ومعها جرت الحكومات العربية أو اتجهت إليها، كما انفتحت شهية المستهلكين العرب لأنواع من السلع الاستهلاكية الغربية طلبتها ودفعت ثمنها مقبلة عليها وسعيدة بها، وتم ذلك .دون مقاومة تذكر

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الفضاء العربي وقع فيه كسر قبضة أي دولة عربية تتصور والسبب .أو التأثير فيما هو أوسع .أنها تستطيع السيطرة أو التوجيه داخل بلد واحد الناطقة باللغة العربية فتحت الأجواء العربية لكل ريح من "الفضائيات العربية"أن .أي اتجاه

....

....

لم يتطرق التقرير الرئاسي إلى أكثر من ذلك في ذكر دور الفضائيات العربية في] حساب القرار الأمريكي، لكني ناقشت وجهات نظر مختلفة عن هذا الدور أثناء :زيارة أخيرة لأمريكا ـ وبينه

إن الفضائيات العربية أنهت قدرة أي حدث يقع في العالم العربي ـ مهما كانت درجة

خطورته ـ على تعبئة راى عام متماسك وقوى لأن هذه الفضائيات حولت الوعي العربي إلى ثقوب يتسرب منها بالليل ما يجيء بالنهار.

□ وأن هذه الفضائيات سببت حالة استغناء بمشاهدة الصور عن المشاركة بالفكر أو الفعل، والنتيجة أن "العربي" مدعو كل ليلة لكي يتفرج على "مسلسلات الأحوال" وعليه أن يجلس أمام الشاشة لأنه لا يستطيع القفز داخلها للمشاركة في "العربية"، هذه الأحوال.

□ وأن هذه الفضائيات ربطت المشاهد العربي إلى حكايات الماضي فانشغل بها لأنها وافقت نزعة الموروث الشعبي عنده إلى القصص والحكايا.

□ وأن هذه الفضائيات بتضارب القصص والحكايا استباحت بالأهواء ما وافق غرض كل قاص وحاك حتى فقد الرأي العام العربي على اختلاف توجهاته احترامه لأي مرجعية تلهم، وأهم من ذلك تصوره لأي رؤية مستقبلية تجمع!

وفي المحصلة النهائية، فإن هذا المناخ الذي اختلط فيه كل شيء بكل شيء هيأ فرصة سانحة ولعلها مثالية لعملية هدر عقلي وننسى تغرق الإرادة العربية دائخة في دوامتها وذلك كان مطلبا عزيز القوى دولية عديدة وقد نالته أخيراً سواء بذكائها أو بغفلة غيرها!]

....

....

"والمدهش أن التقرير بعد ذلك يلاحظ أنه مع أن الاقتصاديات العربية على وجه العموم فشلت في الإفادة من الجانب الإيجابي للعولمة، لأنها عجزت عن زيادة نصيبها في التجارة العالمية ـ بل إن بعضها فقد شيئاً مما كان لديه ـ فإن رياح "العولمة" من الرخاوة أو للتأثير مفتوحاً. وقد أشاعت في المنطقة جواً من المرونة امتد بعض التأثير إلى مجالات الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان، لكن "الحكومات العربية" مع اختلاف "أشكالها وألوانها" استجمعت ما لديها من سلطة لتقاوم التيارات على هذه الجهة وتصدها!"

وكان ذلك هو المدخل العام لتقرير المجموعة الرئاسية الذي قرأه أو يقرؤه أو يوشك أن يقرأه الرئيس بوش الآن، أو على الأقل يطلع على ملخصه أو يسمع شرحاً له "الأستاذة" كونداليزا رايس مستشاره للأمن القومي تقوم به.

**

"وينتقل التقرير من هذه الإنجازات التي تحققت أيام آخر إدارة جمهورية "الأب" بوش وهي كبيرة بأي معيارن إلى ما حدث تحت إدارة كلينتون التي تهاونت وتراخت فإذا هو الانحراف والانحدار على منعطفات خطرة، تهوي إلى البحور

.والتقرير يعد أربعة منعطفات حدث فيها الانحراف والسقوط .المضطربة
إن مسيرة السلام تعطلت أمام عراقيل واجهتها، أهمها ذلك الأنفجار الشعبي -1"
ووصل إلى درجة من العنف المتبادل 2000الفلسطيني الذي وقع في سبتمبر سنة
وأدى ذلك إلى .بين الفلسطينيين والإسرائيليين تحول إلى نوع من حرب العصابات
، وكانت تلك الفكرة وهذا "منطق الحل الوسط"و "فكرة المفاوضات"ضياع
"!في عملية بناء شرق أوسط جديد "دعامتين رئيسيتين"المنطق
ترتب على ذلك أن موجة من المشاعر المعادية لأمريكا اجتاحت العالم العربي -2"
وما زالت أمواجها الداكنة بالكراهية تتدفق في عواصمه حتى تلك العواصم التي
.تعتبر الأقرب من السياسة الأمريكية مثل القاهرة والرياض ومسقط
الذي طلع على المنطقة وشاع Paxa Americanaالسلام الأمريكي "وكان أن
الظن بأنه تمكن من تثبيت قواعده ـ راح يتعرض لضغوط من الرأي العام العربي
"بمسافة أمان"حتى أن نظما صديقة للولايات المتحدة اضطرت أن تحتفظ لنفسها
!تحميها من المشاعر المعادية لأمريكا حتى لا تصل إليها تأثيراتها في مواضع قاتلة
ومثلاً، فقد اضطر وزير الخارجية المصري ـ في ذلك الوقت ـ إلى كيل المديح لحزب
الله، كما أن وزير الدفاع السعودي هدد بفرض عقوبات على الشركات الأمريكية، ثم
إن رئيس وزراء الأردن قاد وفداً موسعاً إلى بغداد في محاولة لإظهار التمرد على
.الرغبات الأمريكية
ومع أن الولايات المتحدة تعودت مؤخراً أن تعطي لبعض أصدقائها في الشرق
إذا هاجموا سياستها خطابياً لإرضاء جماهيرهم ـ فإن هذه "رخص سماح"الأوسط
بالعداء لأمريكا بكثرة "التظاهر"الأزدواجية لها آثارها الخطرة، وأولها أن يتحول
قد يستعيد قدرته "الشارع العربي"وثانيها أن .تكراره إلى سياسة ولو باللاوعي
."في الضغط على الحكومات المعتدلة مما يعرض هذه الحكومات لمخاطر حقيقية
ـ "كلينتون"ـ أيام "المسيرة"ـ ولقد كان أخطر المنعطفات التي تعثرت عندها 3"
أن تحالف حرب الخليج أخذ يترنح، وأظهر الأعراض أن شعوراً عاماً ساد في العالم
، "لا يمكن قبوله أو الاستمرار في قبوله"العربي مؤداه أن شعب العراق دفع ثمناً
ثم .وبالتالي فإن تحالف حرب الخليج فقد الهدف المشترك الذي قام عليه في البداية
إن السياسة الأمريكية حاولت أن تواصل التصرف تحت غطاء تفويضه حتى تتمكن
."احتواء النظام في العراق وتطويقه وإسقاطه"من
وفي اللحظة الحالية فإنه يتبدى أن الولايات المتحدة في محاولتها لتحقيق مطلبها
في العراق لم تعد تجد نصيراً لها إلا داخل حدود الكويت، وهذا وضع بالغ الخطورة
خصوصاً إذا ترافقت معه ـ بسبب تدهور الأوضاع وتزايد العداء لأمريكا ـ عودة إلى

."وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي "شئون البترول"نوع من الاتصال بين
وفي تداعيات ذلك وغيره تسللت عائدة إلى المنطقة قوى كان الواضح ـ في -4"
ـ أنها خرجت من المنطقة إلى "بوش الأب"أواخر عهد الإدارة الجمهورية السابقة
.غير رجعة
وأولى هذه القوى هي روسيا، وخطر عودتها إلى دور فاعل في الشرق الأوسط □
:ظاهر على ناحيتين
فهي قادمة مع توريد أسلحة محظورة لبعض بلدان المنطقة التي يزداد :من ناحية ـ
.فيها العداء للولايات المتحدة وبينها إيران والعراق وسوريا
فإن روسيا تعرقل فرض نظام جديد للعقوبات على العراق :وعلى الناحية الثانية ـ
يحل محل نظام سبق لأن النظام الجديد أذكى وهو قادر على إنقاذ الشعب العراقي
.وتصفية نظام الحكم في بغداد
والمناخ السائد في المنطقة يعزز عودة روسيا ويمكنها من تسويق حججها من
."ناحية توريد السلاح وناحية عرقلة العقوبات
فمن ناحية توريد السلاح تدعي روسيا بأن لها علاقات وصداقات تقليدية في "
المنطقة لعب فيها السلاح دوراً كبيراً، مع أن واقع الأمر يقول إن الولايات المتحدة
الأمريكية هي أكبر مورد سلاح في المنطقة ونصيبها في تجارته مقارناً بنصيب
روسيا تسعة إلى واحد، مع العلم بأن الذين يشترون السلاح من أمريكا يدفعون
!مقدماً ونقداً وأما الذين يشترونه من روسيا فدفعهم مؤجل وهو بالتقسيط المريح
وفيما يتعلق بالعقوبات الجديدة فإن روسيا قادرة على القول بأن النظام المقترح
ليس ذكياً، لأنه لا الحكم الحالي في العراق ولا أي حكم غيره يحتمل ان تجيء به
الظروف إلى ذلك البلد ـ يستطيع قبول الفكرة الرئيسية في هذا النظام وهي تقوم
على نزع وجود الدولة أصلاً عن العراق لأن نظام العقوبات الذكية يبدأ من قرار
يؤكد وضع كل عائدات العراق من النفط رهن تصرف الأمم المتحدة، هي تبيع وهي
تحصل وهي تخصص وهي تعطي لمن تشاء بما في ذلك أي نصيب تخصصه
!شعبه أو حكومته :للعراق
وراء روسيا عادت الصين، بل هي الآن في موقف أقوى لأنها على علاقة " □
تقليدية مع العالم العربي وعلى علاقة مستجدة ـ تتسع ـ مع إسرائيل، وهذا يعطي
للصين مصداقية القيام بدور لاعب مهم في الشرق الأوسط يساعدها عليه أنها
.واحدة من الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن
لكن الجزء الخطر في نشاط الصين في المنطقة هو تلك العلاقات النامية □
."والمتمددة دون صخب بين الصين وإيران

والقادم الثالث على طريق العودة، بعد روسيا والصين، هو أوربا، ومع أن " □
أوربا حليف طبيعي للولايات المتحدة إلا أن أوربا في جزء من طموحها ومصالحها
منافس للولايات المتحدة على موارد المنطقة وعلى أسواقها ، فإذا أضيف إلى ذلك
ان بعض الدول الأوربية وبالذات فرنسا لها مشروعات مستقلة ولها أغراض خاصة
بها، فإن عودة أوربا على هذا النحو إلى المنطقة هي في هذه الظروف ـ تفتح ثغرات
يمكن للبعض استغلالها لتوسيع دائرة المناورة والحركة بما يساعد القوى المعادية
."للسياسة الأمريكية

**

ويصل التقرير إلى نقطة حساسة حين يشير إلى أن الإدارة الديمقراطية السابقة
"الرئيس كلينتون"أساءت التقدير، وأساءت التصرف بالأسلوب الذي اتبعه
شخصياً حين تصور لنفسه مقدرة التصدي لأزمة الشرق الأوسط وساعده على هذا
التصور أنه كان يبحث لنفسه عن مجال يعوض فيه بنجاح غير مسبوق فضيحة هي
..الأخرى غير مسبوقة

رأى الصعوبات والعقبات ومهاوي "بيل كلينتون"والحقيقة ـ كما يرى التقرير ـ أن
وقع في خطأ عمره عندما "كلينتون"لكن .الهلاك التي وصلت إليها أحوال المنطقة
ـ "1977" "جيمي كارتر"ظن أنه يستطيع تقليد رئيس ديمقراطي سبقه ـ
"أنور السادات"مع " "كارتر"بممارسة دبلوماسية شخصية على نحو ما قام به
وهنا يشير التقرير أن كلينتون ."1978سنة "في كامب ديفيد " "مناحم بيجين"و
جيمي "بمعنى أن .نسى عدة فوارق كبيرة تتعلق بالحقائق وبالظروف وبالناس
:في تجربته ـ مارس الدبلوماسية الشخصية بين أهم دولتين في المنطقة ."كارتر
أكبر دولة عربية تاريخياً وهي مصر، وأقوى دولة عسكرياً في اللحظة الحالية وهي
مارس دبلوماسيته مع رجلين كلاهما وراءه سند من "كارتر"وكذلك فإن .إسرائيل
يعقبه رخاء للشعب المصري ـ "أمل سلام"وراءه "فأنور السادات" .نوع ما
يترتب عليه تحقيق شرعية قانونية لدولة "أمل أمن" "وراءه "مناحم بيجين"و
وترافق ذلك مع ظاهرة أن الدبلوماسية الشخصية كانت بدعة مثيرة جديدة .إسرائيل
أما الآن فإن الصورة مختلفة ـ وأسوأ من ذلك .وبراقة في تلك الأيام قبل ربع قرن
لأن السلام الذي .أن كل المقولات التي بنى الأطراف عليها مقولاتهم تمت تجربتها
لا يزال معلقاً "مناحم بيجين"لم يتحقق ـ والأمن الذي طلبه "أنور السادات"طلبه
.في الهواء

ومتغيراتها بالعمق الكافي، "الأحوال"ـ على أيامه ـ، لم يدرس "بيل كلينتون"لكن
وهكذا فإنه وهو رئيس الولايات المتحدة ـ وجد نفسه يتفاوض مع رؤساء مليشيات

وبالتالي فإنه على طريق طويل من .ومسئولين أمنيين في المخابرات والشرطة "بهدلة مهينة"قام بعملية "شرم الشيخ"إلى "واي ريفر"إلى "كامب دافيد" لنفسه ولمنصبه ولبلاده ضيعت هيبة أكبر بلد في التاريخ وفي الدنيا، ومع ذلك لم معهم، "تفاوض"الذين "مجرد تورطه مع نوعية الناس"يتوصل إلى نتيجة لأن ـ حوّل رئيس الولايات "ومجرد تنازله إلى التفاصيل التي رضى بالبحث فيها" المتحدة في النهاية إلى رهينة يتحكم في نجاحها أو فشلها رجال قادمون من الظلام وعائدون إليه، وكلهم ممن لم يكن يجوز من الأصل أن يلقاهم رئيس الولايات المتحدة مهما كانت الظروف.

وللتذكرة فقد استعاد كاتبوا التقرير أن الولايات المتحدة كانت تجري اتصالاتها مع منظمة التحرير الفلسطينية أيام كانت منفية في تونس وذلك بواسطة سكرتير ثان وعندما استجابت المنظمة لكافة الطلبات الأمريكية ـ كافأتها .في سفارتها هناك يسمح للسفير "جورج شولتز"الولايات المتحدة بقرار من وزير الخارجية الأمريكي في تونس بلقاء مسئولين من المنظمة علنا وبصورة رسمية ـ واعتبرت ."حلما تحقق"المنظمة ذلك القرار في وقته

تنازلت هيبة الولايات المتحدة إلى حد أن رئيس الولايات "كلينتون"وفي عهد المتحدة الأمريكية قاد بنفسه عملية الاتصال، والتقى وتحادث وتفاوض، ورفع الكلفة بينه وبين عشرات من الرجال لم يعرفهم وناداهم جميعاً بأسماء الشهرة التي ، وقد سهر مع بعضهم يتكلم "أبو كذا"و "أبو كذا"ظهروا بها في العمل السري حتى الصباح، ومع ذلك فقد خرجوا من أمامه دون أن يوقعوا على ما طلب منهم بل راوغوه ثم زاغوا منه.

ويرى واضعو التقرير الرئاسي ـ والأمر كذلك ـ أن الولايات المتحدة يجب أن تستعيد هيبتها، ثم إن أي مسئول فيها ـ وحتى تحت مستوى الرئيس ـ يجب أن يعود إلى سياسة التعامل عن بعد ومن علٍ.

....

....

لم يتطرق التقرير الرئاسي إلى أسلوب كانت الولايات المتحدة الأمريكية وساساتها] يتبعونه مع معارفهم وأصدقائهم من العرب ـ ولا يزالون ـ باستثناء كلينتون الذي تعامل بأسلوب مختلف ولكن بمضمون لم يختلف.

لا بد من وضع مسافة واضحة بين أي علاقات ألفة "ومؤدى ذلك الأسلوب أنه ومجاملة استعدادتها ظروف وعلاقات سابقة، وبين أوضاع مستجدة لها اعتباراتها، ـ كي يخلطوا بين العام لأن كثيرين من العرب لديهم الاستعداد ـ ولاسبابهم

."والخاص
وفي ذاكرتي واقعة معبرة عن فرط تخوف بعض الساسة الأمريكيين من معارفهم
"جورج شولتز"العرب إلى درجة الفظاظة، وقد تابعت الواقعة بنفسي حين أصبح
."الكسندر هيج"وزيراً للخارجية في إدارة ريجان بعد خروج
عضوا في مجلس إدارة شركة كونسوليدت العربية "جورج شولتز"أيامها كان
وهو صاحب أكبر "حسيب صبّاغ"للمقاولات الذي يرأسه المليونير الفلسطيني
مائة ألف دولار سنوياً عن ثلاثة "شولتز"نصيب في الشركة، وكانت مكافأة
.اجتماعات يحضرها في السنة
يرتب زيارة لأمريكا وخطر له وهو يرتّب "حسيب صباغ"وبعد عدة أسابيع كان
برنامج سفره أن يطلب مقابلة صديقه وزميله السابق في مجلس إدارة شركته
حسيب "فبعث إليه برسالة شخصية، وفي اليوم التالي تلقى "جورج شولتز"
:تحيطه علماً بأن الأوضاع تغيرت "شولتز"رداً من سكرتيرة الوزير "صباغ
.صداقته الشخصية مع شولتز متوقفة طالما هو في منصبه ○
المرجو منه أن لا يتصل مباشرة بالوزير أو بمكتبه، ولا يطلب مواعيد معه لأن ○
.مجال نشاطه مما لا يشمله اهتمام الوزير حاليا
وإذا كان لديه ما يقوله، فإنه يستطيع أن يبعث به إلى مكتب وزير الخارجية كما ○
.[يفعل أي مواطن في أي بلد في العالم

....

!- افصل ما بين البترول وفلسطين3

يخاطبه مباشرة "جورج بوش"صلب التقرير الرئاسي كلام صريح موجّه للرئيس
.لا تفعل ذلك - وافعل ذاك، وتنبه هنا - وحاذر هناك :بـ
:وأول المنهي عنه بالتصريح والتلميح مسألتان
لا تخلط في منطقة الشرق الأوسط - أو ما يسمى :المسألة الأولى خطاب للرئيس ○
لأنه لا بد أن يظل كلٌ منهما مستقلا "نطاقين استراتيجيين"كذلك اصطلاحاً - بين
:بذاته وبعيدا عن الآخر
بمعنى ضرورة الفصل "الخليج وما حوله ناحية - وفلسطين وما حولها ناحية أخرى
، والاعتبار أن الخليج قضية وفلسطين "في سياساته ما بين إسرائيل وبين البترول
قضية أخرى والمزج بين الاثنتين يخلق تفاعلات تنشأ عنها شحنات خطر يصعب
.تقديرها
يضاف إلى ذلك أن الفصل بين النطاقين هو الضمان لإحكام السيطرة على إدارة كل

.واحد منهما في حدوده المعينة وفي إطار المحسوب
لا تقع في الأخطاء التي وقع فيها :والمسألة الثانية خطاب للرئيس أيضاً ○
بمعنى أن عليك أن تحتفظ لنفسك بمسافة كافية تبعدك عن التناول ..قبلك "كلينتون"
.المباشر لأزمات الشرق الأوسط وتحميك من التفاصيل وتحفظ للرئاسة مهابتها
لكنه فيما يتعلق بقضية الخليج تستطيع أن تقترب أكثر بحكم حجم المصالح
.وخصوصية الأطراف التي تتعامل معها الولايات المتحدة
وهنا يظهر معنى الاتصال ـ الذي سبقت الإشارة إليه ـ بين بوش الأب وبين الأمير]
عبد الله ولي عهد السعودية مباشرة، ومن أثره أن الأمير عبد الله عرفَ مبكراً
ليس مستعداً بعد لموسم زيارات الربيع التي "الابن"وتفهم أن الرئيس الجديد
.[يتسابق إليها أمراء ورؤساء المنطقة على طرق السفر إلى واشنطن

....

....

وهكذا فإنه لم يكن في برنامج الأمير عبد الله زيارة لواشنطن تحدد موعدها ثم]
تأجل غضبا أو احتجاجاً، وإنما كان هناك من البداية وعلى مستوى البيت الأبيض
.[2002أو ربيع 2001اتفاق على موعد متفق عليه يحل لاحقاً إلى خريف قادم

....

....

وتتضح هنا نتيجة واضحة لها مقدمات جلية ومؤداها أن التعامل مع النطاق
الإستراتيجي للخليج وما حولها هو اختصاص يقوم عليه البيت الأبيض، لأن
تفاعلات هذا النطاق ـ خصوصاً إذا غاب عنها تأثير نطاق فلسطين وما حوله ـ
وليس من المحتم أن يقوم الرئيس بنفسه بالتعامل مع .تفاعلات محكومة ومضبوطة
نطاق الخليج ـ فالاحتفاظ له في كل الأحوال بمسافة عازلة مطلب قائم ودائم ـ وإنما
ديك "يمكن من البيت الأبيض ـ من البيت الأبيض باستمرار ـ أن يقوم بالاتصال
لأن "دونالد رمسفيلد"نائب الرئيس، كما يمكن أن يساعد فيه وزير الدفاع "تشيني
قوات الخليج ـ وهي الضامن الأول والأخير لأمن الخليج ـ في دائرة اختصاصه
.وتحت سلطته المباشرة
فهو نطاق "وهو فلسطين وما حولها"أما فيما يتعلق بالنطاق الإستراتيجي الآخر
يستحسن التعامل معه من بعيد، وفي كل الأحوال من خارج البيت الأبيض أي من
وعلى .وزارة الخارجية أو إدارة المخابرات المركزية حسب ما تقتضيه الظروف
أرض الواقع فإن وزارة الخارجية لها سفير دائم مكلف بنقل الرسائل بين الأطراف،
!كما أن وكالة المخابرات المركزية قائمة على ترتيبات فاعلة ومؤثرة

**

يدخل صلب التقرير بعد ذلك مباشرة مقترحاً على الرئيس توصيات يأخذ بها في سياساته وقراراته.

التوصية الأولى *:

وسائلك إلى ذلك على ..أن تمنع نشوب حرب إقليمية في الشرق الأوسط "عليك" النحو التالي:

○ عليك أن تؤكد طول الوقت أهمية تحالفنا الإستراتيجي غير المكتوب مع إسرائيل "شريك"وحتى يفهم الجميع بغير التباس أن القوة الأمريكية غالبة وأن إسرائيل إستراتيجي لنا.

○ خصوصاً مصر والأردن "عليك أن تستغل وتستعمل الدول العربية المعتدلة وذلك لتشجيع طرح مبادرات وعرض صيغ تبقى عملية "والمغرب والسعودية التسوية مفتوحة طول الوقت.

○ عليك أن تواجه المعارضين لسياستنا الحاليين والمحتملين - بسياسية رادعة. وهنا فعليك أن تتأكد أن سوريا - تحت قيادة بشار الأسد - تدرك أن تشجيعها لعمليات حزب الله سوف تستثير ردود فعل ضرورية تعرض سوريا لضربات إسرائيلية موجعة.

وفي هذا المجال فإن عليك أيضاً إفهام بغداد بأن إقترابها أو تداخلها في الصراع وأن الولايات المتحدة ترقب محاولات .العربي - الإسرائيلي لا يمكن السماح به العراق لتخويف وابتزاز الأردن، كما لا يستطيع العراق أن ينتهز فرصة زيادة التوتر في فلسطين ويجرب القيام بعمليات تعزيز سلطته في مناطق الأكراد.

○ عليك أن تطلب وفوراً توقف أعمال العنف بين الفلسطينيين وإسرائيل وعليك أن وهو وحده "الالتزام بمسيرة السلام"يدركان دون التباس أن "!"تجعل الطرفين المبرر الذي يبقى الولايات المتحدة طرفاً فيها وإذا لم يتأكد ذلك فإن كل طرفه عليه وعقوبة تأخره في العودة إلى "في طرف وقف العنف"أن يتحمل عواقب تهاونه "بغير تضييع للوقت"مائدة المفاوضات.

التوصية الثانية *:

أن تعيد تقييم تجربة المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين بما في "عليك" وسائلك إلى ..حتى تتضح خطواتك نحو التسوية وتبين أمامك "أوسلو"ذلك تجربة تحقيق ذلك على النحو التالي:

○ عليك أن تقرر - بعد استكشاف مواقف الإسرائيليين والفلسطينيين - إذا كانت الجهود التي بذلت في الأسابيع الأخيرة من إدارة كلينتون وتحت إشرافه تستطيع

توفير أساس تقوم فوقه إضافات ترتفع به إلى المستوى اللازم ـ أم أن ذلك الجهد كان مضيعة للوقت وبالتالي تفض يدك منه ومن نتائجه.

○ عليك أن تقرر هدفاً لتدخل إدارتك في هذه الأزمة فإما أن تختار البحث عن حل دائم ـ أو تكتفي بسياسة خطوة خطوة مرة أخرى.

○ عليك أن تقوم بتحذير الطرفين من قيام أي منهما بعمل منفرد أو التهديد بعمل منفرد ولا بد أن يعرف الفلسطينيون دون أدنى شك أنك لن تقبل إعلان قيام دولة فلسطينية من طرف واحد ـ كما أنه لا بد أن يعرف الإسرائيليون أنك لن تقبل بعملية فصل كامل بين الشعبين.

○ عليك أن توضح أمام كل من الطرفين أن الولايات المتحدة ليست لها مصالح ملحة تريد ضمانها من توصل الطرفين إلى تسوية ـ وإذا تم فصل نطاق الخليج عن النطاق الفلسطيني الإسرائيلي ـ فإن مصالح الولايات المتحدة في التسوية النهائية بينهما محدودة وكل ما تريد الولايات المتحدة تحقيقه هو وضع نهاية للصراع تبقى الأماكن المقدسة هناك مفتوحة لأتباع كل الأديان. وليس لإدارتك أن تقدم أية "مقترحات أمريكية" لحل عقد مستعصية وإن كان بمقدورها أن تفعل ذلك بشرطين:

1ـ أن يطلب الطرفان تدخلها بتقديم صيغة حل.

2ـ وأن يتعهد كلاهما بقبول الصيغة التي تقدمها.

○ عليك إعلام الطرفين بكل الوسائل أن التفاوض هو مسئولية الأثنين وحدهما وأن إدارتك مع استعدادها لأن تتابع عملية التفاوض ليست مستعدة لأن تكون طرفاً فيها. وفي كل الأحوال فإنك بهيبة الرئاسة لا تستطيع أن تتدخل في مثل هذه المفاوضات ومن الأفضل:

1ـ ترك المهمة لوزارة الخارجية.

2ـ تفعيل دور وكالة المخابرات المركزية.

3ـ موقفك بصفة عامة: اقترب من الأزمة عند الضرورة ولكن لا تأخذها في أحضانك مهما كانت الظروف!

* التوصية الثالثة:

تستطيع السماح لأطراف دولية غير الولايات المتحدة ببذل جهود لتخفيف حدة التوتر في الإقليم.. وسائلك إلى ذلك على النحو التالي:

○ عليك أن تتعاون في هذا الصدد مع الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي ويكون طلبك من الجميع أن يعملوا بجد على استعادة الهدوء في الإقليم دون أن يتجاوز أي طرف من هذه الأطراف الدولية ويسمح لنفسه بالتدخل في عملية التفاوض المباشر.

○ عليك دفع الدول الإقليمية الموالية لك - وخصوصاً مصر وتركيا - للوصول إلى العالم العربي والعالم الإسلامي وتخفيف أية احتقانات تحصل سواء لدى الشعوب أو لدى القادة.

○ عليك أن تجعل مقاومة التحريض بين أولويات مطالبك، وهنا فإنه لا بد من التأثير - بأي طرق تراها - في الرأي العام العربي والإسلامي، ومن المهم تشجيع الحوار على كل المستويات بين الإسرائيليين وبين العرب والمسلمين.

○ عليك أن تعمل على استئناف المفاوضات المتعددة الأطراف؛ فمثل هذه المؤتمرات أي تنتقل من السياسة إلى الاقتصاد "تساعد عملية السلام أو تخفف التركيز عليها ومن لغة الإثارة إلى لغة المصالح".

○ عليك أن تتشاور مع الدول المنتجة للنفط لكي تقدم بعض المساعدات للاقتصاد الفلسطيني، ولفت نظرهم إلى أن ارتفاع أسعار البترول يجعل مثل هذه المساعدة بلا تكلفة زائدة، ثم إن مثل هذه المساعدة تستطيع تغطية انسحاب دول النفط سياسياً من تعقيدات الأزمة "في فلسطين".

* التوصية الرابعة:

"عليك" أن تهتم بمثلث سوريا - لبنان - إسرائيل، وتشجيع عملية "تغيير" في سوريا ولبنان تفتح الباب لمفاوضات قد ترى أنك تستطيع توجيهها.. وسائلك إلى ذلك على النحو التالي:

○ عليك تقوية إمكانيات الردع الإسرائيلي لأن ذلك وحده هو ضمان تحجيم إمكانيات حزب الله في شن هجمات صاروخية على شمال إسرائيل. ومن المهم إبلاغ كل الأطراف باعتقادك أن إسرائيل تملك مشروعية الدفاع عن نفسها بالوسائل التي تقدرها ومن الضرورة أن تدرك سوريا - نقلاً عنك مباشرة - أنها سوف تصاب بأضرار جسيمة إذا سمحت بتحويل مواقع الحدود الإسرائيلية - اللبنانية إلى منطقة عمليات عسكرية. وهنا فلا تشجع إسرائيل على استهداف المدنيين عند قيامها بعمليات الردع العسكري.

○ عليك تأييد موقف السكرتير العام للأمم المتحدة في اعتبار أن الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان هو وفاء من جانبها بشروط قرار مجلس الأمن 425. ولابد للبنان أن يعرف أنك تربط بين أي مساعدات أو استثمارات لإعادة إعمار لبنان بشرط انتشار الجيش اللبناني على الحدود مع إسرائيل والبدء في نفس الوقت بنزع سلاح حزب الله.

○ عليك استكشاف الفرص المتاحة في سوريا جرب إذا كان في مقدور الرئيس السوري بشار الأسد ان يقوم بجهد في تحسين علاقاته مع الولايات المتحدة معيار.

قياسك لحسن نواياه هو الطريقة التي يتصرف بها إزاء لبنان وإزاء قضية الإرهاب ."!حزب الله"
○ عليك ان تتحرك بنشاط أكثر في لبنان وذلك عن طريق تشجيع مطالبة اللبنانيين بحرية أكبر، وذلك لفك القبضة السورية عن الشئون اللبنانية، وتستطيع أن تقنع الحكومة اللبنانية بأن تأخرها في إرسال جيشها إلى حدودها الجنوبية - سوف لا تقدم مساعدات للجيش ..يفرض عليك أن تعيد توجيه المساعدات الأمريكية للبنان وجه مساعداتك إلى دعم النواحي الإنسانية ومنها منظمات حقوق الإنسان ..اللبناني !والهيئات العلمية والمدنية وأي نشاط لمؤسسات المجتمع المدني في لبنان

:التوصية الخامسة *

○ عليك أن تمنع تواجد أسلحة متقدمة بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل في ترسانات دول المنطقة، وعليك أن تحول دون انتشار هذه الأسلحة وبالتأكيد دون :وسائلك إلى ذلك على النحو التالي ..استخدامها

○ عليك إيجاد توافق دولي إقليمي على منع انتشار أسلحة الدمار الشامل، وليكن .ذلك عن طريق التفاوض والتفتيش وغير ذلك من الوسائل الضرورية لبناء الثقة

○ عليك أن تكون متأهباً للرد بقوة على أية مخالفة، ولا بد أن تكون مستعداً على سبيل المثال لاستخدام قوة عسكرية طاغية ضد العراق إذا حاول إعادة بناء ترسانته ومن الأفضل أن ترتب لمثل هذا الاحتمال عن طريق الأمم المتحدة - أو .العسكرية عن طريق تحالف حرب الخليج السابق، وإذا استحال ذلك فعليك أن تكون جاهزاً للعمل مع عدد قليل من الأصدقاء يدركون الخطر العراقي، ويتابعون خططه في .مجالات الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية

○ عليك ردع إيران عن امتلاك أية أسلحة متقدمة، والمهم في حالة إيران أن تكون لأن إيران حليف "إجراءاتك ضد القيادة الإيرانية وبدون تأثير على الشعب الإيراني ."قوى إذا سقط نظام الثورة الإسلامية

○ عليك تشجيع فكرة إقامة نظام دفاعي صاروخي تقوم عليه الولايات المتحدة بالشراكة مع بعض الأطراف في المنطقة، ولتكن البداية بمجموعة دول مجلس الظروف التعاون الخليجي، وبعد ذلك تنضم الأردن ومصر وتركيا، وعندما تتهيأ ولذلك فمن المهم تشجيع تركيا والأردن وغيرهما من الدول الصديقة .تنضم إسرائيل الذي تنتجه إسرائيل بالتعاون مع "في المنطقة على استعمال الصاروخ أرو ."الولايات المتحدة

:التوصية السادسة *

عليك أن تبذل كل الجهود لمقاومة الإرهاب، فهذا هو الخطر الأكبر في المنطقة ذاتها

:وسائلك إلى ذلك على النحو التالي ..ومنها إلى غيرها

○ عليك أن تدرس قصص النجاح التي شهدتها المنطقة في مجال مقاومة الإرهاب، وأهمها تجربة تركيا في التعامل مع حزب العمال الكردي، وتجربة مصر في التعامل .مع الجماعة الإسلامية

○ عليك أن تعمل على عزل ميدان العمليات الإرهابية وخطرها عن مجرى عملية السلام وتقلباتها، وعليك أن تجعل الأطراف - خصوصاً الأردن والسلطة الفلسطينية - يدركون أن السماح بصلة بين عمليات الإرهاب وعملية السلام سوف يكلفهم غالياً، .وأول التكلفة أن يخسروا صداقة الولايات المتحدة

○ عليك تشجيع أوسع لتعاون دولي وإقليمي ممكن لمواجهة خطر الإرهاب تدخل بدور نشيط في مقاومة الإرهاب .خصوصاً من شبكات التطرف الإسلامي بواسطة التنسيق بين أجهزة المخابرات، وشجع على تبادل المعلومات سرا لأن هناك دوائر في العالم العربي والإسلامي على استعداد للتعاون، لكنها لا تريد لأحد لاحظ وجود مكامن للإرهاب في إيران وباكستان .أن يسمع ما تقول أو يرى ما تفعل ولك أن تتذكر أن في أوروبا دولاً قادرة على مساعدتك في هذا .واليمن وأفغانستان .المجال

○ عليك تقدير وسائلك في العمل المباشر ضد الإرهاب دون أن تتردد لأي اعتبار، "في السعودية"وعلى سبيل المثال فنحن نعرف أن بعض مدبري انفجار الخبر لا تتردد في إعلان عزمك على استخدام القوة ضد معاقل .موجودون في إيران !الإرهاب أينما كانت - وأعط لعزمك مصداقية فعلك

:التوصية السابعة *

ضد القوى التي تهدد المصالح "بإجراءات نهائية"عليك أن تكون مستعداً للقيام :وسائلك إلى ذلك على النحو التالي ..الأمريكية في المنطقة، وأولها العراق وإيران

○ عليك تشجيع التغيير في إيران وفي العراق، وعليك ان تلاحظ أن التغيير في إيران يمكن أن يتم بوسائل سياسية، وأما التغيير في العراق فلا يمكن أن يتم بوسائل سياسية؛ ومعنى ذلك أن التغيير في إيران يمكن أن يتم من الداخل، وأما .التغيير في العراق فيقتضي دعماً من الخارج لثورة بالعنف أو انقلاب من الداخل ولتسهيل التغيير في العراق وتقليلاً لتكاليف العنف الملازم له يستحسن إشغال صدام .حسين وتشتيت انتباهه على أكثر من جبهة واحدة

○ :عليك تقدير ردود فعلك العسكري مبكراً إزاء أي تطور يحدث في العراق

- .في حالة قيام تمرد ضد النظام في بغداد

- في حالة تعرض صدام حسين للكيانات ذات الاستقلال المحلي في المناطق الكردية

.شمال العراق
في حالة رفض صدام حسين نهائياً محاولات إعادة الرقابة والتفتيش على برامج -
.تسليح العراق
وفي كافة هذه الحالات ليس هناك ما يمنع من أن يكون صدام حسين على علم برد فعل الولايات المتحدة وتصرفها إزاء كل حالة، ويجري ذلك بالتوازي مع إعادة بناء إمكانية مالية وعسكرية وتكنولوجية لقوى المعارضة العراقية، على أن تكون هذه القوى على علم أكيد بحجم الدعم الذي يمكن أن تقدمه لها الولايات المتحدة في كل
.ما تقوم به من أجل نظام ديمقراطي في عراق ما بعد صدام حسين
○ عليك أن تشجع المعتدلين في إيران ضد المتطرفين، وأن تصل من وراء الاثنين
شجع السياحة بين إيران والغرب ـ شجع القطاع :مباشرة إلى الشعب الإيراني
.الخاص في إيران ـ ابحث عن قنوات لحوار مع القوى الديمقراطية في إيران
:التوصية الثامنة *
بصرف النظر عن الموجة المعادية لأمريكا ـ وهي تجتاح المنطقة الآن ـ فإن عليك
وسائلك إلى ذلك على ..أن تعزز التيارات والمواقع الموالية للسياسة الأمريكية
:النحو التالي
○ ـ حتى بالتواكل ـ في علاقاتك "تآكل" عليك أن تتأكد باستمرار من أنه ليس هناك
.في المنطقة
○ عليك أن تشجع عملية واسعة للتعريف بالقيم الأمريكية والديمقراطية الأمريكية
.والممارسة السياسية في أمريكا
○ عليك أن تعمل على ظهور قيادات جديدة صديقة لأمريكا وقادرة على إجراء
.شرعية مقبولة "لهذه القيادات" إصلاحات توفر لها
○ عليك تشجيع الاتجاه نحو الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، وفي هذا الميدان
لأن عملك في هذه المجالات يمكن "تفكر بجرأة وتتصرف في حذر" فإن عليك أن
ركز .ركز على مصر باعتبارها أكبر دولة عربية .أن يخلق حساسيات تعطل جهودك
على السلطة الفلسطينية لأن قضية فلسطين موجودة في كل بلد عربي، وهناك
!"عصر ما بعد عرفات" احتمالات واسعة لتطورات ديمقراطية مهمة في

....

....
تلفت النظر في هذا الموقع من تقرير المجموعة الرئاسية للشرق الأوسط عبارة]
."عصر ما بعد عرفات"
وتلك إشارة مبكرة أو متأخرة إلى نقاش طويل دار في واشنطن أثناء الزيارة الأخيرة

وكانت هذه .إلى واشنطن "آرييل شارون"التي قام بها رئيس الوزراء الإسرائيلي
قتل فيه "الزيارة في أعقاب التفجير الكبير في ملهى ليلي إسرائيلي قرب تل أبيب
عزمه على توجيه ضربة قاصمة "شارون"، وأبدى "إسرائيلياً 49وجرح 16
.للسلطة الفلسطينية تكسر أو تنهى وجودها في غزة
أو طرده من "ياسر عرفات"- ضمن ما طرح - اقتراحاً بتصفية "شارون"وطرح
"جورج تنيت"غزة وكان رأي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية - وكان مديرها
- على الأقل في الظروف "عرفات"إن التفكير في تصفية "يشارك في النقاش
الراهنة - خطر مؤكد ذلك أنه إذا تمت تصفيته جسدياً فذلك يحوله إلى شهيد تحارب
أعلامه حتى بعد موته، وإذا جرى طرده من غزة بالقوة فذلك سوف يحوله إلى بطل
ما زال له "عرفات"أن "تنيت"وكان تقدير .يلتف حوله الجميع حتى في المنفى
.بتصرفات متسرعة وغير مضمونة "لحرق المراحل"دور يؤديه ولا داعي
فإنه "عصر ما بعد عرفات"بعد ذلك أنه عندما تنشأ ضرورة "تنيت"وكان تقدير
من الأفضل إزاحة الرجل دون عنف مع إبقاء السلطة الفلسطينية كجهة يمكن
"بديل لعرفات"وبالتالي فلا بد من إيجاد .التعامل معها ولو في مطالب ضبط الأمن
نوعاً من التغيير "عصر ما بعد عرفات"يقبل بالمهمة ويستعد لها وبحيث يبدو
طرح أحد "الطوعي الفلسطيني وليس نوعاً من التغيير القسري الإسرائيلي
مسئولي المخابرات المركزية ثلاثة أسماء يمكن اختيار أحدهم مرشحاً لمسئولية
ثم عادت المناقشة إلى سياقها باقتراح أنه عندما تجيء " "عصر ما بعد عرفات"
فإن هذا العصر يمكن أن يبدأ بقدر معقول من حسن "عصر ما بعد عرفات"ساعة
السياسة وحسن الإدارة وذلك أمر له سابقة في السياسة العربية من قبل وهي
.سابقة يمكن تقليدها حتى مع اختلاف الظروف
وكانت السابقة التي وقعت الإشارة إليها في هذا النقاش في واشنطن - أثناء زيارة
عندما قام في السودان "جعفر نميري"- هي ما جرى مع الرئيس "شارون"
انقلاب عسكري عليه أثناء غيابه عن الخرطوم ما بين أمريكا وأوربا، تاركاً
جعفر "وعندما علم ."سوار الذهب"مسئولية الأمن معلقة بثقته في ولاء الفريق
بأمرالانقلاب سارع بطائرته عائداً إلى بلاده، ثم عرف عند وصوله إلى "نميري
انضم إلى الانقلابيين، وبدا أن ذلك زاده "سوار الذهب"القاهرة أن نائبه الفريق
سوار "الانقلابيين و :إصراراً على مواصلة السفر إلى الخرطوم لينتقم من الجميع
"حسني مبارك"لكن جعفر نميري تلقى في مطار القاهرة من الرئيس "الذهب
تطرح عليه أفضلية "نصيحة ودية"وعلى امتداد ساعتين في استراحة الرئيس
وتجنيب السودان وجيشه محنة انقسام مؤكد إذا أصر على "البقاء في القاهرة

.مواصلة السفر إلى الخرطوم بطلب الانتقام
"عرفات"مع "تقليدها"وكان الرأي في مناقشات واشنطن أن هذه السابقة يمكن
له أن يبدأ من "ما بعد عرفات"وبالتالي فإن عصر ."نميري"كما سبق مع
بدلاً من عنف قد يكون دموياً وقد ينتج عنه دون مبرر شهيد أو "نصيحة ودية"
مطالب "تحول بعد سنوات من المنفى في القاهرة من "نميري"بطل في حين أن
.[!"مطالب بالعفو"إلى "بالانتقام

....

....

"جورج بوش"وتتوالى توصيات المجموعة الرئاسية موجهة نصائحها للرئيس
."الابن"

:التوصية التاسعة *

أن تهتم بتقوية قواعد ووسائل عملك في الشرق الأوسط لمواجهة أية "عليك"
:وسائلك إلى ذلك على النحو التالي ..احتمالات تنشأ دون أن يفاجئك منها شيء

- عليك أن تعرف أن إسرائيل هي الركيزة الأولى لضمان أمن الإقليم، والتحالف الأمريكي مع إسرائيل بالفعل وبالقول هو القاعدة المتينة لكل الخطط والسياسات، والحقيقة فإن قوة الشراكة بين البلدين هي أداة الفعل الرئيسية في المنطقة، ولا بد .نظيفة من أي سبب للتوتر "الأمريكي والإسرائيلي"أن تكون العلاقة بين الطرفين
- عليك ـ للاستفادة القصوى من هذه الحقيقة الاستراتيجية ـ أن تكفل لإسرائيل متجدداً طول الوقت على كل الأطراف العربية، وهنا فإن عليك أن "تفوقاً نوعياً" تقاوم وترفض بشدة كل محاولة من جانب أي طرف عربي يطلب أو يسعى للتساوي .مع إسرائيل
- عليك أن تساعد مصر حتى تقوم بمسئوليتها القيادية في إطار سياستك، لكن إذا ترددت مصر في القيام بهذه المسئوليات ـ بما في ذلك المبادرات الإقليمية الاقتصادية التي تشمل إسرائيل ـ ثم تذرعت في ذلك بتعثر عملية السلام، فإن عليك وعليك أن تذكر كل من يعنيه الأمر أن مصر وإسرائيل .أن تتخذ ما تراه لازماً .تحصلان على أكبر قدر من المساعدات الخارجية الأمريكية
- عليك أن تبذل جهدك لتأييد وتسريع عملية التطبيع بين الأردن وإسرائيل، وإقناع الأردن أن ذلك أفضل ضمان له سياسياً واقتصادياً، وحذر الأردن من غواية تصورها أنها تستطيع مغازلة أو مهادنة صدام حسين ـ ذلك سوف يضر بسلامة .الأردن واعتداله
- عليك أن تشجع تركيا على القيام بدور رئيسي في المنطقة مع إفهامها بطريقة

واضحة أنها لا تستطيع أن تمارس هذا الدور، ولا أن تحقق نتائجه السياسية والاقتصادية إلا بالتعاون مع إسرائيل.

!ـ في انتظار حمامة4

بقي ملحق مختصر أضيف إلى توصيات اللجنة الرئاسية، وقد جاء نتيجة لزيارة ـ وإضافة اللمسة الأخيرة للتقرير قبل وضعه على "2001يونية "اللحظة الأخيرة مكتب الرئيس.

وملخص الملحق يقول لبوش:

ليست هناك على الأفق في الظروف الراهنة فرصة لحل دائم. -

ليس هناك أي سبب للقلق على أمن إسرائيل. -

ليس هناك أمل كبير يمكن تعليقه على مقترحات تتردد هذه الأيام عن وقف إطلاق - نار، وعن مراقبين على مواقع مراقبة، وعن ترتيبات من نوع وقف الاستيطان لأنه ليس بين المسئولين في إسرائيل من يريد أن يسمع عن مثل هذه الترتيبات أو يكررها قولاً ـ مجرد قول ـ على لسانه.

أزمة الصراع العربي الإسرائيلي وليس حله "إدارة"الممكن هو. -

إدارة الأزمة مهمة ثقيلة لكنها ليست خطرة طالما أمكن تحقيق المطالب الرئيسية - الفصل في منطقة الشرق الأوسط بين نطاق "في صلب تقرير اللجنة الرئاسية - "القابل للانفجار"، ونطاق الصراع العربي الإسرائيلي "سريع الاشتعال"البترول على حافة الصراع العربي "الموالية للغرب"ثم التركيز على الدول المعتدلة ." "مصر والأردن"الإسرائيلي

من الممكن أيضاً اتخاذ مجموعة من الإجراءات تكفل تخفيض درجة العنف ومن - ألفاً إلى 40بينها تخفيض عدد قوات الأمن الفلسطيني من مستواها الحالي، وهو - "واي ريفر"ألفاً طبقا لما جرت مناقشته أثناء اجتماعات 18أقل من النصف ونزع كل سلاح غير مرخص به في مناطق السلطة الفلسطينية ـ وأخيراً ترك القوة التي يستند إليها نشاط منظمات الإرهاب "القاعدة الأساسية"الإسرائيلية تكسر الفلسطيني.

....

....

بالفعل تحدد عدد قوات الأمن الفلسطيني بما لا يزيد على "أوسلو"كانت اتفاقية] ألف فرد، لكنه عندما دخلت السلطة الفلسطينية إلى قطاع غزة بدا أن هناك 18 توترات بين القادمين من المنفى في تونس وبين الذين أقاموا في قطاع غزة طول

.الوقت تحت الاحتلال وفي مقاومته
وبين حركة "فتح"وفي لحظة من اللحظات ظهرت إمكانية صدام مسلح بين حركة
، ووقتها قامت إسرائيل بإبلاغ السلطة أنها لن تمانع إذا هي تجاوزت حد "حماس"
وعلى هذا الأساس ارتفع سقف قوات الأمن ..المسموح به في أفراد الأمن
ألفاً، ثم وصل في 36ألفاً، ثم ارتفع مرة ثانية إلى 25إلى 18الفلسطيني من
.ألفاً 42النهاية إلى
وعندما لم تحدث الحرب الأهلية المنتظرة والمطلوبة بين الفلسطينيين وبالتحديد
ـ راحت إسرائيل تطلب تخفيض قوات الأمن "حماس"و "فتح"بالاقتتال بين
وراحت تدعى أنه تحت رخصة السماح بزيادة .الفلسطيني إلى الحد المتفق عليه
أفراد الأمن في ظرف معين ـ فإن السلطة الفلسطينية انتهزت الفرصة وأدخلت
.سلاحاً أكثر من المسموح به لأفراد زاد عددهم عدة مرات على السقف المقرر
وربما أن استهداف قوات الأمن الفلسطيني لضربات إسرائيلية مستمرة في الأسابيع
الأخيرة ـ يكشف أن إسرائيل تحاول الآن ـ بقتل المحاربين الفلسطينيين ـ أن تعوض
].حماس"و "فتح"ما فاتها بالاقتتال بين

....

....

:ـ تقول 2001ثم تجيء ملاحظة مهمة قرب نهاية ملحق التقرير الرئاسي ـ يونية
لقد لمسنا لدى المصريين اهتماماً يعلق أملاً على انتخابات رئاسة حزب العمل "
ـ وأملهم أن هذه الانتخابات قد تأتى برجل معتدل يرأس 2001سبتمبر 4المقرر لها
إلى "الحمائم"، لأنه إذا عاد "حاييم رامون"أو "يوسي بيلين" :حزب العمل مثل
قيادة حزب العمل فربما أمكن البدء في المفاوضات، ورفع الحطام والركام مما عوّق
.وسد مسيرة السلام
**
في النهاية يظهر أن سبتمبر ـ هذا الشهر ـ وما يليه ـ سوف يكون موعداً مشهوداً ـ
قبل أن يتوجه إلى ولاية تكساس ـ لإجازة شهر كامل ـ "بوش"ذلك أن الرئيس
طول أغسطس ـ حضر في الأسبوع الأخير من يوليو اجتماعيا لمجلس الأمن القومي
الأمريكي جرت فيه مناقشات مستفيضة لتقرير المجموعة الرئاسية عن أزمة
.الشرق الأوسط
"الواشنطن بوست"في "جيم هوجلاند"وفي هذا الاجتماع ـ وطبقاً لما أورده
أبدى في الاجتماع عدة ملاحظات "جورج بوش"ـ فإن الرئيس "أغسطس 9عدد "
:مجملها

ـ إنه في فترة إجازته سوف يأخذ كل ما لديه من تقارير وتوصيات عن أزمة الشرق الأوسط وسوف يبت فيها ويعود جاهزاً بقرار.
التي يزعم بعض موظفي الخارجية الأمريكية "تلك الصلة"ـ إنه يرفض قبول "بوهم"بوجودها بين قضايا الخليج وبين تعقيدات الصراع العربي الإسرائيلي سوف "تكساس"ـ ولذلك فإنه عند عودته من الإجازة في "وحدة الشارع العربي" يعطى نفسه حرية التصرف.
ـ إنه في اتصالاته بمن اتصل بهم ـ من ساسة العالم العربي ـ سأل الجميع عن تصوراتهم لحل الأزمات المستعصية في منطقتهم، وقد أثار دهشته أنهم في أزمة طلبوا منه أن ينتظر ويترك للزمن أن يفعل فعله ـ لكنهم في أزمة الصراع :الخليج العربي الإسرائيلي طلبوا منه وألحوا عليه في استعمال سلطته للضغط على إسرائيل وذلك منطق عجز عن فهمه.
ـ وهكذا ـ أخيراً ـ فإنه سوف يعود في سبتمبر ليتصرف دون انتظار رأي أو توقع تعاون من ناس لا يعرفون كيف يساعدون أنفسهم ثم يطلبون من الآخرين أن لا يسمح لنفسه أن يسايره "ضعف وعجز"يساعدوهم وذلك في تقديره!

....

....

وكذلك فإن المنطقة التي كان صيفها هذا العام حاراً ـ تمشي مرهقة الخطى نحو خريف ملتهب.
ذلك أنه مهما كانت نتائج انتخابات حزب العمل الإسرائيلي ـ في سبتمبر الحالي ـ فإن الأفق الإسرائيلي لا يظهر عليه جناح حمامة بيضاء ـ ثم إن الرئيس الأمريكي العائد "صقر"من إجازة في تكساس ـ اليوم أو غداً ـ يرجع إلى مكتبه البيضاوي بجناح وأما في العالم العربي فلا أعرف !أغبر!
على أنه من الإنصاف أن أقول إنه ربما كان أصحاب القرار في العالم العربي يعرفون ـ لأن ذلك الدم الذي يسيل على أرض فلسطين فداءً وشهادة يحتاج وراءه جورج "إلى ما هو أعز وأكرم من عرق يتصبب خجلاً نتيجة ضعف وعجز رآهما قبل إجازته وأثناء إجازته وبعد الإجازة ـ ثم قرر التصرف كما يشاء دون "بوش انتظار ودون اعتبار.

حريق أمريكي وعالمي

1ـ الكل يعرفون لكن المفاجأة تقع:-

لعدة ساعات بعد صواعق النار والدمار التي انقضت على نيويورك وواشنطن صباح ـ ظهر الرئيس الأمريكي مأخوذاً بالصدمة ومذهولاً 2001سبتمبر 11يوم الثلاثاء

إعلان حرب على الولايات "حتى تمالك نفسه ـ بعد ساعات ـ ليصف ما جرى بأنه
."المتحدة الأمريكية
إنه كان رجلاً لم يتابع أو لم "إلا أن يقال "جورج بوش"ولم يكن هناك عذر لـ
عرض عليه ونوقش أمامه يخص أمن الولايات المتحدة "موضوعاً"يستوعب
لم يعرض ولم يناقش فقط ـ وإنما طرحت في "الموضوع"ثم إن ."ومصلحتها
شأنه إستراتيجيات وسياسات تحدد وسائل مواجهته والتعامل معه عندما يجيء ـ
وفق كل "شكل التحدي القادم"وكان الراجح لدى الجميع أنه سوي يجيء لأنه
.التقديرات لحسابات المستقبل عن الأمن والمصلحة
من الصدمة والذهول ثم وصف ما جرى بأنه "جورج بوش"وعندما استفاق
فقد كان الرئيس الأمريكي قائداً .وأجرى تصرفاته على هذا الأساس "إعلان حرب"
خسر معركة توقعها، وأعد نفسه لها، واتخذ من الإجراءات ما هو كفيل بمواجهتها
فقدت :ونتيجة قصوره أو نسيانه في اللحظة الحاسمة جاءت خسائره مروعة
الولايات المتحدة الأمريكية آلافاً من مواطنيها، وأهدرت عشرات البلايين من
ثروتها، وضيعت جزءاً كبيراً من كبريائها وهيبتها، وتلك بالنسبة لقوة عظمى في
زمانها كارثة بغير حدود، وخصوصاً أنها القوة الأعظم الفريدة في زمانها والمتفردة
.بالسيطرة على نظام العالم ـ أو المصممة على هذا التفرد
والواقع أن الرئيس الأمريكي في تلك اللحظة الرهيبة من حياة شعبه ظل عشر
بعيداً عن مكتبه ومركز ("العاشرة صباحاً حتى الثامنة مساءً)من "ساعات كاملة
قيادته راكباً طائرة هائمة في الأجواء، متردداً بين المطارات المدنية والعسكرية،
ولم تبق أحواله في هذه الساعات الحرجة سراً، لأن طائرته .عاجزاً عن حزم أمره
اختيار " "القرعة"التي كان يستقلها من فلوريدا كان عليها مجموعة من صحفيي
من يرافق الرئيس من ممثلي الإعلام الذين يتعهدون بإتاحة ما لديهم لزملائهم لتظل
ـ ومع أن هؤلاء "الفرصة مفتوحة للكل سفرة بعد سفرة على طائرة الرئاسة
الصحفيين تعهدوا بألا يكتبوا حتى لا يتعرضوا للحرمان من فرصهم إذا حل عليهم
النصيب ـ فإن رواياتهم الآن متداولة بالتفصيل داخل قاعات التحرير في فضائيات
تلقى ما سمع "بوش"وصحف نيويورك بالذات، وبين الروايات أن الرئيس
وانتابته حالة من عدم التصديق تعثر معها لسانه وشحب وجهه، بينما هو وسط
.جمع من أطفال مدرسة كان يزورها في فلوريدا
وضاعف من اضطراب الرئيس أنه في تلك اللحظة تلقى أنباء تقول أنه شخصياً
تحول الرجل الذي "تبحث عنه، و "القذائف"مطلوب ومهدد، وأن إحدى الطائرات
إلى أسير "للعالم"يملك وحده مفتاح القوة النووية الأمريكية في ثانية من رئيس

فقد صمم الحرس ألا يعود الرئيس إلى واشنطن إلا بعد ."في عهدة حرسه الخاص
ولأنه لم يكن ممكناً أن .أن ينجلي الموقف وتنطفئ آخر إشارة حمراء فوق العاصمة
قاصدة "فلوريدا"يتوقف الرئيس في فلوريدا ـ ويبين تردده ـ فإن الطائرة قامت من
كأنها نزهة في الأجواء رغم أن أربع طائرات مقاتلة صعدت وراءها إلى "لويزيانا"
برئيسه المعلق بين السماء والأرض فإذا "ديك تشيني"واتصل .الجو لحراستها
هؤلاء "الرئيس يعتذر لنائبه بأنه يريد المجيء بأقصى سرعة إلى واشنطن لكن
يمنعونه بداعي الحرص على الولايات المتحدة أولاً وليس على شخصه "الرجال
إنه إذا كان قرار الرئيس أن لا يجيء على الفور إلى :"ديك تشيني"ويرد .فحسب
، "نبراسكا"واشنطن فقد يكون المناسب أن يذهب إلى قيادة القوات الجوية في
فهناك مقر قيادة احتياطي رئاسي، ووجود الرئيس فيه الآن يبدو اختيارا لأقرب مقر
ويتصل به "نبراسكا"إلى "جورج بوش"وتتوجه طائرة .قيادة من مكان وجوده
كثيرون من أركان حكمه وقادة حزبه يزعجهم تأخيره وهو يتعلل بالخطر والحرس،
كل امرأة في "تقول له ما معناه أن "بربارا بوش"حتى كلمته والدته السيدة
زوجة وأما وأختاً وبنتا يطمئنها أن تجد الرجل المسئول عن كل الرجال :أمريكا
.والنساء على الوطن في مكتبه يؤدي واجبه
وهي كأم لرئيس وزوجة لأب سبق الابن في الرئاسة تفضل أن تراه تحت الخطر في
"!هذه اللحظة بأكثر مما تريد أن تراه بعيداً عن قيادته
.أن يهزم حرس الرئيس "الأم"واستطاع حزم
**
.إلى مقر قيادته في البيت الأبيض !من غيبته الجودية "جورج بوش"وهكذا عاد
وخلال الأربع والعشرين ساعة التالية نزلت دموعه أمام كل الناس وعلى شاشات
.التليفزيون خمس مرات قيل بعدها أن البكاء طهر وثبّت قلبه
والمثير الدهشة أن أقرب رجال الرئيس كانوا في مواقعهم وداخل مكاتبهم أثناء
غيبته ولكنهم تحرجوا من الظهور علنا ـ بدموع أو بغير دموع ـ لكي يرى الشعب
ديك "والذي حدث أن نائب الرئيس .الأمريكي أن هناك من يدير الأزمة على القمة
دخل مكتبه ليجد مسئول الأمن بالبيت الأبيض يطلب إليه أن ينزل إلى خندق "تشيني
.الطوارئ المبنى تحت مقر الرئاسة الأمريكية والمجهزة لمقاومة ضربة نووية
.لكن قائد حرس البيت الأبيض هدد بحمله حملاً إلى حيث أمانه "تشيني"وتردد
حملوه بحيث لم تعد قدماه تلامسان "نفسه أن ضباط الحرس "تشيني"وروى
ثم رضخ لها طلبوه منه فهو في "الأرض، وقد قبل مسايرتهم حتى وقف على قدميه
وقد لحقته .الحالتين داخل البيت الأبيض، فوق السطح أو تحت السطح ـ في مكانه

واتصل به .مستشار الرئيس للأمن القومي "كونداليزا رايس"على الخندق السيدة
لماذا لا يظهر ليطمئن " :هناك زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس الشيوخ يسأله
يقصد تقليل الظهور عمداً حتى لا يسبب إحراجاً "إنه "تشيني"، وكان رد "الناس
التي "الغلاظة"إنه لا يريد أن يكرر " :ثم يضيف نائب الرئيس "للرئيس الغائب
وزير الخارجية عندما وقع اعتداء على حياة رئيسه "الكسندر هيج"تصرف بها
ونقل إلى المستشفى بعد إصابته بثلاث طلقات نارية، ودخل غرفة "رونالد ريجان"
وعندما بدأ الكلام في قاعة المؤتمرات الصحفية بالبيت .العمليات وخضع للتخدير
يهرول مسرعاً، ينتفض انفعالاً "ألكسندر هيج"الأبيض عن فراغ في السلطة، إذا
وكانت تلك نهاية ."المسئول عن كل شيء هنا الآن"ويتصبب عرقاً ليصيح أنه
!بعد أن خرج رئيسه من غرفة العمليات وزال عنه تأثير التخدير "ألكسندر هيج"
"ريجان"تقول لزوارها أن مساعدي الرئيس "نانسي ريجان"وراحت السيدة "
"!حاولوا أن يرثوه وهو ما زال على قيد الحياة
وزير "كولين باول"وصل إلى "تشيني"ويظهر أن نفس الحرج الذي أصاب
وهكذا بدت القمة .وزير الدفاع "دونالد رامسفيلد"الخارجية كما وصل إلى
من ملامح وصوت سلطة سياسية ومعنوية "فراغاً"الأمريكية طوال عشر ساعات
.توحي بالثقة وتقود بعيداً عن الضياع أو الانفلات
وعلى أي حال فإنه في ذلك المناخ الذي شاع فيه الاضطراب وانعزل فيه الرئيس
وأقطاب إدارته ـ على الأقل بالمكان ـ توالت القرارات بعصبية زادت من تأثير
فقد صدر على سبيل المثال أمر بإغلاق .الصدمة أكثر مما ساعدت على استيعابها
المجال الجوي الأمريكي كله، وظل الإغلاق كاملاً خمسة أيام كان الدواء فيها أكثر
كما حدث لشركات الطيران الأمريكية التي تقدر خسائرها يوم "خطراً من الداء
."الصدمة الأولى بستة بلايين دولار
**
والأغرب من ذلك أن الرئيس الامريكي وأركان حكمه لم يكونوا وحدهم فيما تصرفوا
به وإنما كانت المصيبة أكبر لدى المسئولين عن وضع القرار الإستراتيجي للولايات
لأنهم .المتحدة الأمريكية وفيهم من كانوا في المسئولية قبل الرئيس، ومعه، وبعده
وفيها مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض، :أقطاب المؤسسات الدائمة المسئولة
ووزارتا الدفاع والخارجية، وهيئة أركان الحرب المشتركة، ووكالات المخابرات
العسكرية والعامة، إلى جانب إدارات التخطيط الإستراتيجي للدولة القائدة للنظام
.الدولي في هذه اللحظة من التاريخ
-وليس غيرهم -كانت مسئولية هؤلاء جميعاً أفدح من التقصير أو النسيان لأنهم

على أمن ومصلحة "التحدي القادم"الذين فكروا وقدورا وخططوا ورسموا شكل ووصلوا في تحديد ذلك الخطر إلى درجة اختيار اسم يطلقونه -الدولة الأمريكية
Asymmetrical War. "الحرب غير المتوازية"عليه وهو
والحقيقة أن هؤلاء المسئولين عن صنع القرار الإستراتيجي للولايات المتحدة على الأقل، كلفوا بدراسة التهديد والخطر اللذين 1995الأمريكية، ومنذ سنة تواجههما الولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل المنظور وكيف تستطيع أن ولعدة سنوات كان عمل هؤلاء المسئولين دءوباً حتى توصلوا في نهاية .تتأهب لهما - إلى وضع إستراتيجية "2001"وبداية إدارة بوش "2000"إدارة كلينتون رأوها كافية، وقد عرضوا ما توصلوا إليه على وزير الدفاع الأمريكي السابق "بيل كلينتون"فوافق عليه كإستراتيجية أمن أصدرها الرئيس "ويليام كوهين"
."التوجيه الرئاسي"فيما يسمى بـ
وأعيدت "بوش"إلى إدارة "كلينتون"انتقل من إدارة "التوجيه الرئاسي"وهذا
.عليه "جورج بوش"دراسته وتأكد أعتماده من جديد بتوقيع
ولم تكن تلك أسرار دولة ينفرد بها الخاصة وتحجب عن غيرهم، وإنما كان بمثل هذه الشئون، وقد سمعت عن هذا "العلم العام"الموضوع كله في إطار التوجيه الرئاسي كما سمع غيري، إلا أنني أطلعت على عديد من التقارير التي وهي "هيئة التقديرات في البنتاجون"مهدت وجهزت له وفيها ما هو صادر عن قائد كلية "روبرت إيفاني"مجموعة تخطيط إستراتيجي أشرف عليها الجنرال الحرب التابعة لوزارة الدفاع، وفيها ما هو صادر عن وكالة المخابرات المركزية هنري "يحمل توقيع الجنرال "تقدير موقف"الأمريكية - وفيها ما هو أهم لأنه .رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية "شيلتون

□

:وكانت المقدمات والتداعيات والنتائج - في كل هذه الوثائق - ترسم لوحة كاملة
إن الولايات المتحدة لا تواجه الآن تهديداً، لأنه ليست هناك في الأوضاع :أولا □ بالأسلحة "الحالية - ولا على الأفق - قوة تستطيع أن تشن عليها حرباً تقليدية
."أو حرباً غير تقليدية بأسلحة الدمار الشامل "المتقدمة
فالدول التي كان يخشى تهديدها - مثل الاتحاد السوفيتي السابق - لم تعد قادرة على شن مثل هذه الحرب ضد الولايات المتحدة وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي كان أكثر - يوشك عمرها الافتراضي على الانتهاء، وقد يفكر "ترسانة نووية"التخوف من يصل إلى قمة السلطة داخل الكرملين في استعمال هذه الترسانة ضمن "مجنون" محاولة ابتزاز يائسة وتكون كارثة مؤكدة - لكن ذلك الاحتمال زال، لأن الولايات

المتحدة دعيت لتؤدى دوراً مهماً في صيانة الترسانة النووية السوفيتية، وسواء في الاتحاد الروسي نفسه، أو ملحقاته مثل أوكرانيا وبيلاروسيا.
ثم أعاد "كلينتون"وكان أول التقارير - التي مهدت للتوجيه الرئاسي الذي وقعه بعد انتهاء الحرب الباردة بسقوط "التوقيع عليه تأكيداً - يعيد التذكير بأنه "بوش" المارقة"الاتحاد السوفيتي فإن المسرح العالمي شهد بعضاً من الدول الصغيرة" - جربت أن تملأ فراغات أو فجوات نشأت أو "في قاموس السياسة الأمريكية" ، وهنا "ظهرت مع نهاية الحرب الباردة لكن ساعة الذروة من هذه المرحلة فاتت بالنص "روبرت إيفاني"يقول تقدير الموقف الذي أشرف عليه الجنرال:
إننا نستطيع أن نفترض أن أعداءنا أو خصومنا في المستقبل تلقوا وفهموا للدرس " لذلك فليس من المتوقع أن يحاول طرف منهم مواجهتنا في حرب .من حرب الخليج تقليدية تعتمد على تشكيلات الدبابات والقوات الجوية والبحرية، ذلك أن النظر إلى هذه الميادين كلها يظهر تفوقاً ساحقاً في موازين القوة لصالح الولايات المتحدة.
ويترتب على ذلك أن من يريد مواجهتنا من الأعداء أو الخصوم عليه أن يكتشف وعليه أن يتأكد أن .وسائل جديدة تمكنه من تهديد مصالحنا أو قواتنا أو مواطنينا ضعف تكون هذه الوسائل تستطيع أن تحقق له ميزات ينفذ بواسطتها إلى مواقع عندنا".
هكذا فإننا :فيقول "روبرت إيفاني"تحت عهدة الجنرال "تقدير الموقف"ويستطرد لا نرى أن الأمن القومي يواجه تهديداً كبيراً - وإنما نرى أن الولايات المتحدة تواجه خطراً أو مخاطر ظاهرة الآن بالفعل - ولها مضاعفات يمكن توقعها".

□

والحاصل أن هذه الأخطار يتعرض لها تقدير موقف رسمي أمريكي آخر وهو هذه المرة صادر عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وقد ظهر أمره إلى العلن "مجموعة عمل"، وهو يعتبر وثيقة لها أهمية خاصة لأنه نتيجة جهد 2000سنة - أيضاً - بأن تبحث 1995تابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية كلفت منذ سنة في الظروف التي قد تفرض على الولايات المتحدة أن تتدخل في ظرف تخشى منه "تأكيد الاطمئنان إلى الأمن"خطر تسميه الوثيقة "على مصالحها".
وتقوم الوثيقة باستعراض يشبه عملية تشريح فتذكر أن عجز نظم صديقة للولايات المتحدة عن تحقيق درجة مقبولة من التحسن في المستويات الاقتصادية والاجتماعية لمواطنيها هو أكبر خطر يقلق الولايات المتحدة، لأنه يعرّض أنظمة هاوية السقوط"وبعدها "الفشل"موالية للوقوع في مصيدة".
ثم تتجه الوثيقة إلى عرض العوامل المؤدية إلى هذا النوع من المخاطر وتشرحها

ضعف الموارد ـ زيادة الفساد ـ سوء الإدارة ـ أزمة :بالترتيب في تسلسل مترابط
ولا تكتفي وثيقة وكالة المخابرات .السيولة ـ البطالة ـ زيادة الدين الخارجي
المركزية هنا بالرصد وإنما تدخل في التفصيل فتضيف أن زيادة الدين الخارجي
تستوجب تدخل عناصر أجنبية تبغي تأمين حقوقها وذلك على عكس الدين الداخلي،
لأنه مهما تراكم يمكن معالجته بزيادة المطبوع من أوراق النقد حتى إذا أدى ذلك
.إلى زيادة التضخم

"إفلاس دولة"وموضع الخطر الذي تتحسب له وكالة المخابرات المركزية أن
سوف يجر معه إلى الهاوية جوارها ومحيطها وبالتالي يهدد مناطق بأكملها، وذلك
يواجه إدارة السياسة الأمريكية بخيارات شديدة الصعوبة في الحفاظ على مواقعها
.ومصالحها

والمأزق الذي تواجهه السياسة الأمريكية ـ طبقاً للوثيقة ـ أنها لا تستطيع أن تساعد
على فرض استعدادنا لأن نقدم لهذه الدول زيادة " :والسبب أنه .هذا النوع من الدول
بليون دولار فإن نصيب الفرد من أثر هذه 20في المساعدات تصل سنوياً إلى
المساعدات إلى البلدان المعنية لن يزيد على عشرة دولارات في السنة، وذلك لا
."يحدث تأثيراً له قيمة

أن علينا أن نتعامل مع هذه "والنتيجة في وثيقة وكالة المخابرات المركزية
"مخاطر"مرنة، ونقبل "بوسائل"الأوضاع كما هي، وندير علاقاتنا معها
"!في حدود يمكن السيطرة على آثارها "تدخلات"محسوبة، ونقوم بـ

أن "تكشف ملاحق الوثيقة ـ وفيها تفاصيل المداولات التي أوصلت إلى نتائجها]
الدول الضعيفة المعرضة للسقوط لها فوائد اقتصادية بالنسبة للولايات المتحدة فهي
من % 35ما قيمته 1990مستورد رئيسي من السوق الأمريكية كان يشتري سنة
من هذه % 41إلى استيراد ما قيمته 1999صادرات أمريكا ثم وصل سنة
.["الصادرات

□

يقول تقدير الموقف الإستراتيجي للبنتاجون ـ وهذه عودة إليه من وثيقة :ثانياً □
إن الخطر الأعلى صوتاً في الإعلان عن "وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ـ
والإرهاب ظاهرة .نفسه وفي التخويف من سطوته هذه المرحلة هو الإرهاب
موجودة في كل عصور التاريخ، لكنه الآن ـ وفي المستقبل أكثر ـ أخذ وسوف يأخذ
:طابعاً مختلفاً لثلاثة أسباب

1- إن الإرهاب الآن لم يعد شخصاً وحيداً أو معه عصبة من الأشخاص التقى سرهم
في الخفاء على اغتيال رجل أو امرأة انتقاماً من الشر أو اتقاء له كما يقول تاريخ

الاغتيالات السياسية، وكما لم يعد الإرهاب اتحاد جماعات لها اتجاه إلى يمين أو إلى يسار "كعصابات الكوكلاكس كلان الأمريكية أو الألوية الحمراء الإيطالية"...
وإنما أصبح الإرهاب الآن، وبطبائع العصر الحديث، كتلاً متمددة عبر الأوطان والقارات تجمع عناصر من أصحاب القضايا العادلة التي نزلت عليها أثقال العصر فكادت تطحنها، ومن الناقمين على الفقر في كل مكان، ومن المحبطين في آمالهم لكافة الدواعي، ومن الساخطين على فجوة اجتماعية تتسع كل يوم، ومن التائهين في الماضي بغير عقل والشاردين في المستقبل بغير روح ـ لأن هؤلاء على اختلاف ما بينهم كونوا حلفاً تربطه شحنات رفض متضاربة تعرف ما لا تريد لكنها لا تعرف ما تريد! وهكذا فإنه منذ وقت مبكر في الستينات والسبعينات التقت وتعاونت عناصر من الإرهابيين اليابانيين "في الجيش الأحمر" والألمان "في بادر ماينهوف" والعرب "في أيلول الأسود" والمسلمين "في تنظيم "القاعدة" الذي يقوده أسامة "بن لادن" وأخلاط من كل الأجناس في حزمة واحدة "جماعات كارلوس".
ثم تعاون الكل ـ واعين أو غير واعين ـ راضين أو متحفظين ـ وامتد تعاونهم وانتشر على جبهات واسعة.
لأنهم كانوا جميعاً قوى "رفض" وكانت الظروف المستجدة في العالم تعطيهم "وحدة سبب" لأمر واقع فرضه الأقوياء.
كأنها "المظلوم" إزاء الفعل الإيجابي "الظالم" ـ وكذلك اتحد رد الفعل السلبي العلاقة بين سؤال وجواب!
2 ـ زاد على ذلك ثورة التكنولوجيا الحديثة قامت بفتوح دخلت إلى ذلك كافة الساحات بما فيها ساحة الإرهاب. وحدث بالفعل أن التكنولوجيا الحديثة في مجال الاتصال والمراقبة والتنصت والتسليح والإخفاء أعطت للإرهاب طول يد لم يتمكن منها في يوم من الأيام.

....

....

] وقد وصلت ضرورات "الحماية" المطلوبة إزاء اليد التي طالت للإرهاب إلى درجة أن إجراءات الأمن الروتينية لرؤساء الدول الآن لم تعد تقتصر على حماية ومواكب المسئولين وخطوط سيرهم والاعتقال أو الحجز الاحترازي المؤقت لأي مشكوك فيه أو مشبوه، وإنما وصلت الإجراءات بسبب تطور الوسائل إلى حد إغلاق المجال الجوي لمدينة تتواجد فيها شخصية مهمة حتى إذا كانت عاصمة كبيرة. والحاصل أن إغلاق المجال الجوي في منطقة تحيط بموقع مرور أو طريق زيارة يقوم بها مسئول، أصبح واحداً من إجراءات الأمن اليومية في عدد من بلدان العالم الثالث

بالذات].
....
....
وفي اللحظة التي وصل حجم الكمبيوتر إلى حجم علبة كبريت، وظهر معه واتحد به التليفون المحمول ـ فإن الإرهاب وضع نفسه بالفعل في الصف المتقدم من العصر!
ـ ثم نزلت على الجميع ظاهرة العولمة وتحولت أسواق العالم إلى شبكات 3 متداخلة ولا متناهية ـ وكذلك شبكات البريد الإليكتروني ـ وفي محيط "عنكبوتية" المعلومات المتدفق على شبكات الإنترنت، ومع التحام الفضائيات في مجالات الإعلام والفنون والترفيه ـ ثم كان الأخطر أنه بتوافق لحظة عالمية لها خصائصها ـ وكتل إنسانية لها طبائعها فإن عالم الإرهاب أصبحت له ـ هو الآخر ـ شبكته التي تصل بين الكتل المتمردة عبر الأوطان والقارات والتي تجمع المطحونين والناقمين والساخطين والتائهين ـ ومعهم ـ بل زيادة عليهم ـ تنظيمات من الخارجين على القانون أو الراغبين في التحايل عليه لأسباب مالية ـ ليست سياسية ولا اجتماعية ولا فكرية ـ ومن ذلك شبكات تهريب السلاح والمخدرات وشبكات سرقة الأموال من حسابات البنوك وبطاقات الائتمان وغسيل الأموال بالنصب على هذه البنوك وتحويل مثل تجارة البغاء ـ إلى عملة شرعية حرة يحميها القانون، ! "نشاط"فوائض العمل يحتاجه جميع الفرقاء وهو تزوير الوثائق "بالإضافة إلى نوع آخر من العمل من جوازات السفر إلى بطاقات تحقيق الشخصية إلى شهادات الميلاد!
على "توريد الإرهاب"ـ وفي ذلك المحيط وجواره نشأت شركات وهيئات تتولى 4 وهذه الشركات تبيع .نطاق دولي، وتعرض في السوق جيوشاً من الجنود المرتزقة بضائعها وخدماتها طبقاً لعقود لا دخل فيها لفكرة الانتماء أو الولاء وتقدم خدمات ثم إن ممثليها في توقيع هذه العقود .الغزو والقتل لمن يطلبها بالسعر المتفق عليه لا يوجهون لأحد سؤالاً ولا ينتظرون جواباً يتخطى مبلغ العقد ومواعيد التسديد له دوره ولديه "تخصصاً مهنياً"ومتى؟ وأين؟ وهذه الشركات تعتبر نشاطها وقد انكشف دور هذه الشركات في " .إمكانيات هذا الدور في البر والجو والبحر تقارير للأمم المتحدة وفي تحقيق لوزارة الخارجية البريطانية حول انقلاب وقد ظهر في التقارير والتحقيقات أن إحدى شركات .سيراليون ـ قبل أربع سنوات "شركة الخدمات الأمنية الخاصة"صناعة الإرهاب ـ مسجلة في بريطانيا تحت اسم ومؤسسها ضابط سابق في القوات الخاصة البريطانية ـ لديها قوات عسكرية يصل أسراب من 3"عددها إلى سبعة عشر ألف مقاتل، وكما تملك سلاح طيران ".''قرابة كتيبة دبابات''، وسلاح مدرعات ''الطائرات

....

....

وهكذا تضافرت الكيانات المنظمة في عوالم الإرهاب مع انتشار التكنولوجيا ـ مع عولمة الفعل بين الخارجين عن القانون من السياسة إلى الجريمة ـ على خلق عدو هجوماً أو دفاعاً :جديد في ممارسة الحرب.

**

وزير الدفاع "ويليام كوهين"وفي خلاصة موجزة لتقدير الموقف الذي وقعه على هيئة توجيه "بيل كلينتون"الأمريكي في الإدارة السابقة وأقره رئيسها "جورج بوش"وزير الدفاع الحالي وأقره "دونالد رامسفيلد"رئاسي، ثم راجعه على هيئة توجيه رئاسي ملزم، فإن المخاطر المحتملة على الولايات المتحدة وأمنها ومصالحها لها مصادر محددة ومعروفة:

وعت درس حرب الخليج وأصبح جهدها موجها إلى العثور على "دول مارقة" □ تستطيع أن تنفذ منها وتستغل وتضرب "أمريكية"نقاط ضعف.

وهنت قواها حتى أوشكت على الإفلاس مما يعرضها للسقوط "دول صديقة" □ ومع أن الولايات المتحدة لا تسمح بهذا السقوط فهي في الوقت نفسه لا ترى وسيلة للمساعدة على منعه!

وصل إلى مرحلة العولمة في نفس الوقت وصول مجتمعات الدول إلى "إرهاب" □ مرحلة العولمة!

الحرب غير "ظهر هذا النوع الجديد من الحرب ـ "وكذلك ـ يصل تقدير الموقف ـ المتوازية" **Asymmetrical War.**

2ـ نوع جديد من الحرب بدأ الآن:

لم تكن هيئة التقديرات في البنتاجون وحدها التي وصفت الأخطار الجديدة وصكّت ـ بل تابعتها هيئة أركان حرب القوات الأمريكية "الحرب غير المتوازية"لها تعبير الذي قدم تقريراً تحدث عن شكل الخطر القادم "هنري شيلتون"ورئيسها الجنرال " بدا وكأنه يشير صراحة ـ وقبلها بسنتين ـ إلى صواعق النار والدمار التي نزلت على 2001.سبتمبر 11نيويورك وواشنطن يوم الثلاثاء

فقد قال تقرير رئاسة أركان حرب القوات الأمريكية، وبتوقيع رئيسها الجنرال ما يلي في الصفحة الثانية "غير المتوازية"وهو يحاول تعريف الحرب "شيلتون" منه:

هي محاولة طرف يعادي الولايات المتحدة ـ أن يلتف من "غير المتوازية"الحرب "

حول قوتها ويستغل نقط ضعفها معتمداً في ذلك على وسائل تختلف بطريقة كاملة
وعدم التوازي يعني أن يستعمل العدو طاقة .عن نوع العمليات التي يمكن توقعها
الحرب النفسية وما يصاحبها من شحنات الصدمة والعجز لكي ينتزع في يده زمام
وبأسلوب يستخدم وسائل مستحدثة، وتكتيكات .المبادرة وحرية الحركة والإرادة
غير تقليدية وأسلحة وتكنولوجيات جرى التوصل إليها بالتفكير في غير المتوقع
إلى –من الإستراتيجية :وغير المعقول ـ ثم تطبيقه على كل مستويات الحرب
بعرض أفق عليه بدائل طار إليها خيال لا يخطر على –إلى العمليات –التخطيط
."البال منطقياً ولا يطرح نفسه عملياً في التقديرات التي نستطيع تصورها
وكان ما توقعه رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية المسلحة
:سبتمبر الأخير 11- هو بالضبط ما وقع يوم "هنري شيلتون"الجنرال
شرق "خطف أربع طائرات في ظرف نصف ساعة ـ من مطار واحد في بوسطن
."الولايات المتحدة
ومخزون الوقود على كل طائرة منها عند حده الأقصى لأن وجهتها الأصلية ولاية
"غرب الولايات المتحدة"كاليفورنيا
وتحويل مسار هذه الطائرات بعد إقلاعها بمسافة قصيرة إلى مقاصد أخرى بحيث
.تتجه اثنتان إلى نيويورك ـ وثالثة إلى واشنطن ـ ثم رابعة لم تبلغ هدفها المطلوب
واستعمال هذه الطائرات بخاطفيها وطواقمها وركابها من الرجال والنساء والأطفال،
المعدن :مع الهياكل المعدنية لهذه الطائرات، ومحركاتها، ووقودها، وعجن الكل معاً
واللهب، واللحم والعظم، ومشاعر الفزع واليأس ـ في عجينة واحدة بحيث تتحول
!كل واحدة من هذه الطائرات إلى قذيفة هلاك من طراز مروع
برجي التجارة "اثنتان من هذه الطائرات تقتحم أهم رموز الاقتصاد الأمريكي
مبنى "ثم تنقض ثالثة على أهم رموز القوة الأمريكية "الشهيرين في نيويورك
ـ وأما الرابعة فقد كان لها هدف آخر في "في واشنطن "البنتاجون"وزارة الدفاع
.واشنطن لم تستطع بلوغه
وتم ذلك كله في ومضات وصور لا يصدقها عقل أو قلب أو خيال وفي مشاهد لم
!ترها من قبل عين ولا حتى على شاشة عرض سينمائي أو تليفزيوني
أعلن للرأي العام بعد تلك المشاهد "شيلتون"والمفارقة أن أول تصريح للجنرال
لا تقعوا في الخطأ ـ قواتكم المسلحة "المروعة فوق نيويورك وواشنطن هو قوله
وكأن الناس لم يروا بعيونهم أن القوات المسلحة الأمريكية أخذت على "جاهزة
غرة ولم تكن مستعدة برغم تصوراتها وتقديراتها السابقة عن نوع جديد من
:اطمئنوا"وزير الدفاع بتصريح قال فيه "دونالد رامسفيلد"ثم لحقه !الحرب

كأن البنتاجون دكان بقالة أغلق "البنتاجون سوف يستأنف العمل كالمعتاد غداً
"!أبوابه يوماً بسبب ظرف مفاجئ أصاب عائلة صاحبه
فالذين كتبوا "عندما مسح الدموع كان اكثر دقة "جورج بوش"على أن الرئيس
له خطابه كانت لديهم فسحة وقت كافية، وكانوا على علم بالتوجيه الرئاسي الذي
حمل توقيع الرئيس بناء على توصيات هيئة أركان الحرب، وغيرها من الأجهزة،
هذا " "بوش"وهكذا كان أول تعليق لـ ."الظاهرة والخفية لصنع القرار الأمريكي
هذه حرب القرن الواحد " :، ثم زاد"هذه حرب جديدة" :ثم أضاف "إعلان حرب
!"والعشرين
!"غير المتوازية"كانت الإشارة واضحة إلى فكرة الحرب
**
إلى وقفة ترسم الفاصل بينها وبين الحرب "غير المتوازية"وتحتاج فكرة الحرب
ذلك أنه منذ قامت الدولة على .، لأن كلا منهما تنتمي إلى فصيلة"غير المتوازنة"
مجرى التطور الإنساني، وقامت هذه الدولة بإنشاء جيوش نظامية تحقق من
أو عدم "مطالبها ما يستدعي استعمال السلاح ـ دارت الحروب على أساس التوازن
.في القوة وتلك الطبيعة الأمور كما عرضت نفسها "التوازن
.بمعنى أنها جيوش منظمة تستعمل نفس الأسلحة
.ـ جواد ورمح أمام جواد ورمح ـ في عصر
.ـ مدفع وقذيفة أمام مدفع وقذيفة ـ في عصر ثان
.ـ دبابة وطائرة أمام دبابة وطائرة ـ في عصر ثالث
وكان توازن القوى يؤدي عمله في درجة استعداد هذا الطرف أو ذاك، وفي كفاءة
عدم "لصالحه، ويحقق "الميزان"إدارته لموارده أو عجزه، حتى يأخذ حركة
.وينتزع لنفسه النصر "التوازن
ومع أن زمان هذا النوع من الحروب عرف درجات متفاوتة من العمل المسلح مثل
عدم "القوى ـ أو "توازن"حرب العصابات في المدن والجبال والأدغال، فإن منطق
.ظل ساريا "التوازن
.مسألة أخرى "غير المتوازية"لكن الحرب
.ـ بداية ليس هناك ميدان يتقابل فيه المتحاربون أمام بعضهم مواجهة أو بالالتفاف
.حتى وإن اختلفت درجات قوته "متماثلاً"ليس "السلاح"ـ يلي ذلك أن
ـ ثم إنه ليست هناك صلة بين فعل ورد فعل تجري ممارسته على ساحة معينة يدور
.فوقها اتصال
ـ ويترتب على ذلك أن خطط السلاح وفعل السلاح هنا خارج حساب أي منطق أو

.تصور يمكن توقعه
ومع أن الحشد وسرعة الحركة والمفاجأة أساليب مطلوبة في كل أنواع الحروب ـ
مطلوبة أكثر لأنها لازمة لمدرسة التفكير "غير المتوازية"إلا أنها في حالة الحرب
فيما لا يمكن التفكير فيه مما لا يحكمه قيد أو حد، لأنه على حد تعبير ورد في تقرير
تفكير يوسوس به الهذيان والجنون ولا يؤدى إليه العلم أو " "شيلتون"الجنرال
."توازن القوة مهما كانت دقة حساباته
ـ "غير المتوازنة"أو "المتوازنة"وكذلك اتفق الجميع على أنه في مقابل الحرب
."غير المتوازنة"ظهر نوع آخر وهو الحرب
**
ويثير الدهشة ـ بأثر رجعي ـ أن يطلع أي مهتم على التقرير الإستراتيجي الذي
دوجلاس "والذي حوى مدخلاً كتبه الدكتور "روبرت إيفاني"أشرف عليه الجنرال
يتولى مسئولية الإشراف "البنتاجون"وهو واحد من العقول المفكرة في "لفليس
وفي هذا المدخل للتقرير كتب الدكتور .على الأبحاث في التخطيط الاستراتيجي
:"لفليس"
"المارينْز"بين قيادات قوات 2000بعد المؤتمرات التي عقدت في مايو سنة "
العاملة مع التشكيلات المقاتلة للقوات البرية، رؤى الاستعداد للحرب المقبلة على
وكذلك فقد كلفنا بالعمل على تحديد "غير المتوازية"أساس نظرية الحرب
وتوصيف النظرية العسكرية لهذه الحرب في تطبيقاتها وإمكاناتها غير المتوقعة،
.والعمل على بلورة إستراتيجية واضحة لمواجهتها
إن القوة العسكرية الأمريكية " :في مدخل التقرير الإستراتيجي "لفليس"ثم يضيف
لن تواجه في الغالب ـ وفي المستقبل المنظور ـ صراعات عسكرية يحكمها التوازن
لصالحنا أو ضدنا، وإنما هي ـ وذلك ما نستطيع تأكيده ـ سوف تواجه مخاطر
يوجهها ويقوم بها خصوم لا يملكون فرصة للتوازن ضد القوة الأمريكية ويكون
.عماد تحديهم استعمال أشكال من الحرب لا تتوقعها الولايات المتحدة ولم تستعد لها
عدم "وهنا تظهر الضرورية الحيوية للاستعداد لحرب من نوع جديد يقوم على
الذي اتبعناه حتى الآن وحشدنا أقصى "عدم التوازن"ـ بدلاً من "التوازي
."الإمكانات والكفاءات لمواجهته
يبدأ صلب التقرير بطرح "غير المتوازية"بعد هذا المدخل إلى نظرية الحرب
.لنوع الحرب الجديدة "هجومية أو دفاعية"مجموعة ملاحظات تضع أسساً
فيها أنه لا بد من إدراك أن هذا النوع من الحرب ليس مقيداً بمذاهب في الحرب □
مصنفة، وإنما هو يلتقط الوسائل التي يفكر فيها بمصادفات الظروف، لكنه عندما

يقابلها بالمصادفة يدرسها بعناية وذلك يجعل التنبؤ المسبق بأعماله مهمة شاقة وعسيرة!

وهذا النوع من الحرب بطبيعته جاهز لأعلى درجة من المخاطرة لأن الخسارة □ بالنسبة إليه في الحالتين واحدة، وبالتالي فإن أعلى المخاطر تتساوى عنده مع أقلها!

وهذا النوع من الحرب بضروراته يدور في سرية شديدة تمرس عليها عدو قادر □ على العمل تحت نظام دولة لها سلطتها ولها مؤسساتها، وبالتالي فإن هذا العدو استوعب وهضم أساليب العمل في الظلام أمام خصم هو بأوضاع الدولة وأسباب الشرعية يخوض المواجهة وسط حالة انكشاف كامل.

وهذا النوع من الحرب يمارس دوره بخلطة مزيج قوي المفعول بين ما هو □ "غير المتوازية"وذلك أكثر ما يخدمه في الأساليب "نفسي"وما هو "مادي" التي يستعملها.

والعدو في هذا النوع من الحرب يمتاز بروح معنوية عالية لدى أفراده، □ وتكنولوجيا متقدمة في عملياته، واستعداده لأقصى المخاطر يجعل ما لا يجوز التفكير فيه وارداً، كما يجعله ممكناً حتى ولو كان في المقاييس الطبيعية من المستحيلات أو من ضروب الجنون.

"صبراً"و "تنظيماً حديدياً"و "إرادة قوية"وهذا النوع من الحرب يقتضي □ - أن يواجه فعلاً حيث "لدواع كثيرة"يرقب على مهل لأنه ليس رد فعل يتحتم عليه "زماناً او مكاناً"يتوقع الطرف الآخر أن يجيء.

"غير المتوازية"وأخيراً يصل التقرير إلى الخلاصة فيقدم نظرية للدفاع في الحرب - بعد أن عرض لنظرية ممارسة الهجوم فيها.

!- استراتيجية مواجهة حرب جديدة3

هنري "- واعتمد عليه الجنرال "روبرت إيفاني"التقرير الذي أشرف عليه الجنرال رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة وهو يقدم توصياته إلى الرئيسين "شيلتون - وقد أقرها كلاهما وأصدر كل منهما في عهده توجيها "بوش"و "كلينتون" رئاسياً يحدد مجموعة من الإجراءات المضادة تقوم بها القواة الأمريكية في وهذه الإجراءات واردة ." "غير المتوازية"الحرب "مواجهة خطر الحرب الجديدة روبرت "بالتفصيل في الملخص التنفيذي للتقرير الذي أشرف عليه الجنرال إيفاني".

تعظيم قوة الإدراك النظري والتأقلم مع احتمالاته "يطلب :الإجراء الأول □

، وتلك صياغة تبدو معقدة لكن التفاصيل والشروح المعروضة في شأنها "تنظيمياً
.تيسر فهمها
والتفاصيل والشروح ـ بعد العنوان المعقد ـ تتحدث عن مرونة مطلوبة في التنظيم
مهيأ لأن يفكر "غير المتوازية"أنه إذا كان العدو في الحرب "وفي العمل تصل إلى
فيما لا يجوز التفكير فيه ـ فكذلك يجب أن يفعل المكلفون بمواجهته ـ وإذا كان ذلك
ـ فإن الدفاع ضده "كتاب الجنون"العدو يستعير في عملياته الهجومية صفحات من
والدفاع في هذه ."كتاب الجنون" :عليه أن يستعير فصولاً كاملة من نفس الكتاب
الحالة يتصرف داخل حدود الشرعية لأن الخارج عن القانون الذي يستعير صفحة
من الجنون يرتكب جريمة ـ وأما المدافع باسم المجتمع والدولة فإنه إذا استعاره من
!كتاب الجنون فصلاً ـ ظل في إطار الشرعية لم يخرج عنه
المراسم "إلى ضرورة التغاضي عن "بنصوص محددة"وتصل مطالب المرونة
المعمول بها في القرار السياسي الإستراتيجي حتى الآن، بما في ذلك "التقليدية
العودة إلى المؤسسات قبل إصدار القرار، والاتصال بالقوى الخارجية الصديقة في
لم تعد تستحق "مراسم"التمهيد له، والتركيز على تكتيل رأي عام يسنده لأن تلك
أن يضيع فيها وقت ثمين، والأولى والأفضل هو القيام بفعل قوى تفهمه المؤسسات
، وتقبله القوى الخارجية "وتجد فيه مخرجها الوحيد لتجاوز أزمة"حين تنفيذه
وتصطف كل واحدة منها تؤدي دورها "حين تجده أمراً واقعاً لا يمكن استرداده
، ويتحمس له الرأي العام الأمريكي حين "المرسوم لها أو تجد نفسها خارج الإطار
فيأخذه عن النظر فيما جرى وكيف جرى "يراه وقد انطلق جريئاً قوياً ومثيراً للخيال
."!ومن المسئول؟
ثم يستطرد حديث الإجراءات في شرحه لمزايا الجرأة والقوة والخيال إلى طرح فكرة
إنشاء مجموعات عمل من قوات خاصة لها وجود مقيم داخل الولايات المتحدة
خلاقة "خطط"وخارجها تكون لها إمكانيات الحركة السريعة لضرب أي خطر وفق
.باهر "تكتيك"و

....

....

تبدو مخيفة، لأن "غير المتوازية"وتلك البداية لإجراءات الدفاع في الحرب]
الدولة بالطبيعة تنظيم عاقل، فإذا استعار فصلاً من كتاب الجنون فمعنى ذلك أنه
.استغنى عن فكرة الشرعية لأن كتاب القانون أساسها وليس كتاب الجنون
لكتائب عمل مسلح مقيم تعمل ـ في "الداخل الوطني"ثم إن تلك الإجراءات تفتح
ـ كما إن "تكتيك باهر"و "خطط خلاقة"الداخل الخارج ـ وفق ما يوصف بأنه

وذلك من "تقليدية" عملها يسنده تحريض إلى تجاهل وإهمال القواعد أو الضوابط وإذا كانت .شأنه أن يهوي بمستوى الممارسة السياسية الأمريكية على حقول شوك أدت إلى شيوع "غير المتوازية" بعض الممارسات الأمريكية قبل عهد الحرب في إعلام وفنون لغات كثيرة في الدنيا، فإن وصف "الأمريكي القبيح" وصف إساءة أكبر إذا اقترن بممارسات الدولة التي آلت إليها قيادة "الأمريكي المجنون" .[!النظام الدولي

....

....

إجراء ليس في عنوانه غموض لفظي كسابقه وإنما الغموض :الإجراء الثاني □
."المخابرات الموجهة" :ونصه .فعلي
أن الخطأ الذي وقعت فيه أجهزة المخابرات الأمريكية في العصر "ومضمونه الحديث هو اعتمادها الزائد على وسائل التكنولوجيا المتطورة، كما فعلت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي تحولت إلى جهاز آخر من أجهزة الدولة وهي جهاز مخابرات أكبر من "البيروقراطية، وكما فعلت فيه وكالة الأمن القومي المخابرات المركزية لكن اختصاصه هو فك شفرات دول العالم كله ومتابعة وسائل الاتصال في قارات الدنيا ـ من البريد إلى الفاكس، ومن البريد الإليكتروني إلى ."التليفونات الثابتة والمحمولة
أجهزة المخابرات "والتفاصيل الواردة في شرح مقاصد هذا الإجراء تذهب إلى أن الأمريكية الكبيرة تستطيع أن تعتمد على التكنولوجيا المتطورة في متابعة ومراقبة حكومات أو هيئات دولية أو حتى عصابات لها أنشطة يمكن رصدها مثل تهريب "غير المتوازية" المخدرات وتجارة البغاء ـ لكن نوع الحرب الجديد وهو الحرب يستعمل وسائل أخرى أكثر تعقيداً، ولذلك فإن الضرورات تقتضي اهتماماً أكثر بـ ـ أي الجاسوس الإنسان الذي يرسل ويزرع في الموضع "الجاسوس التقليدي" ."المطلوب لكي يعرف ويبلغ في الوقت الملائم
أي أنه لا بد من تعزيز التجسس الإلكتروني بنشر الجواسيس من البشر على أوسع نطاق بحيث تكون معلوماتهم مباشرة من عين وأذن وإحساس، ولا تعتمد على .نبضات إلكترونية منتظمة لكنها محايدة لا ترى ولا تسمع ولا تحس

....

....

وهذه العودة إلى نشر الجواسيس على أوسع نطاق هي الإجراء الوحيد الذي يبدو] لكن خطره أن وسائل التكنولوجيا تقدر على كشف .مفهوماً أكثر من غيره

الجاسوس الإنسان، حتى إذا كان هذا الجاسوس الإنسان أكفأ من الوسائل
.التكنولوجية لأنه يرى ويسمع ويحس
الأمريكية في "الوفرة"يضاف إلى ذلك أن نشر الجواسيس في العالم على طريقة
!كل شيء يؤدي إلى مناخ عالمي متوجس بالشك ومتوتر
ويستحق الملاحظة أن أول ما تطلبه الولايات المتحدة الأمريكية الآن من أصدقائها
جهد :في كل أنحاء العالم ـ وبعد أن جرى ما جرى في نيويورك وواشنطن، هو
[!مخابرات ـ معلومات مخابرات ـ شبكات مخابرات

....

....
والعنوان .في النظام الأمريكي "تغطية مواقع الانكشاف"عنوانه :الإجراء الثالث □
فهو يطلب إحكام الرقابة، بكل الوسائل، وفي كافة المواقع .واضح فيما يقصد إليه
في الدولة والمجتمع الأمريكي حتى لو أدى الأمر "الثغرات العارية"بحيث يتأكد سد
!إلى فرض حدود وقيود لم تعرفها التجربة الأمريكية منذ بدايتها

....

....
ومن سوء الحظ أن هذا الإجراء يقضي على الميزات الرئيسية للحياة الأمريكية]
ويحول أكثر المجتمعات تحرراً إلى مجتمع بوليسي تعم فيه نبوءات الأديب
التي تحدث فيها عن "1984"وبينها رواية "جورج أورويل"البريطاني الشهير
الذي يعرف كل شيء لأنه يراقب كل الناس، وكانت "جو"شخصية الأخ الأكبر
والآن .مشاهد هذه الرواية لعنة طاردت النظم الشيوعية حتى شيعتها إلى نهايتها
فإن ذلك الظل القاتم يزحف على مجتمعات كان مدار فخرها باستمرار أن أبوابها
[!ونوافذها مفتوحة طول الوقت

....

....
فعنوانه هو .يعود مرة أخرى بالنصوص إلى غموض التعبيرات :الإجراء الرابع □
وحديثه عن العوامل النفسية، وهو يجمل القول فيها بأنه "الدقة الشاملة الأبعاد"
عنصر إثارة "غير المتوازية"لا بد أن يدخل في التخطيط لمواجهة الحرب "
ـ ولما كانت مصادر التهديد متنوعة "الخوف والقلق دائماً لدى أي مصدر للتهديد
ـ فإن سياسة التخويف وإثارة القلق لا بد أن تستغل كل "غير المتوازية"في الحرب
الوسائل ابتداءً من التعليم إلى التربية إلى الثقافة إلى بث المعلومات حتى يصل أي
.عدوٍ محتمل إلى فقدان إرادته قبل أن يبدأ نشاطه

……………….

……………….

كفيل بأن "وبعض التصرفات توحي بأن التنفيذ بدأ"وذلك إجراء إذا تم تنفيذه]
بدلاً "كابوس"يحول القرن الحالي - وهو على الأرجح قرن أمريكي في أغلبه - إلى
كما كان كثيرون يأملون ويسعون منذ برزت القوة الأمريكية "حلماً"من أن يكون
مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ذلك لأن الرئيس الأمريكي لن يكتفي بأن يطلق
من مكتبه في البيت الأبيض يسمعها العالم ويعرف "صرخة زئير"صباح كل يوم
أن ملك الغابة لا يزال أقوى وحوشها - وإنما هو مقبل بالقطع على وسائل في
وبعض ذلك وقع فعلاً، فالأطراف يلتمسون من "الرعب"تقارب "التخويف"
واشنطن شهادات براءة، وكلهم يتسابق لعرض وتقديم المساعدة والعمل ينتظر
[!دوره أمام مراكز التبرع بالدم

……………….

……………….

"أمن داخلي مندمج"وهو خاتمة المطاف، يطالب بـ :الإجراء الخامس □
والعنوان مثقل بالغموض - مرة أخرى - .Homeland Security Integrated
لا تجري خارج الولايات المتحدة كما "غير المتوازية"لأنه يشير إلى أن الحرب
مدنها ومعالمها "كان الحال في زمن مضى، وإنما الأرض الأمريكية نفسها
، هي الآن ميدان المعركة، وعليه فإن الدفاع عن أمريكا يجب أن يتم "ومرافقها
وفق إستراتيجية صلبة ومتماسكة، والسبيل إلى ذلك أن تقوم على تنفيذ إستراتيجية
الدفاع الجديدة في الداخل مؤسسة أمن شامل تكون مسئولة عن حماية البنية
الأساسية الاقتصادية للمجتمع الأمريكي وأن تكون لهذه المؤسسة سلطة القيام
وبالفعل فإن الرئيس بوش أعلن في خطابه أمام مجلسي .بعملها دون عوائق
سبتمبر عن تعيين وزير للأمن الداخلي في الولايات المتحدة 19الكونجرس يوم
!الأمريكية

……………….

……………….

وعندما تقوم مثل هذه السلطة المهيمنة على الأمن وتكون تحت تصرفها وكالات]
مخابرات من أضخم ما عرف التاريخ فليس هناك شك في أن الولايات المتحدة
إلى ديكتاتورية عسكرية تتنازل بها من "كما في الخارج"سوف تتحول في الداخل
مقام أكثر الدول تقدماً في العصر الحديث إلى واحدة من دول العالم الثالث تحكمها
وكان القتل في .قوانين الطوارئ وأجهزتها وأدواتها، بما في ذلك الأمر بالقتل

ممارسة السياسة الخارجية الأمريكية إجراء مسموحاً به، وقد طرأ عليه ـ أواخر لكنه ـ قيد يفرض ضرورة الحصول فيه على أمر رئاسي "كيندي"عصر الرئيس سقط اشتراط الإذن الرئاسي "غير المتوازية"ضمن تشديد إجراءات الحرب للاغتيالات حتى على مستوى قادة الدول، وذلك معناه ضياع فكرة الدولة قبل فكرة القانون.]

………………..

………………..

"غير المتوازية"كانت هذه الإستراتيجيات والسياسات والخطط لإدارة الحرب موجودة ومكتوبة ومعتمدة، تحت التنفيذ العملي.

وبرغم ذلك فإنه عندما وقعت الواقعة، وانقضت صواعق النار والدمار فوق وكأنه لم يفكر ولم "مأخوذ بالصدمة ومذهول"نيويورك وواشنطن، بدأ أن الكل يناقش، ولم يكتب تقارير، ولم يعتمد إستراتيجيات، ولم يوقع على توجيهات رئاسية "بوش"و "كلينتون" :بإمضاء رئيسين أمريكيين.

:بل وراحت الإدارة في واشنطن تتصرف بشخصية وطريقة العالم الثالث

□ انكشفت متلبسة بالإهمال الجسيم أو النسيان لأحوال فكرت فيها وتوقعتها واستعدت لها إلى درجة أنها وجدت اسما أطلقته عليها.

□ ولم تكن على استعداد للاعتراف بتحمل المسئولية والتحقيق مع القائمين بمطالب أولها البنتاجون " "غير المتوازية"التوجيه الرئاسي وإجراءاته في شأن الحرب بليون دولار كل سنة من الميزانية الفيدرالية ـ وقبله أجهزة 240الذي يحصل على "بليونا ـ وغيرها وغيرها 30المخابرات التي تحصل على.

□ وراح الرئيس الأمريكي يتهم كل الأطراف إلا نفسه ـ وكل الجهات إلا إدارته.

على أمريكا، لكن الحرب "إعلان حرب"ومن اللحظة الأولى وصف ما حدث بأنه وفي الحقيقة فإن الرئيس الأمريكي كان .طرحت نفسها بشهوة الانتقام والأخذ بالثأر يثأر لنفسه ولإدارته من المفاجأة التي نزلت على الأثنين!

□ هارباً إلى الدين يقيم صلواته وطقوسه ويستدعي جلاله "بوش"ثم كان التجاء لكي يصرف الناس عن الحقائق الماثلة للعيان بدفعهم إلى الاستغراق في غيب الإيمان.

□ وكانت الخطوة التالية استحضار الوطنية إلى درجة التعصب لعلها تمسح دموع الآلام بقماش الأعلام وتغطى بصوت الأناشيد الحماسية على شهقات النحيب المجروح بالفاجعة.

والحفاظ على نقائه وقع الطلب إلى وسائل الإعلام "المشهد الثقافي"ولتكملة]

الأمريكية أن تمتنع ـ رجاءً ـ عن نشر ـ أو التوسع في نشر ـ خبر أو أخبار عن نهب مخزن للمجوهرات والمصوغات تحيط به أربعة محلات لبيعها في مداخل أبراج التجارة العالمية، لأن مرتكب هذا النهب في هذا الموقع لا يمكن إلا أن يكون من ضباط البوليس ، أو إطفاء الحرائق، أو الحرس الوطني وهذا يسيء إلى الملائكية نيويورك "المطلوبة لصورة أمريكا مع حالة المأساة وكان أن جريدة واحدة وهي [!أصرت على حقها في النشر "تيمس

□ وجاء الدور لدعوة الأصدقاء في الدنيا إلى مظاهرة في حب أمريكا تقنع شعبها ومع أن الدعوة إلى إظهار الحب غريبة .بأنه ليس وحده أمام جيوش الشر وآثامها هل يموتون حباً أو "في بابها لأن لهجتها بدت إنذار للآخرين بأن يقرروا حالا ، فإن كثيرين في العالم راحوا ـ وبصدق ـ "معناً أو مع الإرهاب"ـ "يموتون ضرباً يصلون في الكنائس والمساجد، ويدلون بالتصريحات للصحف، ويصدرون الفتاوى لأن ما جرى بالفعل يصعب قبوله مهما كانت "في كل الأديان باستنكار ما جرى ."ذرائعه

□ وعندما اكتملت درجة ساخنة من التعبئة ولحق بها التأهب للعمل العسكري، بدا بوضوح أن الرئيس الأمريكي يريد أن يعوض بالعنف ما انكشف من إدارته .بالضعف

فهو يستعمل القوة العسكرية التقليدية، وفيها الجيوش وأساطيل البحر والجو ـ مع أن القوة العسكرية "حتى الآن"والصواريخ، على أوسع نطاق أو يهدد بها التقليدية لم تكن ضمن الإجراءات المطروحة لمواجهة هذا النوع من الحروب وليس إلى "غير المتوازنة"فحشد الجيوش ينتمي إلى عصر الحرب .الجديدة ."غير المتوازية"عصر الحرب

□ وكذلك بان وكأن الرئيس الأمريكي يريد تصفية حساباته المعلقة في منطقة ـ من قبل "بوش"الشرق الأوسط ضمن عملية جراحية ممتدة، ومع ملاحظة أن صواعق النار على نيويورك وواشنطن كان يهدد الشرق الأوسط بخريف خطر، فهو !الآن ـ ولأسبابه الطارئة ـ يهدد بشتاء ممتد من الحرائق لا تنقطع فيه ألسنة اللهب

□ وأكبر الظن أن ما يبدو من خطط الرئيس الأمريكي لا يجعل الخريف خطراً ولا يجعل الشتاء حريقاً في الشرق الأوسط وحده، وإنما يوحي شكل الكلام والحركة ونوايا الفعل بأنها نار واصلة بألسنتها وشررها إلى بعيد، لأن العالم يساق إلى لها أسلحتها التي تحتشد "غير متوازنة"حرب :مواجهة حالة حرب مزدوجة لها إجراءاتها ومعظمها بالغ "غير متوازية"وتتحرك، وفي الوقت نفسه حرب وازدواجية نوعين من الحرب في الوقت نفسه خبط في الظلام .التعقيد وخفى

.وخطر
!ـ صناعة وحش والخلاص منه بالقتل4
يجيء أو أن الانتقال إلى مجموعة ملاحظات ينصب معظمها على منطق هذه الحرب مع أن أصحابها ينزعون " "غير المتوازية"من نوع جديد التي أسموها الحرب :"عنها المنطق ويلحقونها بالجنون
إنه يبدو من قراءة عدد كبير من الوثائق والتقارير الأمريكية :الملاحظة الأولى * أن انتفاضة الطفل الفلسطيني كانت أول ما لفت الأنظار إلى تغيير في استعمال القوة .يمزج بين متناقضات يصعب اتفاقها داخل فعل واحد
فالطفل في كل الأوطان رمز للبراءة، وخروجه إلى مقاومة الدبابة يجسد معنى الجرأة حين يدعو إليها اليأس، واستعمال الطفل للحجر يلتقطه من العراء حرب بغير تكلفة مادية، وحرب لا تحتاج إلى عبء إداري، وهي مستغنية عن التنظيم بتلقائية مثالية تشيع روحاً مشتركة في المقاومة، إلى جانب أنها تستدعي إيماءة دينية من .حيث أن الرجم بالحجارة يقترن بمقاومة الشيطان في الإسلام
ظاهرة تدعو "غير المتوازية"أمام أصحاب نظرية الحرب "الانتفاضة"وقد بدت .لإطالة التفكير باعتبارها تجديداً للوسائل في قوة المقاومة
وربما أنه من الخبرة في مقاومة الانتفاضة، فإن أجهزة المخابرات الإسرائيلية هذه الأيام شديدة النشاط في كتابة تقارير تزعم لنفسها خبرة طويلة في ممارسة الحرب رئيس وزراء إسرائيل لا "آرييل شارون"مع أن خبرة "، "غير المتوازية" "!ترشحه دليلاً تلتمس خبرته، في مقاومة الإرهاب ـ بل العكس صحيح
إن وثائق الاستراتيجية الأمريكية الجديدة ـ وفيها التوجيهات :الملاحظة الثانية * ـ تظهر أن الحادث الذي تعرض له الطراد "بوش"و "كلينتون"الرئاسية لـ جرى اعتباره الضربة الأولى المؤكدة في "2000أكتوبر "في ميناء عدن "كول" ."غير المتوازية"الحرب
فهناك في اليمن، بعيداً عن أي فعل ورد فعل، وبدون ميدان مواجهة قائمة أو ملآ أشداقهما بنبات القات "محتملة، أقدم رجلان يصفهما تقرير أمريكي بأنهما المخدر وركبا قاربا مطاطيا مستعملا لا يزيد ثمنه على مائتي دولار، ثم سارا به وفيهم البوليس اليمنى "وسط ميناء عدن على مرأى ومسمع من مئات الناس وحولا أرواع المفاخر "كول"ثم اصطدما بـ "والحراسة الأمريكية على ظهر الطراد البحرية في ترسانة القوة البحرية الأمريكية إلى بطة مكسورة الجناح تعرج فوق "!الموج عاجزة ومهانة
ويظهر في الوثائق أن الإستراتيجية الأمريكية الجديدة لم تعتبر بحوادث غير تقليدية

"غير المتوازية"ولم تقم بتصنيفها تحت بند الحرب "كول"سبقت حادث الطراد
:مع أنها تبدو كذلك للوهلة الأولى
حول السفارة الأمريكية في أجواء "المارينز"فهي لم تعتبر أن ضرب قوات □
"غير المتوازية"من أعمال الحرب "1983أكتوبر سنة "الحرب الأهلية في لبنان
."غير المتوازنة"وإنما اعتبرتها تنويعات من نماذج الحرب
وبرغم الخسارة الضخمة التي أصابت قوات المارينز في تلك العملية فقد كان
ـ ضد فعل نزول القوات "المقاومة الثورية"تصنيفها على أساس أنها نوع من
.الأمريكية في لبنان أي أنها رد فعل طبيعي في داخل الزمان والمكان
ونفس الشيء جرى في تقدير الولايات المتحدة لحادث انفجار مستعمرة سكنية □
، فهو "1996يونية سنة "شرق السعودية "الخبر"للطيارين الأمريكيين في قاعدة
.مرة أخرى فعل ورد فعل داخل الزمان والمكان
"غير المتوازية"لكنه من الملاحظ أن الولايات المتحدة نسبت إلى الحرب □
تلك المظاهرات التي صاحبت مؤتمرات التجارة العالمية والمجموعات "سياسياً"
في سويسرا "دافوس"في أمريكا ـ و "1999نوفمبر " "سياتل"الاقتصادية في
ـ وفي نفس الإطار "2001يولية "في إيطاليا هذه السنة "جنوا"و "2000يناير "
التي "في الشهر الماضي "دربان"صنفت قرارات المنظمات غير الحكومية في
كانت التقديرات أن تلك كلها من ملابسات "اعتبرت الصهيونية ممارسة للعنصرية
وهي ممارسات سياسية عنيفة وإن "غير المتوازية"حرب الزمن الجديد ـ الحرب
.تكن غير مقاتلة
سبتمبر أصبحت بمثابة الإعلان 11أن صواعق نيويورك وواشنطن يوم "ثم كان □
!"ولعصرها "غير المتوازية"الرسمي للحرب

□

إن الاتهام من اللحظة الأولى ـ تحت الصدمة والذهول ـ وقبل :الملاحظة الثالثة *
جنوب "قندهار"الذي يتخذ من "أسامة بن لادن"التحقيق والتدقيق ـ توجه إلى
."القاعدة"شرق أفغانستان بؤرة يدير منها تنظيمه السري الذي يعرف باسم
قصة تعرف عنها الولايات المتحدة وأصدقاؤها في المنطقة أكثر "القاعدة"وتنظيم
مما يعرف أي طرف آخر، فهي فكرة لها علاقة بسياسة أمريكا في زمن الحرب
الباردة، والحاصل أن المخابرات المركزية الأمريكية كانت صاحبة الفكرة فيها
وغايتها التحريض على إثارة القلاقل للاتحاد السوفيتي في المنطقة الحساسة من
جنوبه وهي منطقة انتشر الإسلام في عدد من أقاليمها، وبالذات جمهوريات
"البطن الطري"وهذه الجمهوريات في .طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان

للاتحاد السوفيتي ملاصقة لأفغانستان ونتيجة ذلك أن أفغانستان أصبحت بحقائق الجغرافيا وظروف التاريخ ميداناً نشيطاً لعمل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية !منذ بداية الحرب الباردة

"الاتحاد السوفيتي"هي المدخل الأقرب للتجسس على عمق "أفغانستان"وكانت بالتحديد هو "بيشاور"، وكان مطار "باكستان"انطلاقاً من القواعد الأمريكية في وقد انكشف أمرها "2يو "منطلق طائرات التجسس الأمريكية الشهيرة من طراز وأسقطت إحداها، وأدى ذلك إلى فضيحة مدوية في العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وبين وقائع الفضيحة تشاتم كاد أن يصل إلى حد التشابك دوايت "والرئيس الأمريكي "نيكيتا خروتشوف"بالأيدي بين الزعيم السوفيتي وكانت 1960في الجلسة الأولى من مؤتمر قمة انعقدت في باريس سنة "أيزنهاور .نفسها الجلسة الأخيرة

والواقع أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بدأت التحريض ضد الاتحاد السوفيتي ـ باسم الإسلام ـ ومن وراء حدود أفغانستان بينما النظام الملكي يحكم في والسلطة الحقيقية في يد ابن عمه "ظاهر شاه"والعرش عليه الملك "كابول" ."داود خان"ورئيس وزرائه السردار

وجاءت بـ "ظاهر شاه"وقد أدى التحريض إلى قلاقل أوصلت إلى عزل الملك وكذلك وقعت .لرئاسة الدولة في محاولة لتهدئة التحريض ولم تنجح "داود خان" سلسلة انقلابات في أفغانستان انتهت جميعاً بتدخل سوفيتي صريح في أفغانستان سنة "بابراك كارمل"من قائد انقلاب شيوعي هو الجنرال "شرعية"بدعوة 1979.

وهنا انتقلت المخابرات المركزية الأمريكية من التحريض إلى انتهاز الفرصة لحرب استنزاف خفية تشن على الاتحاد السوفيتي باسم الإسلام، وتصادف أن ذلك وقع في .الأجواء العاصفة للثورة الإسلامية في إيران وتأثيراتها على ما حولها

وكانت حرب استنزاف الاتحاد السوفيتي ـ بعد حرب التحريض عليه ـ تخطيطاً ، ومشاركة عربية "سعودياً في أكثره"أمريكياً، وإشراف باكستانياً، وتمويلاً خليجياً متعددة الأطراف فيها من قدم السلاح والعتاد وفيها من قدم المجندين والمتطوعين .الذين اعتبروا أنفسهم مجاهدين ضد الإلحاد

وفي حين أن العدو الحقيقي للعرب والمسلمين كان الاغتصاب الإسرائيلي في فلسطين، فإن العمل العربي والإسلامي ذهب للجهاد في أفغانستان مقاتلاً ضد الإلحاد وكانت الخطط الأمريكية محكمة، والإشراف "كابول"المادي الذي دخل من بوابات يشرف عليه رئيس المخابرات العسكرية الباكستانية الجنرال "الباكستاني حازماً

، والتمويل الخليجي سخياً، وحشد السلاح وتجنيد المتطوعين شديد ""حميد غول"
.الهمة والعزم
وتقول كافة الشواهد أن شباباً عربياً مسلماً أضاع نفسه وهدفه وحياته في حرب لا
معنى لها ضد طرف لم تثبت عداوته لا للعرب ولا للمسلمين، لكنه اتهم بالإلحاد
!واختص بالعقاب رغم وجود كثيرين غيره في عالم ضاع منه الكثير من اليقين
هو القيادة التي وضعت تحت تصرفها كل إمكانيات "القاعدة"وكان تنظيم
التكنولوجيا الأمريكية، وكل مقدرة العسكرية الباكستانية، وكل كرم التبرعات
، وكل نشاط "مليون دولار 500صندوق دوار فيه دائماً "الخليجية والسعودية
بما وصل "التسليح والتجنيد المصري والسوري والمغربي وحتى الفلسطيني
مجموعة الكلي على مساحة خمس سنوات إلى قرابة خمسين ألف شاب مسلم
وقد درب هؤلاء ."نصفهم من العرب بينهم ستة آلاف مصري على أرجح التقديرات
.جميعاً بكل جد، وشحنوا بطاقة إيمان مشبوبة بالنار
لكنه عندما انتهت الحرب الباردة ورفعت الولايات المتحدة يدها عن الحرب الخفية
في أفغانستان وكفت المخابرات المركزية الأمريكية عن التخطيط للمعركة ضد
الإلحاد الشيوعي، أصبح الاستمرار الأمريكي والعربي الرسمي غير مبرر وغير
.مطلوب وبالتالي وقع الانسحاب
أن يواصل ما يقضى به الإيمان ـ لكنه ما لبث أن تحول في "القاعدة"وحاول تنظيم
من كتائب جهاد إسلامي، إلى عصابات إرهاب :نظر الذين قاموا على إنشائه
.إجرامي
وسقط شباب كثيرون مسلمون وعرب في هذه الفجوة بين الجهاد والإرهاب
وكانت الأنظمة التي أرسلتهم إلى الجهاد ضد .وخرجوا من زمنهم ومن المستقبل
الإلحاد هي نفسها الأنظمة التي استقبلتهم حين عودتهم إلى بلادهم بإيداعهم وراء
قضبان السجون بتهم ثابتة في بعض الأحيان وبشكوك مسترييبة مقدماً في أحيان
!أخرى
**
نفسه، وهو شخصية يمكن فهمها "أسامة بن لادن"تخض :الملاحظة الرابعة *
تغوص في النوازع والهواجس "علم النفس"بدون حاجة إلى دراسة عميقة في
والقصة فيما هو شائع ـ قصة شاب من عائلة سعودية لها .الداخلية لتصرفات البشر
جذور يمنية تعمل بالمقاولات، وكان له مكتب يمارس نشاطه التجاري في
في أفغانستان، استعمل "ضد الإلحاد"أفغانستان، وعندما بدأت الحرف الخفية
واجهة لتوصيل الأموال بشكل يبدو مشروعاً إلى أوجه من النشاط "بن لادن"مكتب

.لم تكن وقتها مشروعة
لكن الذي حدث ـ وتلك حالة طبيعية ـ أن الشاب عاش دوره لكي يتسق مع ضميره فاعتبر نفسه مسئولاً عن محاربة الإلحاد وتلبس بالكامل دوره، وذهب بعيداً في تصديق الوهم، خصوصاً عندما جرى الانسحاب الأمريكي ولحقه الانسحاب العربي !الرسمي تمويلاً وتسليحاً وتعبئة
أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن "أسامة بن لادن"ذلك أنه عند هذه النقطة كان ينسحب من الساحة هو الآخر وبالتالي يصبح أمام نفسه وأمام الآخرين مجرد وكيل للمخابرات المركزية الأمريكية وكفيل لأصدقائها من الآسيويين والعرب ـ أو يواصل على مسئوليته ليؤكد لنفسه ولغيره أنه كان طول الوقت مجاهداً وقائداً "المهمة" .للمعركة ضد الإلحاد
ومع أن المعركة في أفغانستان بعد الانسحاب السوفيتي لم تعد لها صلة ـ ولا حتى بالادعاء ـ بين إيمان وإلحاد، وإسلام وكفر، لأنها أصبحت حربا بين قبائل وعشائر ظل يقود تنظيماً بلا قضية في أرض بلا هوية "أسامة بن لادن"ومشايخ، فإن ."لأن الماضي إذا أصبح هوية أضاع قيمة الحياة ومعنى التاريخ"
وكان أن الرجل لم يجد لنفسه خياراً آخر رغم أن الحصار أخذ يطبق عليه، ورغم الأمراض التي أصابته، والتي تقدر وكالة المخابرات الأمريكية المركزية أنها تهدده !بالموت فيما بين سنتين إلى ثلاث سنوات على أكثر تقدير
أصبحت شبيهة بأسطورة الوحش الذي خلقه "بن لادن"وفي الواقع فإن قصة وكان قصد الدكتور (ماري شيلى)في الرواية الشهيرة لـ "فرانكشتين"الدكتور في الأصل أن يثبت قدرة العلم على معجزة الخلق، لكن القصد خاب لأن (فرانكشتين) تنبض، ووقع فعلاً "روح"يتحرك وإنما هي في الوقت نفسه "كياناً"الحياة ليست في الرواية أن الحياة المصنوعة هددت صانعها، واضطر العالم إلى درء خطر معجزته عن نفسه، وقام بتدمير الوحش الذي صنعه وتفكيك أجزائه بالتكسير !وبالحرق والصعق
"فرانكشتين"ليست له قوة وحش "بن لادن"مع أن .وذلك بالضبط ما يجري الآن فهو على وجه القطع لا يستطيع أن يخطط أو يدير أو يسيطر على عمليات من نوع صواعق نيويورك وواشنطن، فضلاً عن أنه لا يظهر ما يؤكد أن صواعق مسألة لها علاقة بحق عربي مغتصب في فلسطين أو "واشنطن"و "نيويورك" بحق إسلام يتهم بما ليس فيه هذا الزمان، والواضح أن المسألة أوسع من ذلك وأعم، والأغلب أنها تتصل بعولمة الرفض والإرهاب أكثر مما تتصل بخصوصية !القضايا العربية أو الإسلامية

.ولعل الأهداف المباشرة لصواعق النار دليل على صحة هذا الظن ورجحانه
في "مانهاتن"على طرف جزيرة "التجارة"البرجان الشهيران :فالأهداف هي
رمز القوة "البنتاجون"، ثم مبنى "رمز الرأسمالية الأمريكية والعالمية"نيويورك
.العسكرية الإمبراطورية المصرة على الهيمنة وهو على طرف واشنطن

....

....

سؤال يصعب تجنبه، وتستعصي الإجابة عنه، والسؤال :الملاحظة الخامسة *
:متشعب
- فمن؟ "بن لادن"إذا لم يكن □
هو الآخر - فأي "تعولم"وإذا وقعت الإشارة إلى تحالف الرفض العريض الذي □
العناصر ضمن هذا التحالف كانت الأقرب إلى صواعق النار التي نزلت فوق
نيويورك وواشنطن؟
ثم ما هو المطلوب وراء ما جرى - باعتبار أي فعل طلبا؟ □
"بن لادن"وكان هذا السؤال شاغل كثيرين، ومن المفارقات أن الصراخ علا بأنه
أوروبية على وجه "في حين كانت هناك - وبدون صراخ - جهات مسئولة
!تطرح تصورات مختلفة بعضها فيه الكثير من إمكانية التصديق "الخصوص
عاصمة حلف الأطلنطي - تصور "بروكسل"وبين ما يطرح الآن - وحتى في
ويعرض بناء كاملاً هو دلالة شواهد، أكثر منه رباط "بن لادن"مختلف يستبعد
.وهو تصور يستحق الاعتبار .وقائع
:دلالة الشواهد تعرض خطا متصلاً ملخصه
إنه بالفعل يصعب وفق أي تقدير سليم نسبة ما جرى فوق نيويورك وواشنطن □
والصعوبة لا تنشأ من .الذي يتزعمه "القاعدة"أو تنظيم "إسامة بن لادن"إلى
العملية والتنظيمية "بن لادن"حقيقة أن العملية التي وقع تنفيذها تتخطى إمكانيات
كان خلال "بن لادن"والإنسانية، لكن الصعوبة إلى درجة الاستحالة تنشأ من أن
- موضع رقابة لا "كول"الفترة الأخيرة، بعد حادثة تفجير المدمرة الأمريكية
يستطيع الإفلات منها، بمعنى أنه يستطيع إخفاء نواياه في صدره، ويستطيع إخفاء
تفاصيل حياته داخل الكهوف التي يكمن فيها، لكنه في حالة الترتيب والتخطيط
وتنفيذ عملية على مستوى ما وقع في نيويورك وواشنطن لا يقدر على إخفاء شيء
ولو ليوم واحد في عملية استغرق الترتيب لها مالا يقل عن سنة كاملة، وشارك في
الإعداد لها ما لا يقل عن مائة موقع في أمريكا وأوروبا، ودخل في مهام تنفيذها ما
."وربما امرأة"لا يقل عن خمسين رجلاً

وتنظيمه ليس مراقباً فقط، ولكنه مخترق من جانب "بن لادن"وما هو ثابت أن أجهزة أمن محلية، أو لها مخابرات باكستان العسكرية والمدنية، وهي الراعي "القاعدة"ثم مخابرات الهند وهي مهتمة بتنظيم ((طالبان))الأساسي لمعركة بالإضافة إلى خمسة أو ستة "كشمير"في "بن لادن"بسبب ظهور بعض أعوان .أجهزة مخابرات عربية وأوروبية

طرف مستجد على الساحة، لم يراقب من "الفاعل"والشواهد تكاد تنطق بأن □ قبل، وليست له سوابق تضعه في دائرة المراقبة، وذلك مكنه من تواجد لم يلفت الشبهات في مواقع استكشف فيها ودرس أثناء التخطيط، ثم استوثق منها وتأكد أثناء الاستعداد للتنفيذ، ثم ظهر في المواقع التي استكشفها وأعدها وفعل ما فعل في تلك الساعات المشحونة بالقلق - وهي أربع ساعات غيرت العالم تقع بين السابعة سبتمبر من توقيت شرق الولايات 11والحادية عشرة من صباح يوم الثلاثاء .المتحدة الأمريكية

ولم تكن هذه الساعات الأربعة الحاسمة تسللاً أو تخفياً، وإنما كانت خطى وإجراءات عادية تحت سمع وبصر مئات الموظفين معظمهم من ضباط المخابرات والأمن "مطار بوسطن"والجوازات والجمارك في مطار من أكثر مطارات أمريكا ازدحاماً -. وكذلك في دائرة كاميرات ثابتة ومتحركة قائمة في كل زاوية لكي تكشف كل ركن الفاعل طرف جديد، أن الخيال الذي استعمله غير مطروق - غير "ومما يزكى أن مسبوق - مع التسليم بأن الخيال القديم حتى مع مقدرته على التجديد يظل دائماً على صلة بالتجربة، في حين أن الخيال الجديد لديه جسارة أن يجرب في المطلق دون .حاجة إلى أرضية سبق التعرف عليها، أو سقف تحدد ارتفاعه بالممارسة

طرف جديد - أنه قدم مستوى علمياً ممتازاً في دراسته "الفاعل"ويزكي حقيقة أن يدخل المطار حاملاً حقيبته - وسلاحه ينتظره "فاعل"فهذا .لخطته لم يظهر من قبل وراء بوابات ركوب الطائرات بعد انتهاء كل إجراءات السفر والأمن - وهو واثق من كمال استعداده بما في ذلك طاقة التفجير، لأنها خزانات وقود كافية للسفر ست .ساعات في الجو من الساحل الشرقي للولايات المتحدة نحو الساحل الغربي

لديه بعد ذلك كفاءة أن يستولي على الطائرة التي صعد إليها وتحويلها "الفاعل"و والهدف سبق اختياره بمعناه الرمزي .إلى قذيفة يستطيع توجيهها إلى هدف قرره العاصمة "واشنطن"العاصمة الاقتصادية للولايات المتحدة أو في "نيويورك"في ثم إن نقطة الاصطدام بالهدف حساب هندسي دقيق يريد أن يصطدم على .السياسية مساحة الارتفاع القائمة ما بين الدور الستين والدور السبعين لكي يكون حمل الأنقاض النازلة من أعلى إلى أسفل كافياً ليهوى ببرج التجارة المستهدف راكعاً

.غائراً في حفرة غاص فيها دون أن يتبعثر أو يتناثر إلى بعيد
تحركه دوافع نفسية مختلفة بالكامل عن التصور العربي للحركة "الفاعل"إن □
المطلوبة إزاء الولايات المتحدة، بمعنى أن مطلب العرب من أمريكا أن تضغط على
إسرائيل، وهذا الضغط ـ في حد ذاته ـ لا بد أن يكون بعيار ومقدار بان مرات متعددة
!في عمليات سابقة سببت أضراراً جسيمة ومع ذلك تركت قنوات مفتوحة
سبتمبر لم يظهر راغباً في التأثير أو مباشرة 11صباح الثلاثاء "الفاعل"لكن
الضغط بمختلف درجاته، بل لم يكن في شكل فعله أنه يبعث بإشارة ـ حتى لو كانت
كما تقول كافة "الفاعل"وإنما كان .دموية ـ إلى المستقبل، ولم يترك ثغرة لفرصة
.الإشارات غاضباً، وكان مصراً على الانتقام، وفي الغالب من شيء وقع
فقد كان ما بدا من هدف "الإرهاب"وفي كل ما عرفه العالم في مجالات ما يسمى بـ
من التأثير السياسي تزيح من الطريق "كمية"العمليات في كل المرات إحداث أكبر
عقبات أو تفتح على الطريق مخرجاً، أما ما جرى في نيويورك وواشنطن فلم تكن
، وإنما تبدى العمل مكتفياً بذاته ـ مقدمة "بعد"و "قبل"فيه سياسة ولم يكن فيه
!ونتيجة ـ وكل شيء
ضربة انتقام أو ضربة عقاب يحركها انضباط صارم من اللحظة الأولى وحتى
!المشهد الختامي
وحتى مزاجه في الفعل توحي بأن التخطيط "الفاعل"وتكاد تحركات □
فذلك بالفعل مستوى الترتيب والتنفيذ، وعقلية ونفسية الإدارة، مع ."عسكري"
تدريب "، وهناك "تجهيز معركة"شديد الوضوح، فهناك "نظامي"تصور
، وتلك شواهد على أنه إذا لم يكن "أرضية وخطوط إمداد معركة"، وهناك "معركة
.عسكري ملموس فإن هناك ظلا لتواجد عسكري محسوس "تواجد"هناك شكل لـ
والتواجد العسكري المحسوس مع برودة أعصاب تتجلى في الصبر الدءوب على
التفكير والتخطيط والترقب والتنفيذ ـ يبدو مستعداً بتصميم محكوم بإرادة أكبر من أن
وذلك نوع من الفعل ظهر مفعوله ـ .تنتسب إلى الانفعال ـ لمواجهة انتحار مؤكد
بدرجات متفاوتة ـ في مسار صراعات تاريخية انكسرت فيها وطنيات وحوصرت
.هويات، وضاقت نفوس بما عانت وقاست، وتحملت به وخضعت له

....

....

والذين يطرحون هذا التصور ـ وغيره ـ في أوروبا وحتى في عاصمة حلف
الأطلنطي يصلون في النهاية إلى أن تلك الإشارات تكاد أن تكون لمسات فرشاة
تمزج البقع بالأسود والرمادي والأحمر، وترسم لوحة عليها مساحات شديدة

وكان أكثر ما تثيره لمسات الأسود والرمادي .الغموض مفتوحة للخيال والتأويل وهي تلفت النظر إلى "الفاعل"والأحمر مشاعر وهواجس تستعيد شروط ."صربية"وصراعاته وبالتحديد إلى عناصر "البلقان"

.هناك قومية اعتدى عليها وجوداً ومشروعاً وكرامة

.وهناك جيش تم ضربه وتمزيقه وأهانته

وهناك شعب تعرض لغارات الأطلنطي تتقدمها أساطيل الجو الأمريكية لمدة خمسين .يوما

وهناك زعماء سياسيون وعسكريون مهزومون، بعضهم مطارد وبعضهم مطلوب لقانون أملته شروط الغلبة، بل إن بعض الرموز الصربية وراء قضبان السجون .فعلا

وفي بقايا الجيش الصربي عناصر لديها المؤهلات المطلوبة، ولديها طاقة الغضب الجامحة، ولديها التصميم على الانتقام والثأر مهما كان أو يكون، ولديها جسارة .المخاطرة بملاقاة الموت دون اعتبار هذا النوع من الموت انتحاراً

كما وقع "الفاعل"بالإضافة إلى ذلك فإن تلك العناصر الصربية مستوفية كل شروط وليست له سجلات سابقة .قادم جديد إلى الرفض ما زال خياله غير محدد :توصيفها .تلاحقه وتتابعه خارج دائرة معينة

.ولديه الشحنات والطاقات والقدرات والمهارات التي تهيئُه لتطاير الشرر

تسبب في الحرب "برميل بارود"في التاريخ الحديث أنه "البلقان"وكانت شهرة العالمية الأولى التي قادت إلى الحرب العالمية الثانية ـ وهذه الحرب العالمية الثانية .جديداً في الشرق الأوسط "برميل بارود" "البلقان"أضافت إلى

....

....

بن " "الشرق الأوسط "برميل" ."براميل البارود"ومع ذلك فربما تجاورت بارود ثالثة "براميل"الصرب وما حولها و"البلقان "برميل"ـ و "أو غيره "لادن وقذفت بالعالم إلى .أو رابعة، ثم تفجرت كلها صواعق نار فوق نيويورك وواشنطن ."غير المتوازية"حافة حرب من نوع جديد، هي الحرب

.وفيما يظهر من العينة الأولى فهي نوع الحرب الأخطر

وبدليل صواعق نيويورك وواشنطن، فهذه موقعة لا مثيل لها في تكثيف الصدمات :إذا قيست بغيرها من أزمنة سابقة

□ "كوريا"الإحساس بالإحباط فيها ـ بعد دقائق ـ زاد على كل ما راكمته حرب !على الأعصاب الأمريكية طوال عشرين سنة "فيتنام"وحرب

والخسائر المادية على مدى الأسبوع الأول من العملية تساوى تكاليف الحرب □
العالمية الثانية وقد دفعتها أسواق العالم وكان النصيب الأكبر منها خسائر السوق
نصف إجمالي الدخل القومي " "تريليون دولار 2"الأمريكية، وتقديرها الأولى
."الأمريكي هذه السنة
والتضحيات من أرواح البشر بضربة واحدة أكثر مما تكبدته أمريكا في أي معركة □
عسكرية خاضتها ولم يكن هناك جبهة ولا ميدان قتال ولا تحركات جيوش تهيىء
وعلى سبيل المثال فهي أكثر من كل الخسائر البشرية "نوعاً من الإنذار المبكر
."1967المصرية في معارك سنة

....

....

بمعنى أنه في إطار حرب .لكن الأسوأ هو الضرائب السياسية، المادية والمعنوية
تستطيع أمريكا بالقوة العسكرية أن تعيد أفغانستان إلى العصر "غير متوازنة"
، لكنه وكما يبدو من الوثائق "وأفغانستان لم تبتعد عن هذه العصر كثيراً"الحجري
غير "الأمريكية ـ فإن الولايات المتحدة بإجراءاتها وفق استراتيجية الحرب
على وشك أن تعيد نفسها إلى وضع قريب الشبه بأوضاع العالم الثالث ـ "المتوازية
.أبوابه المغلقة ونوافذه المسدودة
وكذلك يصل الحلم الأمريكي حتى يحبس نفسه في قفص من الخوف يحرسه وزير
ـ "الولايات المتحدة الأمريكية"في بلد يتباهى أصحابه يسمونه "للأمن الداخلي"
!!"الجمهوريات الاتحادية السوفيتية"وليس

!من نيويورك إلى كابول وبالعكس

!عن الأزمة والحرب

سبتمبر الأخير، أن 11كان ترتيبي قبل أن تقع الواقعة في نيويورك وواشنطن يوم
.واشنطن ونيويورك :أقصد إلى بعض عواصم أوربا، ومنها إلى الولايات المتحدة
سبتمبر 17وجرى تجهيز إجراءات السفر وتحدد موعده في الصباح الباكر من يوم
وهو يوم أربعاء، وخط سيري المرسوم أن أتوجه إلى لندن لأيام معدودة، ومنها
عبر المحيط إلى نيويورك في عطلة نهاية الأسبوع، وبحيث أكون يوم الاثنين التالي
في واشنطن بادئاً اليوم من أوله، باحثاً عن الأحوال والاحتمالات كما "سبتمبر 16"
تبدو في العاصمة الأمريكية التي أصبحت ـ أعجبنا أو لم يعجبنا ـ عاصمة القوة في
..العالم ومركز القرار في مصائره
، فرغت الإدارة الحالية في الولايات "خططا"و "نوايا"وكنت على معرفة بأن هناك
، من بلورتها ـ وهي على وشك أن تطرحها "2001"المتحدة، مع ربيع هذا العام

للتنفيذ على اتساع قارات العالم وفيها المنطقة التي تعنينا أكثر من غيرها وهي منطقة الشرق الأوسط.
وبالفعل فقد كنت اطلعت على نصوص تقرير رئاسي أمريكي بشأن استراتيجية جديدة جرى اعتمادها من جانب الإدارة الأمريكية لمستقبل العمل في هذه المنطقة، في عدد أول " "المجلة"وشغلني التقرير، حتى أنني عرضته على صفحات هذه - ثم رأيت الارتحال عبر البحر وعبر المحيط باعتقاد أن هناك الكثير مما "سبتمبر سؤالاً، وجواباً، وحواراً وفهما بقدر ما هو :يمكن استجلاؤه والبحث في تفاصيله ممكن.
سبتمبر، كانت الترتيبات في مواضعها، بما في ذلك مواعيد 11وعصر يوم الثلاثاء اجتماعات حرصت أن أضمن لها وقتاً يكفيني، ولقاءات على الإفطار والغداء والشاي والعشاء متواصلة، وهي مناسبات للكلام أكثر منها مناسبات للطعام.
فوق شاشة التليفزيون - توافقت نظرتي الأولى CNNوفجأة وكنت أطل على قناة بمحض مصادفة مع إشارة تقطع البرامج بخبر طارئ، يفيد أن طائرة مدنية اصطدمت بأحد برجي التجارة الشهيرين في نيويورك، ولدقائق تصورت أنها حادثة وقعت بسبب طيار ضل مساره أو أخطأ ارتفاعه، فارتطم بناطحة سحاب، تمثل هي وتوأم لها، أظهر العلامات عل خط الأفق الشهير لمدينة نيويورك.
ورحت أتابع ما بدا لي - رغم مأساويته - حدثاً عادياً يقع مثله كل يوم مع اختلاف ثم استجد بعد دقائق ما ظللت لبعض الوقت غير قادر على .الظروف والمواقع تصديقه، فقد ظهرت على حافة شاشة التليفزيون طائرة ثانية، اخترقت الصورة بسرعة، ثم نفذت في البرج الثاني، ومع أنه كان من العسير على أي عقل أن يستوعب معنى ما جرى، فإن الحقيقة كانت أمام العيون تفرض يقينها، حتى وإن كانت هذه الحقيقة عصية على التصديق، متفوقة على الخيال، داعية إلى الانبهار قبل إدراك أن الصور وراءها - بالضرورة - مصائب ومآسٍ إنسانية.
ثم يزداد عمق الفجوة بين الصورة المبهرة والحقيقة الدامية، عندما يبدأ البرجان التوأمان - العملاقان - في الانهيار - من الداخل كأنهما صرح يسقط راكعاً على ركبتيه مكوماً على الأرض ومن حوله جبال من ركام الحديد والحجر، فوقها كتل اللهب المتهاوية تسحق أجساداً وأرواحاً ولحماً ودماً وآمالاً وطموحات دهمها الموت، وهو موت رهيب بآلامه وعذابه، وخصوصاً أن زمان المأساة طال ما بين اصطدام الطائرة الأولى ببرج التجارة الأول، والثانية بالبرج الثاني، وتهاوى التوأمان العملاقان بثقلهما المخيف على ما بين خمسة آلاف إلى ستة آلاف من البشر - وهو زمان طال مداه قرابة الساعتين، يعلم الله ما جرى فيهما وكيف؟ ..

ولبعض الوقت دار في خلدي أن ما وقع أمام عيني وأمام عيون مئات الملايين من الناس، يحرض على السفر أكثر مما ينهى عنه، فما جرى هو بالنسبة للصحفي وعندما .حدث مهوّل ـ لكن صوت النهي كان مسموعاً من حولي وأسبابه متنوعة دخل الليل، كانت الأنباء تقول أن عاصفة النار والدمار فوق نيويورك وواشنطن فجرت بعدها إعصار غضب وجنون، اجتاح الولايات المتحدة الأمريكية من الشرق إلى الغرب، ووصلت آثاره بعيداً وعميقاً، وأن كل ما هو عربي ومسلم أصبح معرضاً ومكشوفاً، ولم يكن ذلك في حد ذاته ما جعلني أغير رأيي، وإنما غيرت رأيي لإدراكي أنه بعد كل ما جرى فلن أكون حيث أذهب سائلاً، وإنما سوف أكون مسئولاً، ـ مفروض عليه أن يتكلم، "صاحب بيت"ولن أكون زائراً يرغب في السماع، وإنما :ولم أكن على استعداداً لأكثر من سبب

.فيها أنني في شأن ما جرى متابع مهتم، وليس طرفاً ضليعاً في الموضوع وخباياه

وفيها أن ما لدي من الأسئلة، كان كثيراً قبل الواقعة، ثم أضيف إليه الأكثر بعد .الواقعة

وفيها أنه ليست عندي إزاء ما رأته الدنيا بأسرها إجابات، وحتى إذا كانت عندي اجتهادات ـ وليس إجابات فليس يعنيني الآن طرحها بقدر ما يعنيني أن أسمع غيري مع أن الإشارات الأولى كشفت أن الكل مذهول بالمفاجأة، مأخوذ .إذا توصل لشيء بصورها، مروع بالمأساة بعد المفاجأة ووراء الصور، ثم إن المزاج العام ساخن !وكذلك منفلت

وهكذا ـ وفي اللحظة الأخيرة ـ قررت إلغاء ترتيبات السفر، بترجيح أن المتابعة الآن أفضل عن طريق سيل من الرسائل لا ينقطع على الإنترنت، وصور لا تتوقف على شاشات التليفزيون، إلى جانب ما تحمله صحافة العالم وكلها واصلة إلى القاهرة في ساعات، ثم إن المتابعة من مسافة ـ كذلك قدرت ـ أدعى إلى فهم أقل توتراً، وبالتالي ."إذا كان ذلك ممكناً"أكثر تأنياً

□

ومضى أسبوع وثان وثالث، ثم عاد الصحفي داخلي يذكر بنفسه ويلح، فسيل الرسائل على الإنترنت مفيد، وشرائط الصور على شاشات التليفزيون معبرة، لكن الصحفي يحتاج أكثر، .وصحافة العالم الواصلة تعطى تغطية عريضة شاملة يحتاج أن يرى بعينيه، وأن يسمع بأذنيه، وأن يلمس بأصابعه، وأن يجلس مع ناس يعرفون، في مواقع تسمح لهم بأن يعرفوا، وأن يسأل ويستجوب ويجادل ويسعى بالحق الطبيعي لمهنته كي يوفر لنفسه رؤية واضحة، على الأقل كافية ـ إذا جاء !عليه الدور ليقول ما عنده، بعضه أو كله، وبقدر ما تسمح له الظروف

ومن باب .وهكذا بعد انتظار ثلاثة أسابيع، عدت أحرك واستعجل إجراءات السفر الاحتياط، فقد تصورت أن أبدأ ببعض العواصم الأوربية، وبعدها أفكر إذا كان عبور المحيط إلى أمريكا مفيداً، أو أن مناخ الهستيريا الذي تملك الجميع ـ ولهم العذر فيه كما يقول الفقهاء تجنباً لتكرار الحيثيات " "ذلك كذلك"ـ ما زال مستحكماً، وإذا كان ـ إذن فإن السفر يمكن اختصاره، ويكون اقتصاره على أوربا وحدها "في أية فتوى والحقيقة أنني لم أندم على الاختصار والاقتصار على أوربا، فما يصلني .وهكذا كان من الولايات المتحدة كان مزعجاً، ثم إن تجربة شخصية مباشرة ـ ولو أنها واحدة لم تتكرر ـ في لندن زادت من إقناعي، بأنني لم أخسر كثيراً حين بقيت في أوربا ولم !أقارب شواطئ المحيط

إنني دعوت على العشاء ذات ليلة في لندن صديقاً قديماً هو :ملخص التجربة ، الذي كان لسنوات طويلة سفير لبريطانيا في القاهرة، ومعه "السير مايكل وير" متأخرين وعبرنا "سانتيني"وقد وصلنا جميعاً إلى مطعم "الليدي وير"قرينته .بسرعة إلى مائدة تنتظرنا

وبدا لي ونحن نمر بالموائد في طريقنا إلى مكاننا أن الجالسين على مائدة قريبة منا ينظرون نحونا ويدققون، ولم يكن صعباً أن أشعر أنهم تعرفوا عليّ من صورة كبيرة ، ونشره بعرض "ستيفن موس"وسط حديث طويل أجراه معي الصحفي اللامع أعادت نشر الحديث "الايفننج ستاندارد"أمس، ثم إن "الجارديان"صفحتين في مكررا "وفي ذلك الحديث .بالكامل، ومعه نفس الصورة وبذات الحجم هذا المساء فإنني ـ إلى جانب كثير قلته ـ انتقدت بعض ممارسات السياسة "يومين متتاليين .الأمريكية في المنطقة

.ولم ألتفت إلى أن الذين تعرفوا عليّ لهم ـ كما ظهر فيما بعد ـ رأي بشأن ما قلته وعلى أية حال فقد اتخذنا مقاعدنا حول المائدة المحجوزة لنا، وجاءت قائمة العشاء وطلبنا ثم جرى بنا الحديث مجراه ووصلنا إلى ما وقع في أمريكا وهو وقتها وحتى وانقضى نصف الساعة تقريباً وكنت .الآن شاغل الدنيا بأسرها وليس مائدتنا وحدها انتباهي "ليدي وير"، حتى لفتت قرينته هيلاري "مايكل"منهمكاً في الحوار مع لسيدة أقبلت تقف إلى جواري، ويبدو أنها تريد أن تتحدث معي، وألتَفتُّ وإذا سيدة مهما كان ما تقول أو تقولون، فالله " :طويلة القامة حسنة الهندام تقول بعصبية إنني أرحب أن يبارك الله أمريكا ويبارك أوطان " :وقلت لها بصدق ."يبارك أمريكا ."الناس كلهم

فليبارك الله أمريكا وحدها وليذهب الآخرون جميعاً ..لا" :وردت وهي تدير ظهرها ."إلى الجحيم

غضبت، وهمَّت بالرد تقول للسيدة "ليدي وير" "هيلاري"ولم أغضب، ولكن .
"إنها لا تملك حق أن تفقد أعصابها مع الناس" :الأمريكية
نفسه وهو فنان له مؤلفات عديدة عن "سانتيني"وجاء صاحب المطعم السنيور المطبخ الإيطالي، ومطبخ فينيسيا بالتحديد، كما أنه رجل تربطه صداقات ودودة مع وكانت ضمنهم الأميرة ديانا وكوكبة لامعة من "كثيرين من رواد مطعمه الأنيق، أصدقائها، والملك حسين وقرينته الملكة نور، والسيدة مارجريت تاتشر وقرينها محرجاً، يحاول أن يعتذر، وهو يستغرب أن "سانتيني"وقد جاء السنيور ."دنيس السيدة الأمريكية ـ وهي زوجة مليونير أمريكي يزور لندن مرتين أو ثلاثاً في السنة، القريب وهو من أرقى المواقع في حي "تشستر"ويملك بيتاً كبيراً في ميدان "المليونيرة"وكان رأيي أن ما فعلته الأمريكية .ـ خرجت عن الأصول "بلجرافيا" في ظل هذه الأجواء، "وارد"ليس فيه ما يستوجب حرجه أو اعتذاره، لأنه أمر .كان لها رأي آخر "ليدي وير"لكن
وعلى أية حال، فقد زاد اقتناعي ـ بعدما سمعت في لندن تفاصيل مستفيضة عما فعلت صواباً جرى لكثيرين من العرب المسلمين في الولايات المتحدة ـ بأنني باختصار رحلتي واقتصارها على شرق المحيط، وكذلك ظللت مدة الثلاثة أسابيع التي قدرتها لسفرتي، ملازماً للشاطئ الأوربي للأطلنطي مستغنياً عن عبور المحيط إلى الغرب الأمريكي، وربما أن ذلك كان أكثر توافقاً مع ميلي وحواسي وبظن أن الإمبراطوريات القديمة مهما كان خلافنا معاً، لديها حكمة التجربة وتوازنها بينما لديها غرور القوة إلى جانب وحشية الإعلام وطغيان "الإمبراطوريات الجديدة" !الغنى

****

وطوال ثلاثة أسابيع من البحث في عواصم أوربية متعددة ـ ملاحظاً، ومتابعاً أكثر المرات، متكلماً في أقلها ـ كان في ذاكرتي قول شهير للرئيس الأمريكي الأسبق ـ جمع خلاصة خبرته قائداً أعلى لجيوش الحلفاء في الحرب "دوايت أيزنهاور" :العالمية الثانية، ورئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ثماني سنوات ـ وفيه يقول إن السياسات الطيبة لا تضمن النجاح أكيداً، ولكن السياسات السيئة تضمن الفشل " ."محققاً
وذلك هو محور حديثي اليوم ـ لكنني قبل الخوض فيه أقترح الالتفات بسرعة إلى عدد من الإشارات

:الإشارة الأولى

!الإمبراطوريات الحائرة والطرق المسدودة

:باريس

في باريس تفهم عميق لحق الشعب الأمريكي في الغضب وحق الإدارة الأمريكية في
:هناك نوعان من الفهم ..العقاب، لكن
وفي الحالتين فإن .نوع يرق بالتعاطف أحياناً ـ ونوع يقسو بالنقد أحياناً أخرى
إن :وخلاصته :المنطق القانوني الفرنسي يعرض نفسه ـ بالرقة أو بالقسوة متكاملاً
وذلك أمر لا يجادل فيه، ولا يستطيع ..سبتمبر جريمة شنيعة 11هناك فيما وقع يوم
:لكن كل جريمة تحتاج إلى تحقيق يطرح عدة أسئلة .أحد
ـ كيف وقعت الجريمة؟1
ـ وبالتالي من ارتكبها؟ 2
ومن الواضح أن الإجابة عن السؤال الأول هي الأساس الذي تقوم عليه إجابة "
."السؤال الثاني
ـ يلي ذلك أن الجرائم لا تحاكم بنيران الجيوش، وإنما بنصوص القانون، 3
.والاختصاص فيها للبوليس والمحاكم، وليس للطائرات والصواريخ
ـ وعند المحاكمة وقبل الحكم، فإنه يتحتم أن تكون الفرصة متاحة للاطلاع على 4
الأدلة، والقرائن، وسماع الشهود، والتثبت من وقوع المسئولية، بحيث تكون للحكم
!"لأن الجريمة تستغني عن المشروعية، لكن القضاء لا يستطيع"مشروعيته

....

....

وحين سمعت أن باريس تتفهم الدواعي التي حدت بالإدارة الأمريكية، إلى أن]
تتصرف بسرعة وإلى أن يكون تصرفها سريعاً وقوياً، حتى وإن لم تكن لديها خطة
فرانسوا "، قابلت فيها الرئيس 1982مدروسة ومتكاملة ـ فقد تذكرت مرة سنة
، وأيامها كانت الحرب الأهلية في لبنان على أشدها ـ وكان حادث خروج "ميتران
قوات مشاة البحرية الأمريكية من بيروت بعد عملية فدائية لحزب الله راح فيها أكثر
قتيلاً ـ ماثلاً في الأذهان، ومعه حادث مشابه أقل حجماً في خسائره ضد 170من
ويومها سألت الرئيس الفرنسي عن السبب الذي دعا فرنسا في .القوات الفرنسية
ذلك الوقت إلى تحريك أسطولها في البحر الأبيض، ثم إن إحدى بوارجه وهي
راحت تقترب من الشاطئ اللبناني، حتى تكاد تلامسه، لكنها "جان دارك"البارجة
تستدير عائدة إلى عرض البحر، ثم تقترب ثانية وتعود ثانية، ويتكرر المشهد مرات
.ومرات بطريقة بدت غير منطقية
:وسألت الرئيس ميتران أثناء لقائنا، وأنا ساعتها ضيفه على الإفطار

قاصدة عائدة أمام شواطئ لبنان، وما كان "جان دارك" عما كانت تفعله البارجة "
؟ "القصد منه والحكمة
."ضروريا"بل و "إن ذلك كان طبيعياً" :ورد الرئيس الفرنسي قائلاً
"جان دارك"ولم أقتنع، وواصلت سؤالي عن وجه الطبيعة والضرورة فيما فعلته
، وإحساسي بينما كنت "!وأكاد أقول تلعثم"وتردد الرئيس ميتران "!البارجة"
:أتأمله أن المثقف فيه يغالب رئيس الدولة وكذلك قال
استعمل "التشويح بأطراف الجسم .لك أن تعتبرها نوعاً من الحركة العصبية"
." "**Gesticulation Politique**"الرئيس ميتران تعبير
:ثم أضاف
إنه يحدث للدول ما يحدث للأفراد حين يواجهون مواقف تقتضي منهم أن "
يتحركوا، ـ ثم يكتشفون أن الخيارات المطروحة أمامهم لم تنضج بعد، وللحظة فإنهم
.، أي تتحرك أعضاء جسمهم تعبيراً عما يريدون فعله"يشوحون"بدلاً من الكلام
."وهم لحظتها لا يقدرون
وقتها كانت في ذلك "جان دارك"لك أن تعتبر أن " :ويستطرد الرئيس ميتران
الموقف، تعبيرا عن قوة فرنسية تفرض عليها الدواعي أن تفعل شيئاً، لكن الحقائق
."بالصوت والحركة "نشوح"لنقل أننا لحظتها كنا " :على الأرض تمنعها منه
[إنني الآن فهمت :وقلت

....

....
، كانت القوة الأمريكية في وضع مشابه، "2001أكتوبر "وبعد قرابة عشرين سنة
فالدواعي الملحة تفرض عليها أن تتصرف، وترد بكل الوسائل كي تخفف من ثورة
."أخذ بثأره وانتقم"الشعب الأمريكي، وتهيئ له أنه
لكنه في تلك اللحظة كانت الحقيقة غائبة، والمشهد فوضى، والخطط لمواجهة هذا
رغم أن هذا النوع "الذي حدث في نيويورك وواشنطن غير جاهزة أو غير كاملة
من الخطر في عصر الحروب غير المتوازية، وهي حروب القرن الحادي والعشرين
، لأنه كان صعباً على العقل استيعاب هذا "كانت واردة بالتقدير المسبق على الفكر
!وكذلك لم تكن الخطط جاهزة أو لم تكن كافية .النوع من الخطر حين وقع بالفعل
وفي الحالة الأمريكية، فإن رئيس الولايات المتحدة لم يكن يقدر على التصرف كما
مع وجود أوجه توافق بين الحالتين .تصرف الرئيس الفرنسي في موقف مشابه
:وأوجه خلاف
إن هناك حدثاً يطلب رداً، لكنه في غموض الوقائع وفوضى :أوجه التوافق ○

الشواهد وغياب الخطط، فإن هدف التصرف لم يكن واضحاً، وهكذا بدأ التشويح بما فيها ملامح الوجوه "والتعبير بلغة حركة اليدين والقدمين، وأعضاء البدن ."!ونظرات العيون وطلوع الحواجب ونزولها

القوة الفرنسية فرض عليها أن تتوقف بعدما "عقل"وأما أوجه الخلاف فهي أن ○

ـ لكنه في حالة **Gesticulation Politique** التشويح السياسي :أسماه ميتران بـ أمريكا فإن جموح القوة الأمريكية دفع بالرئيس الأمريكي إلى ما هو أبعد، مع تزايد الضغوط عليه.

، وقرر أن "وهو تنظيم القاعدة"وكذلك اختار رأس القائمة الجاهزة للمشتبه فيهم يضرب، عارفاً أنه لا يملك فرصة ـ أو ترف ـ الانتظار.

....

....

جورج "والحاصل أنني عرفت أن جورج بوش الأب كان أكثر من ألحوا على] أن يتصرف بسرعة، وسمعت أنه قال له بعد عشاء عطلة نهاية الأسبوع في "بوش هو "العجز"ليس أمامه غير أن يضرب بسرعة لأن " :كامب دافيد ما مؤداه أنه الخطيئة التي لا تغتفر لأية سياسي، وتلك خلاصة تجربة عمره في العمل السياسي. وأن الناس يغفرون للرئيس إذا بان خطؤه، لكنهم لن يغفروا إذا تبدى عجزه "!]

....

....

:الإشارة الثانية

!تسجيل تليفوني لبن لادن 1100

:لندن

، إحساس "وفي غيرها من العواصم الأوروبية"وفي باريس وفي روما وفي لندن بأن الولايات المتحدة استعملت قواتها العسكرية بسرعة ضد إسامة بن لادن ـ في معظم أفغانستان ـ دون أن يكون لديها "ساعتها"الموجود وسط حركة الحاكمة سبتمبر ـ أو على الأقل يتحملها وحده 11 اليقين الكامل بأنه يتحمل مسئولية.

والشاهد أن أبرز ساسة أوربا سألوا نظراءهم الأمريكيين عما لديهم من أدلة على على أن ثقتهم .، ولم يحصل أيهم على رد يغنيه أو يكفيه"بن لادن"مسئولية بالولايات المتحدة أغنت وكفت.

وفي لندن وباريس وروما ـ وربما في غيرها من عواصم أوربا ـ وكما يحدث في تطلب الرأي من خارج الإدارة القائمة "اجتماعات تشاور"بلدان متقدمة، يدعى إلى في أية أزمة تطرأ، وفي العادة فإن هذه الاجتماعات يحضرها خبراء فيهم أساتذة

جامعات ووزراء وسفراء سابقون يعرفون أطراف الصراع أو مناطق الحوادث التي تطرح نفسها مفاجأة على الاهتمام العام، ولكي يكون التشاور نافعاً وليس صورياً، فإنه توضع أمام هذه الاجتماعات صراحة كل ما لدى حكوماتها من معلومات، لكي تنضم الخبرة السابقة إلى التجربة اللاحقة.

وحدث في عدد من هذه الاجتماعات ـ وليس من الضروري أن أحدد تفصيلاً كي لا أحرج أحدا ـ أن المشاركين في أكثر من عاصمة وجهوا إلى رؤسائهم الحاليين سؤالين:

○

○ السؤال الأول: هل هناك دليل يمكن البناء عليه في الإقناع السياسي بمسئولية بن لادن ـ ومن ثم طالبان ـ ومن ثم أفغانستان "ومن ثم الإسلام" بمسئولية ما جرى يوم 11 سبتمبر؟

○ والسؤال الثاني: ما هي اتجاهات العمل العسكري الأمريكي الحالي، وما هو الهدف الإستراتيجي منه؟

وبالنسبة للسؤال الأول: كان الرد على المستوى الوزاري أنه:

" ليس لدينا دليل قاطع على مسئولية بن لادن ـ طالبان ـ أفغانستان ـ فيما حدث يوم 11 ـ سبتمبر" ثم يتواصل الرد " على أنه لا بد أن يكون لدى الأمريكان شيء يستندون عليه، لكنهم لم يقولوه لنا. ومما قالوه أن لديهم معلومات بأن بن لادن أو وكلاء مفوضين عنه أصدروا من بنك في الإمارات العربية المتحدة عدة حوالات قيمتها نصف مليون دولار، فيها مائة ألف دولار لـ محمد عطا، وهو المتهم بقيادة عملية 11 سبتمبر، وفيها مائة ألف دولار أخرى باسم زميله: مروان الشيحي.

ثم إن المخابرات الأمريكية حصلت على صور من هذه الحوالات بتصريح من محافظ البنك المركزي للإمارات العربية المتحدة "مارسيل وهبة" بعد طلب تقدمت به سفيرة أمريكا في الإمارات العربية المتحدة.

ورأيهم كما قالوه لنا صراحة: " إن هذه الحوالات تقطع بالصلة بين بن لادن وبين المسئولين عن عملية 11 سبتمبر، ظنهم أيضا ـ كما عبروا عنه ضمنا ـ أنهم لا)) يستبعدون أن بن لادن، بما كان صادقا عندما قال إنه لم يخطوا ولم يوجه عملية 11 سبتمبر، فهو يعطي الأموال "يميناً ويساراً وفي الوسط" لكن الهدف العام لما ـ يعطيه معروف بصرف النظر عن تفاصيل كل عملية"!

" وفوق ذلك فقد أكدوا لنا "في واشنطن" أنهم أجروا تسجيلات لاتصالات تليفونية قام بها بن لادن طول السنوات الخمس الماضية من جهاز تليفون جوال متصل بالأقمار الصناعية. وقد وأن لديهم أكثر من ألف ومائة تسجيل لمحادثات تليفونية،

."!أرسلوا إلينا عينات منها، لعلها ترشد أو تدل على شيء
في أكثر من عاصمة أوربية في الإجابة عن "اجتماعات التشاور"كذلك قيل في
.السؤال الأول

....

....

ومرة أخرى لا أريد أن أحدد لأني لا أريد أن "وسألني أحد وزراء الدولة الأوربيين]
إن بن لادن لا يستطيع ولا يقدر على " "قبل ثلاثة أسابيع"لماذا قلت :"أحرج
؟ وكررت على سائلي ما نشرته عن ظني بأن بن "سبتمبر 11عملية مثل عملية
سبتمبر، سواء بمقتضياتها المعقدة في 11لادن وحده لا يستطيع، وأن عمليات
التخطيط والإدارة والتنفيذ تتعدى قدراته، ثم إن ظروفه بما فيها المراقبة المستمرة
عليه واختراق تنظيمه بالعمق ـ إلى جانب بعد أمريكا عن مواقعه تخطيطاً وإدارة
.وتنفيذاً ـ تجعل المسألة برمتها خارج طاقته
إن ذلك " :إذا لم يكن بن لادن فمن؟ وقلت :وسألني وزير الدولة الأوروبي المعنى
."يتجاوز اختصاصي، لكني سمعت حوله ظناً عرضته كاملاً
وأضفت أن ما طرحته من شكوك حول ضلوع عناصر من البلقان ليس رأيي، لكني "
نقلته عن أصدقاء في بروكسل وفي مقر حلف الأطلنطي، ثم إنني لم أطرحه كحقيقة
نهائية، وإنما طرحته كاحتمال تسانده شواهد عرضتها، ثم إنني فيما نشرت قبلت
بضلوع عناصر عربية بدور أو أدوار فيما حدث، لكني أشرت إلى غياب دليل، وإلى
غياب تحقيق يعطي للناس ولو شبه دليل يطمئنهم إزاء الطريقة التي تتصرف بها
!القوة الأمريكية
الصلة وكيف يمكن أن تكون بين عناصر من العرب وعناصر :وسألني محدثي عن
من الصرب أو ـ البلقان عموماً، والطرفان بعيدان لا رابط بينهما؟
أكثر من "البوسنة"ـ أو من أسموا كذلك ـ في "المجاهدين"وذكرته بأنه كان بين
ربعهم من مصر وربعهم من السعودية والباقون من بلدان :ألفين من الشباب العرب
إلى "بالجهاد"في البوسنة فقط، ولكنه وصل "يجاهد"عربية أخرى، وبعضهم لم
."الشيشان"ألبانيا أيضاً، وبعدهما حتى
إنه كانت هناك كتائب من قوات مسلحة عربية تعمل ضمن القوات الدولية " :وقلت
وأنني ."حفظ السلام في يوجوسلافيا السابقة"التي شاركت فيما سمي بعملية
."أعرف عن جنود من العرب تزوجوا من بلقانيات ـ وصربيات أيضاً
سبتمبر، فإن أحداً منا لا يستطيع 11أنه فيما يتصل بحادث على مستوى " :وأضفت
[!"أن يستبعد شيئاً من حسابه دون ترو، أو يدخل شيئاً في حسابه دون أساس

………………..

………………..
الأوربية، وهو "اجتماعات التشاور"وفيما يتعلق بالسؤال الثاني الذي طرحته السؤال عن اتجاهات العمل العسكري الأمريكي، وعن الهدف الاستراتيجي منه، فقد كان الجواب الذي أتاهم يعرض السياق التالي:
، يدفعها إلى الحركة "ضغط رهيب "إن الإدارة الأمريكية كانت واقعة تحت " يصل إلى أقصى درجات القسوة، "العقاب"بسرعة، وإلى الحركة نحو نوع من "تطفئ ناره"بحيث تكون مشاهد الدم والحريق ظاهرة أمام الشعب الأمريكي ، وإلا واجهت الإدارة الأمريكية أزمة يصعب تقدير عواقبها ـ لكن "تشفى غليله"و في أكثر من "مجموعات التشاور"كذلك قيل لـ "الإدارة وهذه نقطة لصالحها ـ: انتظرت وفكرت ووازنت بين خيارات وبدائل "عاصمة أوربية
رصدوا وجوده "قندهار"ـ فكروا في خطة لخطف بن لادن من منطقة جبلية في ، في محاولة إنقاذ الرهائن "1980أبريل 24"فيها، لكنهم تذكروا ما حدث الأمريكيين الذين احتجزهم الشباب الثوري الإيراني في مبنى السفارة الأمريكية في طهران.

………………..

………………..
وضعت قيادة القوات الخاصة الأمريكية خطة لإنقاذ الرهائن 1980وأيامها سنة] ، إلى جانب "صعيد مصر"من قبل طهران، وكان المطار العسكري في المنيا قيادة تنفيذ تلك الخطة التي "سلطنة عمان" "مصيرة"القاعدة الأمريكية في قد صرح "أنور السادات"وكان الرئيس ."1الصحراء رقم "عرفت باسم باستعمال الأراضي المصرية وتسهيلاتها "جيمي كارتر"الرئيس "لصديقه" العسكرية في تنفيذ هذه الخطة، وبالفعل كان المكلف بالتنفيذ وقتها هو الجنرال ومن نفس .قائد القوات الخاصة، وقد تولى من مطار المنيا توجيه العملية "بكويث" إلى الرئيس كارتر يخطره بأن العملية "ريتشارد بكويث"القاعدة بعث الجنرال فشلت، بسبب تعطل وتصادم اثنتين من طائرات الهليوكوبتر، ورد عليه الرئيس "ريتشارد بكويث"الخطة ويعود بقواته، وكذلك فعل الجنرال "يجهض"كارتر بأن الإيرانية ـ على طريق طهران ـ "يزد"مع علمه بأن قواته على الموقع قرب مدينة تركت وراءها جثث ثمانية جنود قتلوا عندما اصطدمت طائرات الهليوكوبتر ببعضها].

………………..

....
إن الذكرى المريرة لتلك :الأوربية ضمن ما قيل "مجموعات التشاور"وقيل أمام التجربة دعت الإدارة الأمريكية في الظروف المستجدة إلى استبعاد مغامرة خطف مما لا "سبتمبر 11بعد الفشل في توقع ضربة "بن لادن، لأن احتمال الفشل فيها على تحمله الآن، وهو لا يستطيع أن يفعل مثلما فعل الرئيس "بوش"يقدر الرئيس ، ويأمر بإجهاض الخطة لأن مقتضى 1980سنة "بكويت"مع الجنرال "كارتر" ذلك يفرض عليه في نفس اللحظة، تخليه عن منصبه، وإلا بدأت إجراءات عزله، لأن الفشل سوف يفتح الباب لتحقيقات مكبوتة بصعوبة ولكنها مؤجلة، وكلها تريد أن تعرف كيف جرى ما جرى؟
وأين كانت المخابرات الأمريكية وماذا فعلت بميزانيتها وهي تزيد على ثلاثين بليون !دولار؟ ثم أين كان الدفاع الجوي عن عاصمة القوة الأعظم الوحيدة في العالم؟
إن الولايات المتحدة اعتذرت :"لمجموعات التشاور"وفي ذلك الصدد قيل أيضاً لخطف "لرئيس وزراء إسرائيل عندما عرض استعداد القوات الإسرائيلية الخاصة والمعنى المقصود من العرض أن تدخل "نيابة عن الإدارة الأمريكية "بن لادن إسرائيل عضواً معترفاً به شرعياً وعلنياً في الحلف الدولي الذي تقيمه أمريكا لديه خبرة "الموساد"وقد أبدى رئيس وزراء إسرائيل أن ."للحرب ضد الإرهاب "إيخمان" "الجنرال"في هذا النوع من العمليات أشهرها خطف ومحاكمة وإعدام تحت "اليهود"- الجحيم - الذي تعرض لـ "الهولوكوست"المسئول الأول عن " ، وقد اعتذرت الإدارة الأمريكية عن هذا العرض رغم ثقة "حكم النازي أيام هتلر "قندهار"إسرائيل في فرص نجاحه، لأن لديها بالفعل وعلى الأرض وفي عمق وكان رأى الإدارة الأمريكية أن ظهور إسرائيل على المسرح في .جاهزة "عناصر" هذا الدور وفي هذا التوقيت، وحتى إذا نجحت في المهمة - سوف يسبب إحراجاً .سياسياً واستراتيجياً في العالمين العربي والإسلامي

....

....
أهم الأسباب التي "الخيار الإسرائيلي"وكان اعتذار الولايات المتحدة عن هذا] رئيس وزراء إسرائيل إلى إلغاء زيارته المقررة للولايات "آرييل شارون"دعت المتحدة واجتماعه المحدد مع الرئيس جورج بوش - في شهر أكتوبر - ذلك أن ، "عن توكيل إسرائيل بمهمة خطف بن لادن"اعتبر الاعتذار الأمريكي "شارون" دليلاً على عدم رغبة الولايات المتحدة في الاعتراف بوجود إسرائيل كطرف أصيل وكان رأى شارون أن الحقائق .في التحالف الدولي الذي يتجمع لمقاومة الإرهاب

عفت على زمن كانت واشنطن فيه تخفي شواهد علاقتها الخاصة بتل أبيب عن عيون العواصم العربية، لكن حكومته الآن مصممة على أداء دورها في العلن، وإذا لم تكن واشنطن تريد إشهار وتوثيق هذه العلاقة فذلك حقها، لكن إسرائيل لن تضع نفسها في موضع تراه أقل مما تستحق بصرف النظر عن قوة العلاقة بين البلدين.

مجرد مساعدة عدد "ثم إن شارون يضايقه أن يكون سبب الاعتذار الأمريكي هو علاقتهم بالولايات المتحدة، وتسايرهم واشنطن "ستر"من القادة العرب يريدون في ذلك بمقولة عدم إحراجهم أمام شعوبهم.]

....

....

الأوربية فقد كان الخيار والبديل الآخر الذي "اجتماعات التشاور"وطبقاً لما عرض "تكليف تحالف الشمال الأفغاني بالمهمة"فكرت فيه واشنطن، هو ، لأن ذلك التحالف المعارض لطالبان ـ والذي كان يخوض الحرب ضدها فعلاً من مواقعه التي تراجع إليها في شمال البلاد تحت قيادة أحمد شاه مسعود ـ جاهز على الأرض لديه حوافزه القوة للقتال إذا تلقى ما هو متأخر من طلبات سبق وتقدم بها ، لأن هذا التحالف "وقتها"للإدارة الأمريكية، لكن ذلك الخيار البديل استبعد ـ ولون كان قادراً على النصر لانتصر لحساب "ممزق"و "مهزوم في أعماقه" لدى "المهزوم المزق"ثم إن شعور .نفسه مع كل المساعدات التي تلقاها من قبل هذا التحالف زاد وتكرس، عندما وقع اغتيال قائده العسكري اللامع أحمد شاه سبتمبر بيومين أو ثلاثة 11سبتمبر الأخير ـ أي قبل 8وكان اغتياله يوم "مسعود، وبين العمليات ضد "مسعود"ـ مما دعا كثيرين إلى الربط بين اغتيال أسد بنشير "نيويورك وواشنطن.

ثم إن زعماء التحالف الشمالي حينما أحسوا أن هناك اتجاهاً للاعتماد عليهم، بدءوا يزايدون في طلباتهم، ويسابقون بعضهم في الانفراد بما يمكن أن تعطيه الولايات المتحدة الأمريكية لمن تعهد إليه بالعملية.

**

:الأوربية مؤداه "اجتماعات التشاور"وكان هناك خيار وبديل رابع ورد ذكره في إنه يمكن الاتفاق مع بعض، أو أحد زعماء القبائل الأفغانية، وضمنها قبائل علمتها " الحروب أن تبيع ولاءاتها ـ لكي تتولى هي خطف بن لادن، وكانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تروج لهذا الحل بعدما قالت إنها استكشفت السبل والوسائل ولكن الوكالة تقدمت تطلب اعتمادات خرافية، واستأذنت في أجل للتنفيذ .لتحقيقه غير محدود بتاريخ معين، ولم يجد الرئيس الأمريكي نفسه قادراً على الصبر، فهو

يستطيع توفير الاعتمادات العاجلة، لكنه لا يملك الوقت المفتوح وخصوصاً أن
، طلبوا الغالي وحصلوا عليه، لكنهم "زعماء أفغان"الوكالة سبق لها أن خدعته في
عند التنفيذ تملصوا، وادعوا صعوبة المهمة، وتقدموا بمطالب مالية إضافية، لعل
."فرج الله يجيء"
حتى "والشاهد ـ كذلك قيل ـ إن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تورطت
من رجالها "فريق عمل"في أفغانستان وشطحت وشردت إلى درجة أن "الركب
لدى الزعماء الأفغان، "الشذوذ الجنسي"قضى ستة شهور في وضع تقرير عن
أشارت الوكالة إلى معركة "ميداني"وكنموذج !وأهمية استخدامه في تطويعهم
"اكتشفه"كليهما بصبي "غرام"عنيفة ـ طالت شهوراً ـ بين زعيمين حول
الثاني، وانشغل مكتب وكالة المخابرات الأمريكية في "خطفه"أولهما، ثم
بهذه المعركة أسابيع حتى استطاع تهدئة الخواطر والسيطرة على "بيشاور"
.العواطف
وعلى أية حال، فإن الرئيس الأمريكي الذي يعتزم الاستغناء عن خدمات رئيس
في أول فرصة تسنح له ـ أرد فيما يظهر إبطال أية "جورج تينيت"الوكالة الحالي
تحت رقابة نائبه ديك "حجة للوكالة، فصرح لها باعتماد قدرة مليا دولار تصرفها
.، على أن تأتيه في النهاية بإسامة بن لادن حياً أو ميتاً"تشيني
.وكذلك فإن هذا الخيار الرابع وضع تحت الطلب دون عجلة
الأوربية خيار خامس جرى "اجتماعات التشاور"وكان هناك فيما قيل لعلم
أنه ليس عسيراً تكليف وحدة خاصة من المخابرات " :استبعاده بعد ساعات ومؤداه
الباكستانية لتنفيذ عملية خطف أو قتل بن لادن دون خوف أن يؤدى ذلك إلى حرج
رئيس باكستان، ذلك أنه مع معلومات متوافرة تقول إن "برفيز مشرف"للجنرال
شعب أفغانستان ـ وحتى جماهير طالبان ـ ضاق صدرهم بالمخاطر والمهالك التي
هذه "سببها وجود بن لادن على أرضهم ـ لن يمانعوا إذا خلصهم أحد من
، وإذا لم تقترب من "بن لادن وحده"ثم إنه إذا اقتصرت العملية على ."المصيبة
زعماء طالبان، فإن العملية قد تبدو خدمة باكستانية للأمة الأفغانية، وعندئذ يمكن
قبولها في باكستان، خصوصاً إذا توافقت مع حزمة مساعدات اقتصادية لإسلام آباد،
من "يرافقها ضمان بسلامة المنشآت النووية الباكستانية من ضربة مفاجئة ضدها
، لكن عرض الفكرة "الهند أو من إسرائيل مع اختلاف النوايا والمقاصد بين البلدين
إلى "برفيز مشرف"توافق مع قلاقل داخل القيادة العليا الباكستانية أضطر فيها
، وهو الرجل الذي دبر وقاد "محمد عزيز خان"إعفاء صديقه ونائبه الجنرال
الانقلاب العسكري الذي جاء به إلى الحكم ، بينما هو ما زال في طائرة معلقة به في

.الأجواء لا تعرف لنفسها مطاراً تهبط فيه
!ومباشرة ..وكذلك لم يبق بديل غير العمل العسكري الأمريكي

....

....

**

الأوربية، إعلان رئيس الوزراء توني "اجتماعات التشاور"وكان ختام مناقشات إن الولايات المتحدة الأمريكية لها حق " :بلير أمام مجلس العموم البريطاني بـ ، "أمام محكمة"العمل العسكري ضد بن لادن، وحتى إذا لم تقدم أدلة كافية لإدانته فإن عقابه إجراء عادل في أي وقت قصاصاً من أعمال سابقة، دبر لها من قبل مثل في السعودية، وتفجير المدمرة الأمريكية كول في ميناء عدن "قاعدة الخبر"تفجير .ـ وغيرها !اليمنى

....

....

وكان سماعي بذلك في جلسة مجلس العموم، داعياً إلى ما قلته بعد ذلك في حديث] ، استشهدت فيه بالمثل الصيني الذي "نقلته عنها الايفننج ستاندارد"مع الجارديان ـ "اضرب زوجتك كل يوم علقة، وإذا كنت لا تعرف لذلك سبباً، فهي تعرف"يقول مضيفاً أن تلك فيما يظهر استراتيجية الحروب الجديدة في القرن الحادي .[!والعشرين

....

....

وفي باريس كان ملخص ما توصلت إليه مجموعة من مستشاري الرئيس شيراك ، أن على فرنسا مهما كان اختلاف تصوراتها ـ السياسية "قصر الإليزيه"في والعسكرية ـ أن تقف مع الولايات المتحدة، وأن تشعرها بالمودة والتكافل، لأن ما ولو أنه لا يمثل تهديداً حيوياً للولايات المتحدة، إلا أنه يواجهها لأول مرة "حدث والرأي ."عدم الاطمئنان"بشعور لا تحب المجتمعات أن تعيش معه وهو الشعور بـ أن المجتمعات يمكنها أن تواجه تفاقم الأزمات قادرة، وأن تخوض غمار الحروب واثقة، تساندها عوامل قوتها الحقيقية، لكن الخطر ـ وإن لم يرق إلى مستوى نصف "، وذلك الشعور هو "عدم الطمأنينة"التهديد ـ أن تشعر المجتمعات بـ ."عصبية الولايات المتحدة الآن

وكان تقدير الخبراء الفرنسيين أن موقف التفهم المتعاطف يتيح لفرنسا في اللحظة .على الاندفاع الأمريكي إلى المجهول "الفرامل"المناسبة أن تضع بعض

....

....

داوننج 10وكان ذلك هو الدور الذي يقال في مقر رئاسة الوزارة البريطانية ـ]
وتقدير معاونيه أن هذا الموقف يبنى .ستريت ـ أن توني بلير يحتفظ به لنفسه
."الأضواء الساطعة للإعلام الأمريكي"لرئيس الوزراء شعبية واسعة تتكفل بها
وهذه الشعبية تستطيع أن تساعده على الدخول بالاسترليني إلى محيط العملة
، عندما يصبح اليورو وحده عملة 2002الأوربية الموحدة، وهي خطوة ملحة أوائل
كما أن هذه الشعبية أيضا ـ في تقدير معاوني توني بلير ـ يمكن .أوربا الرسمية كلها
وكل ذلك مطلوب حتى .أن تكون رصيداً مدخراً لحزب العمال في أية انتخابات قادمة
.على الاندفاع الأمريكي "الفرملة"المباشر ـ الآن ـ هو دور "بلير"وإن كان طلب
لن يستطيع أداء دور الفرملة "توني بلير"لكن الخبراء الفرنسيين ظل رأيهم أن
على الاندفاع الأمريكي، لأنه التصق أكثر من اللازم بالسياسة الأمريكية، بحيث
أصبح امتدادا لها يدور في فلكها ولا ينفصل عنها، فقد تصور أن اقترابه أكثر من
اللازم ينفع دوره، ونسى أن الحركة في مدار القوة الأمريكية سوف تستوعبه مهما
حاول، وبالتالي يصعب عليه أن ينفصل ليكون له موقف مستقل، وإذا فعل فإن
محاولة الانفصال بعد زيادة الاتصال إلى حد الالتصاق، لا تتم إلا بدرجة من الخلاف
.يستحيل عليه قبولها
.محجوز لفرنسا في اللحظة المناسبة "الفرامل"وإذن فذلك الدور

....

:الإشارة الثالثة

مناقشات عن الحرب في أفغانستان وحولها

:لندن

كان هناك سؤال طرحته على كثيرين، وفي لندن أكثر من غيرها بسبب قربها الزائد
قد "التشويح السياسي"إذا كان :مؤدى السؤال أنه .من القرار الأمريكي وموجباته
تحول في الحالة الأمريكية إلى عمل عسكري بالسلاح، فما هو شكل هذا العمل
العسكري؟ وما توصيفه؟ وما هدفه؟
وقد ضغطت على هذا السؤال أثناء غداء في بيت الصحفي البريطاني الأشهر
وهو مؤلف عدد كبير من المراجع السياسية المهمة منها " "أنتوني سامبسون"
عن :"سوق السلاح"عن شركات البترول العالمية الكبرى ـ و :"الأخوات السبعة"
عن كيف تكونت أكبر الثروات في :"لمسة آلهة الذهب"تجارة السلاح في العالم ـ و

لأن أنتوني سامبسون هو مؤرخه المختار "مانديلا"العالم ـ وأخيراً سيرة حياة
."لكتابة قصة حياته
.وكان ضيوف الغداء جميعاً صفوة من العارفين بمكامن السياسة وميادين الحرب
ولم تتوقف المناقشات من الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى الثالثة بعد الظهر،
:وخلاصة المناقشات كما تداعت
ـ إن هدف التحركات العسكرية الأمريكية الأولى ـ قبل بدء العمليات ـ هو التواجد 1
يرفع درجة "فاعل على الأرض"في قواعد الخليج والسعودية وغيرها بشكل
، لأن ما حدث في نيويورك وواشنطن يعطي ""دون إذن من أحد"الاستعداد فيها
.من أي طرف "طلب إذن"في حد ذاته شرعية تغني واشنطن عن
، ففي حال 1991- 1990وذلك حال يختلف عما كان في حرب الخليج الثانية سنة
في السعودية "وغيرها"حرب الخليج كان نزول القوات الأمريكية والبريطانية
والخليج، يحتاج إذناً من الدول المعنية ويحتاج غطاءً شرعياً عربياً عاماً يسند
الأطراف المعنية، لكن الظروف تختلف هذه المرة، فليس هناك من يستطيع أن
وفي الواقع العملي، فإن ."أن يأذن أو لا يأذن"يعترض، وليس هناك من له حق
الإذن السابق ما زال سارياً وبمقتضاه فإن التواجد العسكري الأمريكي في قواعد
شبه الجزيرة العربية ما زال فاعلاً، وكل ما استجد هو أن الحاجة تدعو الآن إلى
."حالة حرب فعلية"رفع درجة الاستعداد في هذه القواعد بما يناسب
إلى جانب مطلب رفع درجة الاستعداد في القواعد الأمريكية في السعودية والخليج ـ
فقد كانت هناك حاجة إلى انتشار أوسع في شبه الجزيرة العربية، وبحيث يكون في
مقدور هذا الانتشار أن يطال أي هدف يراد الوصول إليه، ومرة أخرى فإن هذا
الانتشار لم يكن يحتاج إلى استئذان، فالسوابق قائمة، والغضب الأمريكي لما جرى
في نيويورك وواشنطن يصيب الكل بالفزع، بحيث لا يجرؤ طرف على مجرد
.السؤال، حتى إذا خطر السؤال على باله

**

وكان التقدير في تلك الساعات، أن الانتشار ورفع درجة الاستعداد إلى مستوى حالة
الحرب، يعطى السلاح الأمريكي إمكانية التدخل وفق ما يرى صانع القرار
!الأمريكي،سواء لدواعي العمليات على المسرح الأفغاني أو أي مسرح غيره
وأثناء ذلك الوقت فإن تلك الأوضاع في حد ذاتها تحدث أثرا نفسيا يمكن أن تجيء
.نتائجه أكبر من أي تقدير
ـ إذا لم تحقق مشاهد الانتشار العسكري هدفها النفسي، وضمنه احتمال أن تقوم 2
طالبان بتسليم بن لادن توقياً لضربة عسكرية أمريكية، أو احتمال قيام بعض

الحكومات العربية التي تحتفظ بعلاقة خاصة مع طالبان بمسعى مباشر قبل أن يفوت الأوان فلا تزال هناك احتمالات لا داعي لاستبعادها.
بالتوجه "علماء المسلمين"وبالفعل فقد جرى تداول اقتراح مؤداه أن يقوم وفد من وإقناع قيادة طالبان ـ الملا عمر نفسه وإقناع إسامة بن لادن شخصياً "قندهار"إلى ـ بأن الوقت قد حان لفداء الأمة الأفغانية والإسلامية من شر مستطير بتضحية، كما همّ سيدنا إبراهيم أن يفعل بابنه إسماعيل لولا أن فداه الله بذبح "رجل واحد ، وكان لدى بعض هؤلاء العلماء بالفعل شعور بأن المعجزة قد تتكرر، لأن "عظيم بن لادن من أول لحظة يدفع ببراءته مما حدث في نيويورك وواشنطن، وإذا كان صادقاً فإن الصدق قادر على أن يثبت نفسه أمام محكمة إسلامية ودولية في الوقت نفسه، وكذلك تتحقق معجزة الفداء!.
ـ وإذا لم يتحقق شيء من ذلك كله، فإن الفعل العسكري يستطيع أن يبدأ بضربات 3 من الطيران كاسحة بصواريخ كروز وغيرها من ناقلات الدمار.
وذلك أيضاً يمكن أن يحقق الهدف نفسياً، إذا اقتنع الملا عمر وقيادة طالبان، أن الخطر جد لا هزل فيه، وأن أبواب جهنم التي انفتحت في أجواء أفغانستان ضرر عظيم، يفرض الشرع توقيه ودرأه بكل سبيل، خصوصاً إذا كان من يتعرض له لا يملك وسيلة لدفعه عن نفسه أو الرد عليه بمثله، وحينئذ يمكن تسليم بن لادن ـ سواء للولايات المتحدة الأمريكية أو لدولة إسلامية صديقة "سد الذرائع"بمنطق "ترى في الأمر رأيها".
إضافة إلى ذلك، فإن نار الجحيم الموجهة إلى الشعب الأفغاني، يمكن أن تدفعه ، خصوصاً إذا وصل الضرب إلى الطرق والجسور "طالبان"للتمرد على حكومة القليلة ومحطات الماء والكهرباء المتهالكة، ومستودعات الغذاء والموئن الشحيحة، وأيضاً إلى المزارع المملوكة لزعماء القبائل في المناطق التي لا تزال بها شواهد خضرة من شجر وثمر في الشمال والجنوب وحول العاصمة كابول.
ـ إن بدء الضرب الجوي واشتداده نافع للرأي العام الأمريكي على عدة مستويات 4 لأنه:
ـ. يريحه نفسياً ويشفي غليله
ـ. ويقنعه بأنه أخذ حقه بيده وتصرف
ـ ويشغله عن حساب المسئولية فيما جرى فوق نيويورك وواشنطن على الأقل "لأن الوطن في الميدان الآن وعلم النجوم يرفرف"بالتأجيل إلى ما بعد الحرب.
دوت زئيراً بدائياً تردد "الوطنية"وذلك بالفعل تحقق ولو للأجل القصير لأن صيحة في الولايات المتحدة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب حتى لم يعد في

ـ كضرورة للتثبت قبل الضرب "بالمراجعة"مقدور أحد أن يرفع صوته مطالباً
.وكذلك لضمان استمرار التعبئة على المدى الطويل
وكان أن الإعلام الأمريكي سمح وقبل أثقل قيود رقابية وضعت عليه إلى درجة أن
مستشار الرئيس للأمن القومي تمكنت من إقناع كل "كونداليزا رايس"السيدة
رؤساء تحرير الصحف وقنوات التليفزيون الأمريكية في الإرسال الداخلي
وبالامتناع عن نشر بيانات بن لادن وطالبان، لأنها تحوي .والخارجي على السواء
إشارات سرية موجهة إلى عملاء كامنين في الولايات المتحدة، تأمرهم بالرموز أن
!ينفذوا عمليات معينة في أوقات معينة عند سماعهم لألفاظ معينة
مستشار "الستير كامبل"بل إن الرقابة عبرت المحيط إلى بريطانيا، فإذا بمكتب
، يستدعي كبار محرري الصحف والإذاعة "توني بلير"رئيس الوزراء
لا يكونوا أدوات في يد بن لادن، يستعملهم لخططه "والتليفزيون، ويطلب إليهم أن
، لأن ما ينقلونه ويذيعونه بحماسة هو في الواقع أوامر منه "وهم لا يعرفون
"الجارديان"لأنصاره بالرموز، ومن المزعج أنه حين ارتفعت بعض الأصوات، في
شنت "التيمس"مثلاً، تطرح الأسئلة الضرورية، فإن جريدة مثل "الإندبندنت"و
!"أنبياء الشؤم"عليهم هجوماً ضارياً تحت عنوان
ـ بعد هذه الأهداف العسكرية والنفسية، فقد كان أول تقدير لما يستطيع الضرب 5
الكثيف أن يصنعه على أرض العمليات يقدر أن استهداف المواقع الموجودة وفيها
مخابئ وملاجئ بن لادن وزعماء طالبان سوف يرغمهم جميعاً على الخروج من
المخابئ والملاجئ في طلب الأمان، فإذا خرجوا إلى الفضاء المكشوف، أمكن
!أن تعثر عليهم وتنقَّض "شكل القوافل"لطائرات الاستطلاع من
قائد القيادة المركزية الأمريكية المسئولة "تومي فرانك"وكان أول أمر من الجنرال
:فلوريدا، هو "تامبا"عن العمليات من مقر قيادته في
داخلها وإما أن "نفعصهم"إن علينا أن نجعل مخابئهم تضيق عليهم، فإما أن "
علينا كذلك أن نعزل قياداتهم أن .يضطروا للخروج إلى حيث نستطيع اصطيادهم
يتصلوا للتشاور بينهم والتنسيق، وأن نقطع الاتصال بين القيادة والوحدات، وبين
الوحدات وبعضها، وأن ندمر الطرق وشبكات الاتصال حتى يتحول ميدان القتال إلى
!"جيوب محاصرة تتم تصفيتها واحداً بعد واحد
لا أحد يعرف أين " "ردع آخرين"وكان الهدف التالي المباشر للضرب الكثيف هو
هجمات انتحارية جديدة أو التفكير في محاولات أخرى من نفس :عن القيام بـ "هم؟
النوع، إذا توهموا أن الأضرار التي لحقت بالولايات المتحدة نفسياً وسياسيا
واقتصاديا كبيرة إلى درجة تبرر لهم تكرار الهجمات بقصد الابتزاز، وهو أسلوب

.مستعمل على الساحة الدولية
كفيل بأن يرد آخرين عن "الجريمة الأصلية"والمنطق هنا أن ضراوة عقاب
!ارتكاب مثلها مهما بلغت أوهام هؤلاء الآخرين
وبالطبع فقد كان للضرب الكثيف قصد نهائي هو تحقيق النصر، وهنا فإن هناك
عن معنى النصر؟ وهل يكفي لتحقيقه إسقاط نظام :أسئلة كثيرة وطرحت نفسها
طالبان وهو ممكن بل وسهل بسبب تفاوت القوة أو أسر بن لادن وقتله، وذلك وارد
بل ومحتمل في أجواء أفغانستان، وماذا عن البلد نفسه وهو من عشرات السنين
مسرح حروب خاضتها الإمبراطوريات من قبل، رغبة في السيطرة على الموقع
الحاكم في وسط جنوب آسيا؟ ثم ماذا عن الشعب الأفغاني وهو منذ أكثر من ربع
!أسئلة لا حصر لها ..قرن يعيش في مستنقع دم؟ ثم ماذا؟ وماذا
**
، فإن العمل " "أنتوني سامبسون"على مائدة "وفيما بدا مع مجرى الحوار
العسكري الأمريكي ـ بعد ابتدائه بالضرب الكثيف ـ حدد لنفسه خططاً للأجل القصير
!وبعده للأجل المتوسط، وعلى ضوء ما يجري على الأجلين يمتد البصر إلى أبعد
○ وفي الأجل القصير، فإن مقتضى الخطة يكرر ما جرى من قبل في معارك البلقان
الأخيرة في البوسنة وكوسوفو، وملخصها الاعتماد على القوات الجوية تغلق
، وتحاصر منافذه بدائرة من النار، ليست فيها غير "العدو" الطرق من حول قوات
.فتحة واحدة تدخلها قوات صديقة على الأرض تطارد وتطهر وتحتل وتحقق النصر
هدفاً للعمليات "مزار شريف"وجرى وضع المنطقة الشمالية بالفعل ومركزها
الافتتاحية، فهذه المنطقة جغرافيا وعرقيا ومصلحة واتصالا في النطاق
وبين "جمهورية أوزبكستان"يعيش ما بين "عرق إنساني"، وهو "الأوزبكي"
.شمال أفغانستان
عبد الرشيد "مثل الجنرال "أوزبكي"والظن أنه إذا ما زحف جيش يقوده جنرال
سوف تستسلم "مزار شريف"من الشمال إلى الشمال، فإن منطقة "دوستم
."وكذلك كان"راضية، ومهما فعلت طالبان
○ وفي الأجل المتوسط فإنه سواء بالقصد أو بمصادفات الظروف، بدأت في
والحرب البيولوجية التي تشن على "الإنثراكس"الولايات المتحدة حكاية جرثومة
"الحكاية"الشعب الأمريكي داخل وطنه، وكانت المبالغات الإعلامية في هذه
.متجاوزة للواقع وحتى للخيال
وشاع أن ذلك هو التمهيد لنزول قوات أمريكية برية على الأرض في أفغانستان،
يسقط فيها ضحايا وتعود جثثهم إلى وطنهم في حقائب البلاستيك، وذلك هو الموقف

الذي يكرهه الشعب الأمريكي، ويخشاه كل رئيس أمريكي ـ لكنه إذا تبدي أن أمريكا نفسها أصبحت معرضة لحرب بيولوجية داخل أرضها، إذن فإن المواجهة على الأرض بمثابة قدر مفروض لا مهرب منه أو مفر.

لكن الشائع راح يتحول إلى اتهام بأن حكايات الحرب البيولوجية جاءت تمهيداً للمرحلة المتوسطة من الحرب إذا حان وقتها، وهي تعطي للقيادة السياسية الأمريكية خيار توسيع أهداف الحرب، وفي مقدمتها: ضرب العراق.

والذي يتابع المناقشات الدائرة في دهاليز البيت الأبيض ووزارة الدفاع والكونجرس، والذي يتابع ما ينشره نجوم الإعلام الأمريكي، يلفت نظره ذلك التحريض المستميت على ضرب العراق حتى ليبدو في بعض اللحظات، كأن العراق هدف الحرب الرئيسي، في حين أن أفغانستان مجرد مسرح ثانوي يقتصر دوره على التمهيد والتهيئة.

6 في بيت "أنتوني سامبسون"ـ وكان رأى عدد من الجالسين حول مائدة الغداء، أن العمل العسكري الأمريكي له فوق أهدافه الإقليمية ـ هدف استراتيجي عالمي هو التأكيد لكل الأطراف في العالم أن الولايات المتحدة تأخذ دورها المهيمن الذي تفردت به بعد انتهاء الحرب الباردة جداً، وأنها إذا كانت "القوة الأكبر" في القرن العشرين، فإنها مصممة على أن تكون "القوة الأوحد" في القرن الواحد والعشرين.

وهذه رسالة موجهة إلى الجميع: "الأصدقاء من قبل الأعداء" إذا كان هناك أعداء على مستوى الدول".

7 ـ في ذات الوقت ـ لحق بذلك رأى يعتقد أن الولايات المتحدة تقوم ـ بتأكيد "نظرية الحرب الجديدة" وتطوير وامتحان "الحرب غير المتوازية" ضد أنواع من "التهديدات" تواجهها، أخطرها "الإرهاب" ومع أن هذه الحرب الجديدة لا تحتاج إلى "السلاح وحده، وإنما تحتاج إلى أسلحة أخرى بجواره أهمها نظام مخابرات هائل "للداخل والخارج، تشارك فيه الأطراف والقوى في العالم ـ إلا أن هذا النظام العالمي للمخابرات ـ يصعب بناؤه إلا بضغوط على الجميع ـ ولا بد أن تكون الضغوط "مبررة"، حتى إذا تم إنشاء النظام ونجح في امتحانه، أصبحت "آليته المستقلة" خارج إرادة أية دولة بعينها.

8 أضاف أحد الخبراء المشاركين في الحوار إلى ذلك قوله:-

" إن كل رئيس أمريكي يحتاج إلى حرب يثبت فيها للكل وللتاريخ أنه زعيم حقيقي على مستوى الخلود "Posterity".

وهكذا فإنه في حين أن "بوش" يحلم بأن يكون "جورج واشنطن" عائداً إلى " تونى بلير" يأمل أن يبدو وكأنه "تشرشل القرن الحادي ـ فإن "الحياة

."والعشرين
زيادة على ذلك فإن كل دولة عظمى تحتاج إلى إثبات قدرتها، كما أن كل قوة تحتاج إلى تجربة أسلحتها في ميدان حقيقي، ثم إن كل نظرية جديدة في استعمال القوة ."تحتاج إلى إثبات
ومع التسليم ـ مرة أخرى ـ بأن الولايات المتحدة الأمريكية لا تواجه تهديداً حقيقيا ـ تكون بعده أو لا تكون ـ كما كان الحال مع بريطانيا في الحرب العالمية الثانية ـ إلا أن الولايات المتحدة في حالة عصبية تجعلها تشعر بعض اللحظات بأنها أمام تهديد حقيقي.
ويمكن ملاحظة أن هناك مدرسة في التفكير ترى أن التهديد هو كل حدث يختلف عن الأمر الواقع، وكل مفاجأة تجيء على غير انتظار، أي أن الأمر الواقع المألوف والمتوقع هو داعي الطمأنينة، فإذا اختلفت الأمور وإذا وقعت مفاجآت، فالشعور أمر "سبتمبر الأخير أكثر من 11وكان ما حدث في أمريكا يوم "بالتهديد تلقائي !"مفاجأة وقعت"وأخطر من "مختلف
وذكرنا واحد من الجالسين حول مائدة الغداء والمشاركين في حوارها، أنه سمع رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للجيش "ريتشارد ماير"نقلاً عن الجنرال إن أمريكا التي انتصرت في الحرب الباردة عليها أن تجعل الوضع " :الأمريكي قوله حتى لا تنسى حقائق القوة في أوقات الصفاء "سلاماً ساخناً"الذي جاء بعدها "!والاسترخاء
"ويليام شوكروس"، وهو "أنتوني سامبسون"وسألني أحد الحاضرين حول مائدة الذي يعتبر من أبرز الخبراء المتخصصين في صراعات آسيا، عن رؤية العالم :إنها لا تختلف كثيراً عن رؤية العالم كله :، وقلت"سبتمبر 11"العربي لما جرى انبهار بجسارة المغامرة، واستنكار لعواقبها الإنسانية، وتعاطف ـ ربما لأول مرة ـ مع الولايات المتحدة، على أن السياسة الأمريكية لسوء الحظ لم تترك لهذا الشعور بالتعاطف، فرصة أن يتنامى، وإنما طردته مسرعة بصور الخراب في أفغانستان، والعذاب الذي يعانيه رجالها ونساؤها وأطفالها وبذلك غطت الصور على الصور، بمعنى أن صورة أبراج التجارة في نيويورك وهي تتهاوى تباعدت عن موقع النظر وموضع العاطفة، مع ملاحظة أن الإعلام الأمريكي في حالة نيويورك وواشنطن ركز على مشهد اقتحام الطائرات لبرجي التجارة التوأمين، ولم يركز على صور البشر، وأما في أفغانستان فلم تكن هناك ناطحات سحاب تتهاوى كأنها مشاهد أفلام سينمائية مثيرة، وإنما كانت الصور والأظهر والأكبر والأكثر تعبيراً عن المأساة الإنسانية ـ هي صور الجراح والدماء والدموع والموت قتلاً لمدنيين عزل لم يحملوا

السلاح في حياتهم، ولم يقرءوا طول عمرهم كلمة عن صراعات العقائد والدول في الأزمنة الحديثة.
يسألني عن بن لادن، وكأن رأيي دون مواربة أن بن لادن "شوكروس"ثم عاد فلا هو وجه قضايا العرب والإسلام المعاصرة، ولا هو اللسان المعبر "ليس رجلنا" عن ضمير الاثنين.
وفي الواقع فإن كثيرين بين العرب والمسلمين ساورتهم الشكوك من سنين عديدة "الإلحاد"وضد "الجهاد"حول هذا الذي يجري في باكستان باسم.
، أو يكتشفوه وإنما سمعوا باسمه "بن لادن"وثم هم في كل الأحوال لم يصنعوا
، حين وجه إلى مواقعه في جبال "بيل كلينتون"لأول مرة على لسان الرئيس
عقاباً على تفجير سفارتين "، 1998أفغانستان دفعة من صواريخ كروز صيف
"للولايات المتحدة في عاصمتين أفريقيتين.
منذ ارتفع صوت "جورج بوش"يتردد على لسان الرئيس "بن لادن"ثم عاد اسم
!سبتمبر، وهو يعلن الحرب عليه 11الرئيس الأمريكي لأول مرة مساء
، "بن لادن"ومن أيامها والإعلام الأمريكي والسياسة الأمريكية لا تنطق إلا باسم
وكأن ذلك الرجل الذي قضى صباه وشبابه مقاولا لبناء الطرق، ثم عاش ذلك النوع من الحياة التي يعيشها أقرانه من أبناء الغنى السريع في المملكة العربية السعودية، ثم حملته المصادفات إلى أفغانستان في ظروف شديدة الالتباس ـ قد حلت فيه فجأة
!وفي الوقت نفسه "ستالين"و "جنكيز خان"و "هتلر"و "هولاكو"روح
ومن أكبر الأخطاء ـ ولعله خطأ متعمد ـ أن يقع الخلط بين الاستنكار العربي للسياسة وربما ساعد .الأمريكية، وبين ترجمة هذا الاستنكار على أنه الإعجاب ببن لادن على الترويج لهذا الخطأ المتعمد، أن الأمة العربية لا تجد في هذه اللحظة قيادة
!معترفاً بها تتوافر لها المصداقية ولا فكرة جامعة لها طاقة وحيوية أن تلهم وتحرك
وهكذا فإنه إذا كان ظهور بن لادن ـ إعلامياً قد بلغ هذه الدرجة ـ فدلالته الحقيقية أن الأزمة العربية وصلت إلى القاع، لأن الرجل في جميع أحواله لا يقدر على دور
!"الشهيد"ولا يصلح لدور "البطل"
....
....
، أستشعر ما "واشنطن"و "نيويورك"زدت على ذلك أنني في كل ما جرى فوق
تعرض له الشعب الأمريكي، خصوصاً أنه جاء قاسياً ومدمرا، لكنني أعرف أنه مثل كل الأحزان الإنسانية سوف يبهت من الذاكرة الحية مع الأسابيع والشهور
وخوفي الحقيقي على شيء آخر، أخشى أنه "الآن"والسنين، لكن قلقي الكبير

سوف يظل معنا طويلاً ـ في الواقع الحي وليس في الذكريات الحزينة ـ وأعني بذلك بحق، وكانت "قرن الطيران"فقد كان القرن العشرون .ذاتها "فكرة الطيران" التي ربطت الدنيا هي نجم العصر ومحركه ودافعه ووسيلته للتقريب ما "الطائرة" ، لأن الفكرة "فكرة الطيران"بين القارات والأمم والثقافات، وخشيتي الآن هي على .تعرضت لعدوان صارخ يتعدى ما تعرضت له نيويورك وواشنطن ويتعداه بكثير

"غير عرب"و "عربا"أنه حدث من قبل أن "ولا أوافق"أضفت أنني أعرف خطفوا طائرات، واحتجزوا من ركابها رهائن في مقابل طلبات أعلنوها، وكان ذلك .خطراً على الطيران، لكن الخطر كان محصوراً

وأما هذه المرة، فإن أربع طائرات فيها مئات من الركاب وقع خطفها، ثم قرر الخاطفون تحويلها بما فيها الركاب من البشر ـ رجالاً ونساءً وأطفالاً ـ إلى قذائف بمعنى أن الخطب واحتجاز الرهائن وتقديم .من النار، وهنا فإن الخطر غير محصور الطلبات كان خطرا على الطائرات، وأما الذي جرى فوق نيويورك وواشنطن، فقد .أصاب فكرة الطيران في القلب

شخصاً "الإرهاب"جاوز فلسفته التي يتعلل بها، فلم يعد "الإرهاب"وعندها فإن تضحي بحياة "جريمة"مستعداً للتضحية بحياته فداءً لمعتقداته، وإنما أصبح !أخرين لا شأن لهم بمعتقداته ولا بحياته

:الإشارة الرابعة
الأصول والفروع :مسألة الإرهاب
:أوكسفورد
لكننا في هذا الموضع عند ضرورة تستحق إشارة مستقلة بذاتها، وأعني بذلك
إلى درجة زاد فيها "الإرهاب"، والحقيقة أن الكلام كثير عن "الإرهاب"مسألة
وقد وقع في زمن الحرب .بأكثر مما يحتمل معناه "المصطلح"الخلط حتى تحمل
الباردة وبعدها، أن أساليب تلك الحرب أمسكت بالكثير من المعاني وعبأتها بمقاصد
ثم حولتها إلى قذائف يعاد صهرها بعد كل استعمال، "النحاة"لم تخطر على بال
لتتشكل بالسبك من جديد ويعاد استعمالها، حتى فقد اللفظ في النهاية صلته بالمعنى
.الأول الذي جرى صكه للتعبير عن دلالته
**
الذي يعتبرونه أهم (الإرهاب) :وفي السنوات الأخيرة، فإن ذلك حدث لتعبير
.الجديدة للصراع على المستويات المحلية والإقليمية والدولية "الإشكال"
مايكل "وربما قلت هنا ـ ودون مقدمات ـ إنني من المعجبين باجتهادات السير
في جامعة .وما يتصل به من استعمالات القوة "الصراع"أستاذ علم "هوارد
أوكسفورد، وقد وجدتني زائراً لمكتبه عدة مرات، أسأله وأصغى إليه، وأنقل بصري
من حيث يجلس واثقاً على مقعده، إلى المنظر الذي تطل عليه غرفة مكتبه، وهو
الساحة الداخلية المفروشة بالعشب الأخضر، تحيط بها مساكن الطلبة القدامى في
الجامعة العريقة، وهذه الساحة تبدو من نافذة مكتبه مهيبة بأعمدتها وعقودها من

الطراز القوطي ـ بينما المساكن المحيطة تتمدد حول مربع واسع، وفي وسط كل عقد من عقودها، يظهر بين الأعمدة باب قديم لمسكن عتيق عاش فيه طلاب العلم قرناً بعد قرن، وأضافوا به إلى المعرفة الإنسانية طبقة فوق طبقة ـ وصنعوا به ما صنعوه من قيمة لجامعة أوكسفورد، ودورها في بناء الإمبراطورية البريطانية، وما بعدها.

لديه اجتهاد في "مايكل هوارد"وضمن منهجه في شرح علم الصراع فإن السير توصيف الإرهاب يختلف عن النداء الذي يتردد بين وقت وآخر في بعض العواصم العربية باقتراح مؤتمر عالمي على مستوى القمة لبحث قضية الإرهاب كما يختلف أنه لا يصح أن يوصف بالإرهاب، :عما يتردد في عواصم عربية أخرى بما يعني نضال الفلسطينيين من أجل استعادة حقوقهم في وطنهم."

....

....

والواقع أنه بالنسبة لفكرة مؤتمر عالمي لبحث قضية الإرهاب، فإن الموضوع فات] إلى البيت "رونالد ريجان"أوانه، لأنه قبل عشرين سنة وأكثر دخل الرئيس الأبيض على أساس برنامج، تحتل قضية الإرهاب رأس أولوياته، وبالفعل فإن بعد أن أصبح رئيساً للولايات المتحدة أنشأ لجنة علياً يشرف "رونالد ريجان" وكان تكليف اللجنة هو قضية الإرهاب، ثم إن "الأب" "جورج بوش"عليها نائبه انتهت إلى توصيات وقرارات تم اعتمادها، وبالتوازي "1981سنة "هذه اللجنة "بيريز دي كويلار"مع ذلك قامت الأمم المتحدة على عهد أمينها العام الأسبق بإحالة موضوع الإرهاب إلى اللجنة السياسية التي خصصت لها مجموعة دولية رفيعة المستوى توصلت إلى صياغة نصوص لحزمة اتفاقيات دولية معروضة الآن أمام مجلس الأمن لإقرارها واعتمادها بواسطة مجتمع الدول.

يضاف إلى ذلك إن فكرة مؤتمر دولي للإرهاب طرحت نفسها مرات، وانعقدت بالفعل ، "1996مارس سنة "في مصر "شرم الشيخ"لهذا الغرض قمة دولية التأمت في ومن سوء الحظ أنه تبين فيما بعد أن تلك القمة قصد منها إنقاذ الفرص الإنتخابية لـ "حمامة السلام"حتى تتأكد له رئاسة الوزارة في إسرائيل، لأنه "شيمون بيريز" المرجوة والمهددة بمخالب الصقور المتشددين من كتلة الليكود وغيرها، لكن القمة "بنيامين نتانياهو"ونجح "بيريز"فشلت في تحقيق غرضها، وسقط."

وأما بالنسبة لما يتردد من أنه لا يصح اعتبار نضال الفلسطينيين من أجل استعادة حقوقهم في وطنهم إرهابا ـ فإن أي توصيف للإرهاب لا يجب حصره في قضية فلسطين أو اقتصاره عليها أو تمييزها به، وإلا أصبح ما يسمونه بالإرهاب حكراً

[.على قضايا العرب وحدها
....
....
المهم هنا أن ما يذهب إليه مايكل هوارد ـ أستاذ علوم الصراع في جامعة أوكسفورد
ثم إنه يقوله "علم"ـ أبعد وأعمق، والأهم فيه أن الرجل يطرح ما عنده مستنداً إلى
ثم إن الرجل لم "واعياً بالتوقيت السياسي الذي يتكلم في إطاره، مدركا لمحاذيره
يتحدث به فقط في مجلس خاص، وإنما ـ وكما عرفت بعد عودتي إلى القاهرة ـ فقد
تحدث عنه في اجتماع مغلق في كلية الدفاع العليا التابعة لهيئة أركان الحرب
لا يستحق الاحترام "مايكل هوارد"وبالتالي فإن رأى السير "البريطانية في لندن
فقط لأنه يصدر عن خبير، وإنما استحقاقه للاحترام يتأتى أيضاً من أن العلم قادر
.على احترام نفسه والترفع على هوى السياسة
.وكذلك رحت أصغي لما يقوله أستاذ أوكسفورد العتيد
بملاحظة ملخصها، أنه قرأ تعليقا عن حوادث اقتحام "مايكل هوارد"بدأ السير
، وهو يرى أن ذلك "كان جباناً"العمارات بالطائرات، جاء فيه وصف العمل بأنه
، ولو "فما حدث يصعب أن يكون فاعله جبانا"الوصف أبعد ما يكون عن الحقيقة،
."بأنه مجنون، لوافق على الوصف"أن التعليق وصف الفاعل
!"الجنون"وإنما قام به "الجبن"سبتمبر لم يقم به 11أي أن ما جرى يوم
إن الجنون يمكن أن يكون من أعمال الإرهاب، " :"مايكل هوارد"ثم يقول السير
."الإرهاب"وهنا فإنه لا بد من توصيف
بالمعنى العادي "جريمة"ليس "الإرهاب"أن "مايكل هوارد"ورأى السير
بين الجاني والمجني عليه، كما أنه "شخصية"للجريمة، لأنه لا توجد علاقة معرفة
فعل "بين فاعل الإرهاب وضحيته، وعليه فإن الإرهاب "مباشرة"لا توجد مصلحة
.وهنا اختلافه عن الجريمة "فعلاً خاصاً"وليس "عام
، "تلك أمثلته"لم ينشأ الآن فقط مع نشاط الفلسطينيين أو الأيرلنديين "الإرهاب"و
بشكل واضح في القرن "سياسية"وإنما نشأ من زمن طويل، ثم أصبح ظاهرة
، لجأت "A sort of Revolution"الماضي، حين أصبح نوعاً من أنواع الثورة
إليه شعوب أو جماعات مقهورة ـ كانت الحرب مستحيلة عليها بسبب ضعف
وسائلها، وكانت الثورة غير ممكنة لها بسبب جبروت حكامها، والنتيجة أن هذه
لم تجد أمامها غيرها، وقد لجأت "أعمال يأس"الشعوب والجماعات أقدمت على
إليها قابلة بدفع ثمنها وهو حياة منفذيها في كل المرات وأمن تنظيماتهم في
."بعضها

وكذلك فإن الروس مارسوا الإرهاب ضد الدولة القيصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.
والأرمن مارسوا "الإرهاب" ضد الدولة العثمانية بعد ذلك.
والمصريون والأيرلنديون والهنود مارسوا "الإرهاب ضد الإمبراطورية البريطانية في النصف الأول من القرن العشرين.
واليهود مارسوا الإرهاب ضد الإنجليز. والفلسطينيون مارسوا الإرهاب ضد إسرائيل.
يستطرد السير مايكل هوارد:
" ليس الموضوع أنني أوافق أو لا أوافق على ما فعله هؤلاء الناس في سبيل ما تصوروا - من وجهة نظرهم - أنه المتاح أمامهم للتعبير عن مطالب اجتماعية أو سياسية أو وطنية، ومهما كانت تكاليفها عليهم وعلى غيرهم. وإنما الموضوع أن نحاول فهم ما يقصده هؤلاء الناس بأفعالهم:
- هؤلاء الناس أو لا يريدون الإعلان عن أنفسهم أو عن قضايا يريدون إشهارها بقوة الفعل الذي أقدموا عليه.
- وهم ثانياً يريدون تأكيد تصميمهم على القتال في سبيل ما يريدون مهما كانت التضحية.
- وهم ثالثاً وبعنف الفعل يظنون أنهم يوجهون إلى الخصم القوى ضربة الخصم الضعيف تأتيه مفاجأة على غير توقع وتجعله يعيش بعد ذلك رهينة لوساوس القلق!
- وهم رابعاً - وهذه هي النقطة الأهم - يقصدون إلى دفع الطرف الآخر "دولة أو نظام" إلى اتخاذ إجراءات قمع قاسية واسعة النطاق تثير جماهير شعوبهم ضدهم لأن إجراءات القمع والقسوة تضغط على ضمائر جماهير هذه الشعوب!
يستطرد السير "مايكل هوارد":
في المحصلة فإن الإرهاب معركة تقصد إلى إعلان التحدي لوضع قائم عن طريق استفزازه، بحيث يندفع هذا الوضع القائم بكل سلطته للضرب والقمع إلى ما لا نهاية، وتكون زيادة عنف السلطة مؤدية في العادة إلى النفور منها، وحينئذ يشعر "الإرهابي" القائم بالعمل أنه حقق غرضه، لأن الناس تعاطفوا معه، حتى وإن لم يتعاطفوا مع قضيته.
....
....
[رأي لي بدا "مايكل هوارد" معقولاً، وبدا لي أن ما نراه الآن تصديق عليه، فليس هناك - كما أظن - تعاطف "عام - مع طالبان أو مع "إسلامي" أو "عربي" أسامة

بحملة من الكراهية أولاً دون دليل ـ :، لكنني أظن أن قوة العنف الأمريكي"بن لادن ثم بالسلاح ـ بعدها ـ دون مشروعية ـ ثم بالضرب فوراً ـ دون تمييز ـ خلقت ردة فعل مناهضة ـ على نحو ما ـ للولايات المتحدة، متعاطفة ـ على نحو ما ـ مع شعب !أفغانستان، ثم تداخلت الصور فوق الأرض المخضبة بالدم

ومع أنه لا يصح لأحد أن يخالجه شك في أن القوة الأمريكية قادرة على أن تهدم كل حائط في أفغانستان، وأن تحرق كل كهف في جبالها، وأن تمزق حركة طالبان إرباً، لسوء الحظ فاز في المعركة "الإرهاب"وأن تأسر بن لادن في النهاية أو تقتله فإن :"مايكل هوارد"وفقاً لمقاييس السير

فهو قد أعلن عن نفسه ـ وأكد تصميمه ـ :ذلك أن الإرهاب حقق أهدافه المطلوبة ، "!إذا كان حقاً أنه هو الذي وجهها ـ أو هو وحده"ووجه ضربة بالمفاجأة والنتيجة أن الولايات المتحدة وقعت في فخ الاستفزاز واستعملت عنف القوة بأكثر .مما هو لازم

.[قد يصبح بطلاً بالرغم عنه، وشهيداً بمحض مصادفة "بن لادن"وكذلك فإن

……………….

……………….

وربما أضفت إلى كلام السير مايكل هوارد أنه إذا كان الإرهاب ثورة اليأس ضد] القوة، فإن عصر العولمة نقل الظاهرة من حدود الأوطان إلى اتساع القارات، بحيث يمكن القول بأن معظم أزمات زمننا الراهن وعقده الفكرية والنفسية، وكذلك معظم حركات التمرد فيه والعصيان،هي بمثابة نوع من الحرب أو نوع من الثورة يقوم .[بها قاع العالم ضد قمته

……………….

……………….

يفوز عندما ينجح في دفع الأقوياء إلى "الإرهاب"خطر لي أيضاً أنه إذا كان] الاستفزاز، ويكون ردهم عليه بأقصى درجات العنف ـ فإن الإرهاب يخسر إذا استطاعت القوة أن تضبط أعصابها وتواجه الاستفزاز بحكمة العقل متمثلة في حكم مشهور في التجربة الأمريكية نفسها، حين أقدم "حكمة العقل"القانون، ونموذج وهو يميني مجنون على نسف عمارة ضخمة في مدينة "تيموثي ماكفي" !، ضاع فيها من أرواح الأمريكيين أكثر مما ضاع في حرب الخليج"أوكلاهوما" ثبتت عليه التهمة "ما كفى"ففي حالة أوكلاهوما جرى تجنب الاستفزاز، ورغم أن الذي لم يثبت عليه شيء ولم يعترف ـ فإن "بن لادن"واعترف ـ على عكس حياته ثمناً لفعلته "ما كفى"المحاكمة استمرت خمس سنوات كاملة، حتى دفع

الإرهابية، ومد يده أولاً لحقنة مخدرة تهدئ أعصابه، وبعدها لحقنة ثانية حملته إلى الموت بالسم المميت!
، هزم الإرهاب "ما كفى"والظن أن الشعب الأمريكي حين رفض الاستفزاز في حالة أي أن المجتمع .الداخلي الأمريكي، لأنه حجب عن الإرهاب مطلبه الأساسي الأمريكي قبل التحدي ورفض الاستفزاز، ولم يندفع إلى عنف القوة، وإنما أخذ بيده أي القانون :حكمة القوة.
في حين أن .وفي المحصلة، فإن حكم القانون يقدر على تحجيم الإرهاب وحصره ، "بالفعل"ملتبساً "النموذج"عنف القوة يخلط ما بين الإرهاب وقضيته، ويجعل ومن ثم يصبح الإرهاب والإرهابي تياراً يجدد نفسه وفعله زماناً بعد زمان وصفاً بعد صف.

الإشارة الخامسة:

أنواعه ودرجاته :التحالف الدولي الجديد

روما:

من العالم العربي لا تظهر صورة التحالف الدولي الذي يخوض الحرب الجديدة جلية أو محددة، لكن الصورة تختلف إذا وقع النظر إليها من إحدى العواصم الأوربية المطلعة، خصوصاً تلك التي تعرف دورها بذكاء وتتصرف إزاءه بحذر، وذلك هو ، ولعله تأثير قراءة ودراسة أستاذ علوم "روما"الحال في العاصمة الإيطالية ."نيكولو ماكيافيللي"السياسة الأكبر
والحاصل أن صورة التحالف الدولي الجديد ظهرت ـ من العالم العربي ـ مهزوزة ومشوشة، لأن الخطوط والمساحات لم تتطابق في الواقع مع ما تهيأت له التوقعات،وكان الذي جرى ـ لبعض الأطراف ـ أن مجرد الكلام عن تحالف دولي ، استدعى إلى ذاكرتهم تحالفاً دولياً سبقه إلى إدارة 2001جديد في أفغانستان سنة ."1991"الحرب في الخليج قبل عشر سنوات
.لا يكرر نفسه ولا تتدفق أمواجه في ذات المجري مرتين "مرة أخرى"لكن التاريخ
ـ تحالفاً غربياً عربياً 1991وكان التحالف الدولي الذي خاض حرب الخليج سنة ○ الغربي والعربي ـ أو :بالدرجة الأولى، وكانت العلاقة التي ربطت الطرفين فيه الأمريكي والعربي بالتحديد ـ علاقة متوازنة على نحو معين، وفي حين أن الطرف الغربي ـ بحكم الحقائق ـ كان يملك وسائل القوة، فإن الطرف العربي ـ بحكم الظروف ـ كان يملك غطاء المشروعية وخصوصاً أن مطالب الحرب اقتضت نزول قوات أمريكية على نطاق واسع ومكشوف فوق أرض يعتبرها المسلمون مقدسة، وكانت الأسرة الحاكمة في السعودية هي التي طلبت الغطاء العربي الإسلامي حتى تتحمل

بنزول قوات أجنبية على ثرى هذه الأرض المقدسة، وكان الغطاء المطلوب مصريا ـ سورياً وزيادة على ذلك عربيا وإسلامياً بأوسع ما هو ممكن. وبه وذلك تحقق توازنت عناصر القوة مع مطالب المشروعية وبدا أن هناك نوعا من التكافؤ بين الطرفين، وكذلك نوعاً من التوافق، ظهر تأثيرهما على قرار وقف العمليات البرية ضد العراق، والداعي أن بعض الأطراف العربية المشاركة في الحرب وجدت أنه وقد تم إخراج القوات العراقية من الكويت، فإنها لم تعد راغبة ولا قادرة على تحمل الضغوط الشعبية وإلا بان وانكشف أمام الكل أن الهدف هو تدمير العراق وليس تحرير الكويت.

**

"كولين باول" الأب اتصل أيامها بالجنرال "جورج بوش" وبالفعل فإن الرئيس "باول" رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة يستطلع رأيه، وكان رأي ورأى غيره "القتال يمكن أن يتوقف الآن" من أقطاب الإدارة أن ، وذلك ما حصل ـ وإن تكشف بعده أن القتال توقف لكن الحرب على العراق استمرت بوسائل إخرى تعمل على تدمير البلد وشعبه بغير أن تسبب حرجاً يحسب على أطراف التحالف من العرب ـ ثم كان أن الولايات المتحدة قدمت أو ساعدت على تقديم بعض المكافآت إلى هذه الأطراف العربية، لكنها أحالت بقية الحساب يصفيه العرب بينهم وبين بعضهم، وهنا ظهرت الفكرة "التعيسة" لما سمي بـ "ميثاق دمشق": والقصد منه أن يدفع "الخليج ـ بقية "فاتورة المشروعية" التي وفرتها الأطراف العربية للقوة الأمريكية وكأن الميثاق تجارة في الحماية!

ولسوء الحظ ـ هذه المرة ـ فإن بعض العواصم العربية عندما سمعت كلمة "التحالف" تتردد مرة أخرى بعد أكثر من عشر سنوات، قاست اللاحق على السابق.

ولم يكن القياس سليماً وكذلك لم تتطابق الخطوط والمساحات بين المنتظر والمتحقق، والنتيجة أن الصورة الجديدة بدت للناظرين إليها من بعض العرب مستغربة، وربما أن ذلك هو الذي أوجد أسباباً لسوء الفهم في المرحلة الأولى من حرب أفغانستان، وأوقع مظاهر للارتباك في التصرفات ما زالت بقاياها محسوسة إلى الآن.

وفي الغالب أنه غاب عن بعض الأطراف العربية وهي تتابع المجرى الجديد للحوادث، أن التيار هذه المرة مختلف، بل إن حساب جميع العناصر هذه المرة بعيد عن حساب المرة السابقة:

- لأن الولايات المتحدة موجودة بالفعل حيث "فليس هناك إذن مطلوب من أحد

."يهمها
لأن ما جرى في نيويورك "وليست هناك مشروعية يستطيع طرف أن يمنحها ○
."وواشنطن يعطي للقوة الأمريكية حق أن ترد بالعقاب دون أن يعترض أحد
وإذن "وبالتالي فإن الإذن غير مطلوب عربياً والمشروعية هذه المرة أمريكية ○
."فليست هناك مساواة بين الأطراف
وبالتالي ليست هناك فوائد يحصل عليها أحد ـ بل العكس فهناك ضرائب مستحقة ○
يمكن "تراض"وهذه الضرائب تدفع حين تطلب ـ وليس هناك " على الجميع
!"التوصل إليه بين الممول وبين المحصل
!التحالف الدولي الجديد ـ هذه المرة ـ ومفاتيحه "مداخل"وتأنت تلك
وفي روما وفي غيرها من العواصم الأوربية شمال البحر الأبيض تبين صورة
وفي هذه الصورة .التحالف الدولية الجديد دون تناقض بين الخطوط والمساحات
.تظهر معالم رئيسية يستحسن فهمها وإلا استمر خطأ الحساب وتراكمت عواقبه
وأهم ما يتكشف بمطالعة الصورة من الموقع الأوربي أنه ليس هناك تحالف واحد،
:وإنما هناك جملة تحالفات، ثم إن التحالفات أصناف
.فهناك تحالف دول ـ وهناك تحالف مهام وهناك تحالف توقيت ○
**
يترتب على ذلك أن داخل كل نوع من هذه الأنواع من التحالف درجات واحدة بعد
.الأخرى
بريطانيا وحدها، والذي وضع :ففي الدرجة الأولى ـ من تحالف الدول ـ توجد ○
بريطانيا في هذه الدرجة بمفردها هو إحساسها برباط المصلحة، وإيمانها بالعلاقة
التي تربط مجتمع الناطقين باللغة الإنجليزية مما يجعل هذه العلاقة شراكة قوة
أنه حين يعطي للولايات "توني بلير"ونفوذ ، وكان ظن رئيس وزراء بريطانيا
المتحدة بغير شروط، فإن الولايات المتحدة سوف تعطي بريطانيا بغير حدود،
.خصوصاً في الوزن السياسي
وفي الدرجة الثانية من تحالف الدول توجد روسيا والصين، وتلك حقيقة أوضاع ○
دولية تفرض على الولايات المتحدة وعلى روسيا والصين أن يكون بينها حجم من
ذلك أنه حين تقدم قوة ـ عظمى ـ حتى .التفاهم يكفي ليصنع أرضية مأمونة للحركة
ولو كانت القوة الأمريكية ـ على العمل المسلح بالقرب من حدود أو تخوم قوة ـ
عظمى ـ ثانية، فإن كل نقطة يجب أن تكون في مكانها، لأن الأوضاع لا تحتمل أن
يدوس طرف على قدم طرف آخر، أي أن أي عمل أمريكي مسلح في أفغانستان لا بد
.له من رضا روسي وصيني حتى ولو كان الرضا بالسكوت

ثم إن روسيا كانت متشوقة لتحصيل ديون قديمة وجديدة، بينها أن لها ثأراً مع
، فكلاهما اعتبر "ثوار طالبان المحدثين"ومع "المجاهدين الأفغان القدامى"
واجباً مقدساً، يجاهد في سبيله "روسيا"الحرب مع الاتحاد السوفيتي السابق
، والآن وقد وقعت الواقعة "بتوجيه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وتمويلها"
، وبين السياسة الأمريكية، فإن روسيا يسعدها "قديماً وحديثا" "المجاهدين"بين
!أن تحل لحظة الحساب، وأن يكون عقاب الأفغان بسلاح الأمريكان
يهمها أن تفهم الجمهوريات السوفيتية السابقة في "روسيا"- إلى جانب ذلك فإن
أن مسارعتها إلى "أوزبكستان - وتركمنستان - وطاجكستان وغيرها"الجنوب
بمقولة أن لهذه الجمهوريات "روسيا"إعلان الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي
هوية - إسلامية - خاصة - تجذبها دائماً نحو الجنوب - مغامرة ثبت فشلها ، والآن
"مع روسيا"لعل هذه الجمهوريات تتعلم وتفهم أن مستقبلها الحقيقي في الشمال
."!مع وسط آسيا المحاصر بالتخلف وبالجيوش الغازية أيضاً"وليس في الجنوب
- وأخيراً فإن روسيا ترى أن الضرب في أفغانستان رسالة للتمرد في الشيشان، وهو
- العرب والمسلمين !"المجاهدين"تمرد تسللت إليه وما زالت تتسلل - عناصر من
.تطوعوا للقتال في معركة لا يعرفون دخائلها على أرض لا يعرفون معالمها
وكذلك أصبحت روسيا - بقدر من الشراكة قابل للاتساع - حليفاً لأمريكا شرطه
بشأن موارد وسط "الرئيسي أن لا يتم في المستقبل إجراء سياسي أو اقتصادي
.، إلا بعد التشاور معه والاتفاق"آسيا من النفط وغيره

○ فهي لا تريد أن تترك أمريكا لروسيا :وبالنسبة للصين كانت المصلحة واضحة
وحدها - ولا تريد تسوية أمور تسوية وسط آسيا في غيبتها، ولا تريد للهند أن
تصبح القوة الغالبة في شبه القارة الهندية، إذا سقطت باكستان في بحور الفوضى
عرقية - دينية - ثقافية - "بسبب ضغوط العمليات العسكرية على التركيبة الباكستانية
."سياسية - واقتصادية
إسلامي موجه "جهادي"- مضافاً إلى ذلك، فإن الصين كانت في دهشة من نشاط
وهي على السفح الآخر من جبال الهملايا، "جيانج جانج"من أفغانستان إلى منطقة
وفيها قرابة مائة مليون مسلم في المقاطعات الغربية للصين - لديهم مشكلات
لهم "المجاهدون"، ويريد "بكين"اجتماعية واقتصادية مع الحكومة المركزية في
!"طالبان"نظاماً إسلامياً على طريقة

○ في الدرجة الثالثة من تحالف الدول تجيء باكستان ومجموعة دول الخليج،
وأهمية هذه الدول ترجع إلى أن أراضيها هي ذاتها القواعد التي تشن منها الحرب،
وكان يمكن أن تكون هذه المجموعة من الدول في مكان الدرجة الأولى، لكن

القدرة "، ولكن على أساس "الحاجة عند الاستعمال"الدرجات لا تقاس على أساس ."الذاتية للأطراف في المنح وفي المنع
ـ ذلك أن باكستان ولو أنها المسرح المتقدم في قيادة وتوجيه العمليات، وقاعدة ارتكازها الضرورية ـ إلا أنها جاءت إلى دورها مجبرة، ممزقة بين مشاعر أهلها :سلامة النظام الحاكم ـ وثانيها :وبين ضرورات أمنها الوطني وهي كثيرة، وأولها وهي حتى الآن إمكانية وليدة معرضة :المحافظة على الإمكانية النووية لباكستان وتلك أخطر مراحل أي مشروع نووي إذ "للإجهاض أكثر مما هي قادرة على الردع تكون أعباؤه وتكاليفه قد دفعت لكن قدرته على الردع لم تكتمل بعد، وبالتالي يصبح ."المشروع في هذه الفترة من عمره نقطة ضعف أكثر منه عامل قوة
ـ ونفس الحساب إلى حد ما ينطبق على مجموعة الخليج، ذلك أن القوات الأمريكية موجودة على الأرض، والقواعد على هذه الأرض تعمل، وليس هناك من يستطيع أن يعترض، وإذا اعترض بالكلام، فحرية العمل لا تحجر عليها الكلمات ما دام فعل .الاعتراض معطلا ـ بالعجز على الأقل

....

....

وفي هذا المجال ظهر أن هناك فعلاً واحدا يقتضي إذنا، لأنه طلب يوفر لوكالة] تتيح لها مراقبة "وتسهيلات خاصة" "إمكانيات"المخابرات المركزية الأمريكية ـ .موسم الحج هذا العام
أن عدداً من القادة غير "!هكذا قالت"ذلك أن الوكالة عرفت من مصادرها الظاهرين للإرهاب وأعواناً لهم من مختلف المراكز تواعدوا على لقاء في مواقع الحج ووسط مناسكه ليبحثوا سياساتهم وخططهم في المرحلة القادمة، ووكالة المخابرات المركزية تظن أن تلك فرصة لا يصح أن تفوت عليها لترصد وتتابع وخصوصاً أن زعماء الإرهاب ومساعديهم سوف يخلعون ستائر الحذر عندما يخلعون ملابسهم ويستبدلونها بملابس الإحرام، وهنا يمكن التقاطهم جماعة [والواضح أن واشنطن طلبت، لكنه ليس واضحاً ـ بعد ـ أي رد تلقَّتْ .وبالجملة

....

....

إلى جانب ذلك فإن مجموعة الخليج في وسعها أن تدفع بعض التكاليف، وسوف تدفع رغم الأزمة الاقتصادية الناشئة عن انخفاض أسعار البترول من قبل الحرب .وبعدها
وأخيراً بصدد تحالف الدول فإن البقية بعد ذلك حبات عقد لا ينتظمها حبل، ولكن كل

!واحدة منها يجري التقاطها حين يجيء دورها

**

هناك بعد ذلك تحالف المهام، والمهام بالطبيعة موكلة بدول، لكن المقصود في هذا السياق أن التحالف مع هذه الدول يجيء في إطار عمل محدد في مرحلة محددة من هذه المواجهة الدائرة الآن، وحتى إذا كانت علاقة الولايات المتحدة السابقة بهذه "هذه الدول"الدول ببعضها علاقة أوسع من المواجهة الحالية، فإن التحالف مع .هو في هذه اللحظة مهام مطلوبة ـ هنا والآن

ولعل ذلك ما عبر عنه وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد حين قام بتحديد وبين تحالف حرف أفغانستان، وكذلك 1991الفوارق بين تحالف حرب الخليج سنة :قال رامسفيلد

، "مهام الحرب"هم الذين يحددون "أطراف التحالف"في المرة الماضية كان " □

!" "أطراف التحالف"هي التي تحدد "مهام الحرب"وأما هذه المرة فإن

، وتركيا "تركيا"فإن الدولة التي تتصدر القائمة هي "تحالف المهام"وفي □

:تمارس المهام الموكولة إليها الآن فعلاً على ساحة الأزمة

ـ وفيها أن تركيا قريبة من وسط آسيا، كما أن لها صلات وثيقة مع أفغانستان، أهمها القرب الجغرافي وأظهرها تأثر محاولة الإصلاح الأفغاني في العصر الحديث "أمان الله خان"، إلى درجة أن أحد ملوك أفغانستان وهو "كمال أتاتورك"بحركة جرب في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات، تقليد أتاتورك في فرض لبس القبعة على الرءوس بدلاً من العمامة، لكن التجربة كانت متجاوزة للحقائق الأفغانية .وأولها الحقيقة الثقافية

يلي ذلك أن تركيا قاعدة عسكرية قريبة من الجوار، وأن هيئة أركان حرب الجيش التركي تعتبر أن أفغانستان واقعة في نطاق الأمن الإقليمي التركي، ومع جوار تركمانستان وطاجكستان "أفغانستان لجمهوريات جنوب الاتحاد السوفيتي السابق وهي في الطموح التركي منطقة نفوذ يتعين "و أوزباكستان وحتى كازاخستان حجزها لها ـ فإن تركيا ترى لنفسها دوراً ومجالاً، وبالفعل فإن تركيا تحركت في هذا ولسوء الحظ "الاتجاه عقب سقوط الاتحاد السوفيتي ثم واصلت الحركة حتى الآن، !"بتعاون وتنسيق ـ في معظم الأحيان ـ مع إسرائيل

ـ هناك أيضاً أن تركيا لديها تجربة في محاولات إقامة دول تنفك من رباط دول قديمة بدعاوى عرقية ودينية، ومن ذلك فقد تمكن القادة العسكريون من الأتراك من إقناع الأمريكي بأن تجربتهم في ضرب وحصر حزب العمال الكردستاني تصلح "حليفهم" عبد الله "درساً يستحق النظر والاعتبار، وقد وجدوا أوجه شبه بين الرفيق

الطالباني، وكذلك فإن هناك الآن مع القوات "محمد عمر"الكردي والملا "أوجلان الأمريكية العاملة ضد قوات تحالف الشمال الأفغاني وحدات تركية تقدم الخبرة في !التدريب وتشارك عملياً على الأرض

أو في الحقيقة حلمان آن لهما أن "نائم"والمطلب مقابل ذلك أن تركيا لديها حلم :يستيقظا

بأن قضاء الاسكندرونة "ضغوط ما"أن تعترف سوريا تحت "حلم" :- أولهما - قد أصبح شرعياً ونهائياً "الذي تنازلت عنه فرنسا لتركيا أيام الإمبراطورية" .ولاية تركية

التي تأمل تركيا في سلخها عن العراق العربي لكي "الموصل"حلم ولاية :- والثاني تصبح - هي الأخرى - ولاية تركية، لأن أنقرة ما زالت تتهم الحكومة البريطانية بالعمل على ضم الموصل إلى العراق الخاضع لها ساعة تصفية دولة الخلافة وتشير تلك الدعاوى التركية إلى أنه كان هناك بند في الميزانية .العثمانية تلك الأيام ظل مطبوعاً في كل مشروع ميزانية حتى عهد "الموصل"التركية تحت عنوان ."تورجوت أوزال"إدارة الرئيس

- على مصر ومعها عدد آخر من "في تحالف المهام"إلى جانب تركيا يجيء الدور ، وأول المطلوب من هؤلاء "ضمنها السلطة الوطنية الفلسطينية"الدول العربية على المشاع معلومات مخابرات، فهذه الدول كلها اقتربت على نحو أو آخر مما الجهاد "جرى في أفغانستان وبعضها شارك مشاركة فعلية في إنشاء ما يسمى بـ ."طالبان"، وبعضها الآخر كان الداعم الرئيسي لحركة "الأفغاني

وقد كان الجميع على استعداد لتقديم معلومات المخابرات بما في ذلك بعض الدول وبينها سوريا والسودان وليبيا "التي كان يصعب تصورها في إطار مثل هذه المهام ."وغيرها

لكنه إذا كانت معلومات المخابرات هي البند الأول في مهام هذه المجموعة، فإن إبعاد القضية الفلسطينية وتفاعلاتها عن الحرب في "المهمة الأكثر حساسية هي أفغانستان وتطوراتها، وهنا فإن الدول العربية - خصوصاً مصر والأردن - مطالبة كما أنها !"دون تحديد لمصدر العنف وسببه"بالعمل على وقف العنف في فلسطين دون أن "مطالبة بالعمل على استئناف المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين وهي أيضاً مطالبة بضبط التصعيد "يكون هناك مشروع معقول يمكن التفاوض عليه الإعلامي وما يثيره من أجواء نفسية معادية لإسرائيل وللولايات المتحدة وللسلام ."دون مراعاة لأسباب الاستفزاز الداعية إلى هذا التصعيد"

وأخيراً فإن هذه المجموعة من الدول مطلوب منها أن تقدم خدمات وتسهيلات

لصالح العمل العسكري الأمريكي، وقد حاول الكثيرون إخفاء ما سمحوا به أو سكتوا عليه وأغمضوا عيونهم.
لكن الحقائق لا تقبل غطاء الشادور الأسود الذي فرضته طالبان على نساء أفغانستان، وبالتالي فإن الحقائق تفضل السفور، وسفورها يسبب الكثير من أسباب الحرج.
في مقابل ما يقدمونه "غالية"وبرغم ذلك فإن العرب ليست لهم قوائم طلبات متحمسين أو ما يفرض عليهم ويسبب لهم الحرج، والأغلب أن الطلب العربي هو السلامة أو لا :الأساسي.
□ إزاء :ثنائية "مهمة الهند"أيضاً فإن هناك دورا للهند، و "المهام"وفي تحالف الصين من ناحية وإزاء باكستان من ناحية أخرى، فظهور الهند في التحالف من شأنه المساعدة على تثبيت موقف الصين، وعلى الناحية الأخرى فإن مجرد ظل الهند يفرض على النظام في باكستان كبت مشاعره وقمع جماهيره، كما أن شبح الهند قادر على تحديد وضبط حركة الجيش الباكستاني، ومنع وقوع انقلاب مفاجئ في إسلام آباد يؤثر على مسرح العمليات في أفغانستان!
وتنتظر الهند من ظهورها بمهمة في التحالف مكاسب تسعى لها:
تحجيم قدرة باكستان العسكرية والنووية بالذات، وكانت باكستان :ـ المكسب الأول من قبل مستنزفة بأحوالها السياسية والاقتصادية، والآن زاد على هذه الأحوال عبء جديد يضاف إلى أثقال قديمة.
"كشمير"للهند هو أن باكستان المنهكة سوف تكون أبعد عن :ـ المكسب الثاني بمسافة أو مسافتين عما كانت.
ومدارسها سوف يضعف عناصر "منهج طالبان"أن ضرب :ـ المكسب الثالث منطقة "فوق قمم الهمالايا "الجهاد"تنتمي إلى المنهج والمدرسة تطوعت لـ "التي تعبد الأصنام في رأيهم"ضد الهند "كارجيل!
**
وأخيراً في أنواع التحالفات ـ وبعد تحالف الدول ـ وبعد تحالف المهام ـ يجيء ، وهو تحالف لحظة معينة حتى وإن طالت عليها الأسابيع "تحالف التوقيت" والشهور، وضمن هذا التحالف في التوقيت فقد لا يكون مطلوباً من الأطراف ـ أحياناً ـ ما هو أكثر من مجرد تحييد نفسها، أي اتخاذ موقف الانتظار وترك الأمور تجري في مساراتها.
هي أهم الأطراف في هذا التحالف السلبي في أدائه والإيجابي في "إيران"وربما أن تأثيره، ذلك أن إيران حتى بالسكوت عنصر ضاغط إلى أبعد الحدود على حركة

طالبان بحكم حدود مشتركة تملك فيها إيران بالتداخل السكاني وبوحدة المذهب الشيعي نفاذاً عميقاً في منطقة وسط أفغانستان.

والشاهد أنه إذا كان يمكن تقسيم أفغانستان إلى ثلاث مناطق إثنية، فإن المنطقة الشمالية أزبكية طاجكية، والمنطقة الوسطى فارسية شيعية، والمنطقة الجنوبية باشتونية ممتدة إلى عمق باكستان.

....

....

وأتذكر أن صديقاً عزيزاً بادرني عندما قابلني في لندن قبل سنوات بقوله: [

" لماذا لا تذهب لكي ترى طالبان، إنك رأيت وكتبت عن قيام الثورة الإسلامية "الشيعية" ، والآن واجبك أن ترى وتكتب عن الثورة الإسلامية السنية في "أفغانستان" يقصد حركة طالبان "!".

ولم أتحمس، وكان يكفيني أن أسمع بما جرى للتعليم وقد تحول كله إلى كتاتيب للحفظ والترديد - والرجال وقد فرض عليهم طول اللحي مع العمائم والجلابيب - والنساء وقد دخلن سجن الشادور الأسود - والفنون وقد صودرت كلها كلمة ورسماً وصوتاً وصورة - والأطفال وقد حُرِّم عليهم حتى اللعب بطائرات الورق، كأنه يراد إقعاد أحلامهم على الأرض لا تفارقها.

مع ملاحظة أن أعداء طالبان ليسوا أفضل منها ولا أكثر استنارة ولا أوسع عقلاً!.

والحقيقة أن انتقال أفغانستان من حكم طالبان إلى حكم التحالف الشمالي هو رحلة من كابوس إلى كابوس!]

....

....

**

على أن الطرف الأهم في تحالف التوقيت هو أوربا - ألمانيا وفرنسا وإيطاليا أساساً - ثم بعيداً عن أوربا: كندا واستراليا.

والشاهد أن هذه الدول بدرجات متفاوتة هي في الواقع نصف شريك، لكن استدعاء دولة بقضها وقضيضها إلى كل موقف تفريط في القوة لا تدعو إليه ضرورة، وأفضل منه توزيع الأدوار على المواقع المناسبة من مجرى الصراع.

وتقدر الولايات المتحدة وهي تدير عملية التحالف، دولا - أو مهام - أو توقيتات، أن بعض أصدقائها لهم رؤى ومصالح وحتى ثقافة، يمكن أن تكون مغايرة وأنه من العقل والعدل معاً أن تترك لكل منهم هامش حركة يشغله كما يختار ثم يقع استدعاء كل منهم لمهام التوقيت حين يكون الدور عليه.

."وذلك هو موضع دول أوربية كبرى مثل فرنسا وألمانيا وإيطاليا"
ويلاحظ أن هذا الهامش من المرونة يتسع ويضيق حسب تطورات الحوادث، ومن الملحوظ أن واشنطن تريده أقرب إلى الضيق منه إلى الإتساع، فهي بالنسبة لأوربا تريد حلفاء ولا تريد شركاء، وهي تعتقد أن فرنسا ـ على وجه التحديد ـ تبحث .لنفسها عن ساحة أوسع تتحرك فيها
في واشنطن كان الاحتكاك بين دور الحليف ودور "شيراك"و "بوش"وفي لقاء إن :"جورج بوش"الشريك ملحوظاً، وعلى سبيل المثال فإنه حين قال الرئيس ـ لم يستطع "التحالف مع الولايات المتحدة هو البديل الوحيد للتحالف على الإرهاب نحن نحارب الإرهاب بمقتضى قرار من " :أن يمنع نفسه عن الرد بقوله "شيراك" ."مجلس الأمن يمثل إرادة مجتمع الدول
إلى أهمية تحريك "بوش"أن يلفت نظر الرئيس "شيراك"وحين حاول الرئيس قضية السلام في الشرق الأوسط، حتى يرفع العالم العربي والإسلامي تحفظه على :بحدة "بوش"الحرب ضد الإرهاب في أفغانستان، كان رد
إنه سوف يواصل معركة أفغانستان ضمن حربه على الإرهاب سواء تحركت " !"قضية السلام في الشرق الأوسط أو توقفت
إنه إذا تصور بعضهم أنهم يستطيعون المقايضة " :وأضاف الرئيس الأمريكي ."هنا فإن تصورهم سوف يخيب "واحدة بواحدة"
إن أسلافه من " :ـ تنازل الرئيس الأمريكي خطوة بقوله "شيراك"وحين ألح رؤساء أمريكا كانوا يتحفظون على قيام أوربا بدور في أزمة الشرق الأوسط، وأما هو فليست لديه الآن تحفظات وهو لا يمانع أن تقوم أوربا ببعض الجهود لـ ."مواقف الأطراف العربية "تليين"

....

....

رفض أن يتضمن خطابه أمام الجمعية "بوش"وفي هذا السياق فإن الرئيس] دولة "العامة شيئاً عن أزمة الشرق الأوسط فيما خلا عبارة وردت فيها إشارة إلى أن وزير خارجيته "بوش"وإزاء رجاء وإلحاح عربي ودولي وعد "فلسطينية سيعرض بالتفصيل أمام الجمعية العامة ما اختصره الرئيس في "كولين باول" !"خطابه
لأن خطاب الرئيس "ثم قيل بعد أيام أن كولين باول لن يتحدث أمام الجمعية العامة وبعد أيام أعلن أن .ولذلك فإن حديثه سوف تكون له مناسبة أخرى قريبة "يكفي وزير الخارجية الأمريكي سوف يتحدث باستفاضة عن أزمة الشرق الأوسط وأن

"كنتكي"وهي الجامعة المحلية لولاية " "لويفيل"حديثه سوف يكون في جامعة
."الشهيرة بمزارع الدواجن
:"رسمية"ثم تواردت من واشنطن معلومات
لأن "إن كولين باول لن يتقدم في خطابه بمقترحات أو صياغات أو أفكار جديدة □
!"تلك مسئولية أطراف النزاع أنفسهم
أبلغت وزير الخارجية أثناء إعداد مشروع خطابه "كونداليزا رايس"إن السيدة □
تثير غضب الإسرائيليين أو تثير "لا يرغب في كتابة عبارات "الرئيس"أن
."شكوكهم
أن الرئيس سوف يبعث بنسخة من "إن يأخذ في علمه"إن على وزير الخارجية □
خطاب وزير خارجيته إلى رئيس وزراء إسرائيل مسبقاً، ولهذا فإن الأفضل توخي
.الحذر من البداية
إنه بما أن الحكومة الإسرائيلية سوف تقوم بتسريب خبر اطلاعها مسبقاً على □
الخطاب فقد يكون ملائماً اطلاع بعض أعضاء وفد التفاوض الفلسطيني على نص
!فقط "للإطلاع"باول مع إبلاغهم أنها "خطاب
إن نسخة الخطاب التي وصلت إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي عادت وعليها ستة □
!تحفظات واقتراحات بتعديلات أخذ بها جميعاً ـ حذفاً وإضافة
ـ أن عددا نم !خطابه في النهاية كان المزعج ـ وبحق "كولين باول"وعندما ألقى
[!العواصم الأوروبية تحفظت عليه لكن عدداً من العواصم العربية رحبت به

....

....
ولم تكن واشنطن سعيدة بما ترامي إليها عن اجتماع عدد من كبار قادة أوربا
، وقد جلسوا على عشاء في بيت "وفيهم شيراك وشرودر وبلير وبرلسكوني"
من نميمة "إلى شيء"رئيس الوزراء البريطاني، وتحول حديث السهرة بينهم
الهيمنة على الحاضر لكي تتسلط على "تهمس بأن الولايات المتحدة تحاول
."المستقبل
لكن النميمة محصورة، لأن أوربا وأمريكا في النهاية مصلحة متقاربة وإلى سنوات
طويلة قادمة، ومع ذلك وتحسبا لمستقبل بعيد، فإن الولايات المتحدة تفضل أن تكون
!ـ تلك حدودها الآن "تحالف توقيت"مع الدول الأوربية الكبرى ضمن
والغالب أن أهمية التحالف الأوربي سوف تزيد في المراحل القادمة من الصراع،
وخصوصاً إذا تقرر توسيع مسرح العمليات في أفغانستان إلى ما وراءه وإلى ما
حوله، ثم امتدت ألسنة النار إلى مواقع لها في الأوضاع الراهنة حساسية خاصة

يتبعه جنوب لبنان، والسودان واليمن، وليبيا والصومال، وربما "مثل العراق، "غيرها.
والمشكلة أن التوجيه الاستراتيجي الموجه في البيت الأبيض إلى القيادة المركزية وهو القائد المسئول عن العمليات "تومي فرانكس"الأمريكية التي يتولاها الجنرال وضمنها أفغانستان ـ توجيه مفتوح كأنه تفويض على بياض !في الشرق الأوسط.
وهو يقول "فرانكس"وقد استمعت بنفسي إلى الجنرال:
ليس هناك موقع مقصود بذاته، وليس هناك موقع مستبعد من الأصل، لأن "التوجيه الرئاسي الصادر إلى بتحديد الهدف الاستراتيجي للعمليات هو بالنص:
عليك أن تعثر على ـ وتقوم بتدمير ـ قواعد ومواقع وخطوط شبكة الإرهاب العالمي "تنظيم القاعدة ونظام طالبان" :والقوى التي تساعده على أن تكون البداية بـ ".
والتوجيه بهذا النص مطلق في الطول والعرض وممتد في الزمن إلى بعيد، ومع الزمن مواقع ونتائج، لها تداعياتها وبعد التداعيات مسئوليات وترتيبات.

**

، فإن "الدول ـ والمهام ـ والتوقيتات"وفي هذه الأنواع والمستويات من التحالفات البيت الأبيض في واشنطن هو مقر القيادة العليا.
، ومن "لا يصلح"ومن "من يصلح"لكي يتحدد "الفرز"ـ هناك أولا يجري "يستحق التجهيز"ومن الذي "الجاهز"ومن "المتردد"ومن "المستعد"؟
"متى"؟ و"كيف"؟ و"من" :ومن هناك يكون القطع النهائي بـ؟
ومن هناك تتقرر مستويات التعامل مع كل طرف طبقاً لما يستحق.
بعملية تقييم للأحجام والأوزان، "ديك تشيني"وفي هذا الصدد قام نائب الرئيس فقال لزائر عربي كبير المقام ما معناه:
"برفيز مشرف"الجنرال :بعض الناس يكبرون في الأزمات وبعضهم يصغرون" رئيس " "أجاويد"كبر في هذه الأزمة وطالت قامته، كذلك "رئيس باكستان" رئيس الجمهورية الإسلامية في " "خاتمي"ـ وإلى حد ما فإن "وزراء تركيا ".ـ أصبح أكبر "إيران

الإشارة السادسة

أين العرب؟ وأين إسرائيل؟

لندن:
وهنا سؤالان هما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة:
أين إسرائيل في خريطة هذه التحالفات متعددة الأنواع :السؤال الأول □

تحالفات "إلى "تحالفات المهام"ـ إلى "تحالفات الدول"من :والمستويات
!؟"التوقيت
لماذا تلوح الآن في العلاقات العربية الأمريكية ـ بغير مقتضى :والسؤال الثاني □
قبل أن يجيء "برودة شتاء"حقيقي أو واضح ـ علامات على سوء فهم تسري فيه
موسم الشتاء الطبيعي في الإقليم؟
إسرائيل حليف مشارك بنصيب في جميع أنواع :والإجابة عن السؤال الأول هي أن
تحالف :التحالفات التي توظفها الولايات المتحدة الأمريكية في الأزمة الحالية أي
.الدول ـ وتحالف المهام ـ وتحالف التوقيت
وزير خارجية الجزائر "وقد سمعت ـ وسمع معي الصديق الأخضر الإبراهيمي
ـ "الأسبق، ومساعد وممثل السكرتير العام للأمم المتحدة في أزمة أفغانستان حالياً
:في ذات العاصمة الأوربية من يقول "المقام"سمعنا نحن الاثنين معاً في نفس
:لتكن الأمور واضحة"
إسرائيل صديق وحليف، ونحن نسلم أنها حليف متعب ومشاكس ـ لكنها حليف،
ومطالب "وهي حليف قادر، يستطيع أن يعتمد على نفسه في تحقيق مطالبه
."أصدقائه"
:وعلى الناحية الأخرى
فإن العرب أصدقاء، لكنهم ليسوا حلفاء ـ ونحن نسلم أنهم صديق طيب ومريح ـ "
ويطلب من غيره "لكنه صديق، لا يستطيع أن يعتمد على نفسه في تحقيق مطالبه
!" "أن يحققها له

....

....
وجه عليه نقش يحدد :وبهذه الإجابة الصريحة يظهر وجهاً العملة في السؤالين]
قيمته وقوته ظاهرة وواضحة بحيث لا يقع عليها خلاف ـ والوجه الآخر عليه
صورة تذكارية لا تستطيع وحدها أن تشتري شيئاً، ثم إنها مثل كل الصور تحتمل
.[النظر إليها من كل الزوايا، ومن كل زاوية موقع نظر

....

....
لا يعرف العرب أن الولايات المتحدة لها سياسة هي التي " :ويستطرد القائل
!"ترسمها، وأن لهذه السياسة أولويات لا يحددها الآخرون
إذا كانت الأطراف العربية صديقاً، وصديقاً له " :وسألت القائل ـ ولم يسأله غيري ـ
قيمته ولو بالرمز بصرف النظر عن أي شيء آخر، فما هو السبب في برودة الشتاء

ـ تسابق الفصول ـ في التأثير على أجواء العلاقات بين الولايات المتحدة وأصدقائها
في واشنطن وبصفة عامة وفي " :وكان ملخص الرد على هذا السؤال ."العرب
الظروف العادية قدروا موقف أصدقائهم العرب، لكن طلبات هؤلاء الأصدقاء، زادت
معظمهم لهم طلب مستمر طول الوقت من الولايات المتحدة بأن تضغط :على حدها
على إسرائيل ولا تفعل شيئاً آخر، وكأن السياسة الأمريكية في المنطقة وظيفة يمكن
" ."مواصلة الضغط على إسرائيل" :اختزالها في
أضاف الأصدقاء العرب إلى طلباتهم من واشنطن نداءات :وفي الأزمة الراهنة"
نداء بعدم توسيع نطاق العمليات خارج أفغانستان، ونداء بتقصير مدة :إضافية
ولعلها "، "الضرب في أفغانستان، وأخيراً نداء بوقف الضرب في شهر رمضان
."!رحمة للجميع أن نظام طالبان تبعثر فعلا مع رؤية هلال رمضان
وأسوأ من ذلك فإن النداءات العلنية إلى الولايات المتحدة تمثل " :أضاف القائل
فلم يكن كل أصدقائنا العرب يطالبون بقصر نطاق العمليات على :نصف الحقيقة
أفغانستان، لأن بعضهم كان وما زال يلمح إلى أنها فرصة متاحة لإنهاء ما بقي
أن نظام صدام حسين أخطر من نظام "معلقاً بعد حرب الخليج، محرضاً على
ثم إن الذين نادوا بتقصير مدة الضرب، كانت نصيحتهم تكثيف الضرب .!"طالبان
وأما عن وقف الضرب في شهر رمضان، فإن .بحيث تنتهى المهمة بسرعة
أنهم شنوا حرباً في شهر رمضان، بل وأسموها في "واشنطن أبلغت الجميع عندكم
."أدبياتهم حرب رمضان

....

....

ولحسن الحظ فإن التطورات رفعت الحرج عن الكل وأوقفت الإلحاح على وقف]
[!الضرب في الشهر الفضيل

....

....

:ويواصل القائل كلامه
لقد سمحت واشنطن لبعض الأطراف العربية بأن يعلنوا على الملأ آراء ومواقف
مخالفة لما تسمعه منهم في الاجتماعات المغلقة، وكان ذلك عن تقدير لعلاقة هؤلاء
لكننا الآن في ظرف لا يحتمل هذه الدرجة من المرونة، وهي .الأطراف مع شعوبهم
.في رأيهم ميوعة
في إسرائيل يقولون للناس كل شيء وهذا يطمئن، لكنه على "أنهم"وربما تتذكر
."الجانب العربي لا يعرف الناس عما يجري إلا أقل القليل

والخاتمة في قول القائل:
لا يستطيع أن يكون صادقاً مع   إنه لا تستطيع أن يكون صادقاً مع الآخرين من"
أهله، ولعلم الجميع فإن الحكومة الأمريكية لم تطلب من أي طرف عربي شيئاً إلا
واستجاب للطلب بالكامل.
، وكل "منعوا"و "رفضوا"و "تحفظوا"ومع ذلك راح بعض العرب يقولون إنهم
ذلك يخصم من أرصدة الصديق العربي، ويخصم من بند مهم فيه، وهو بند الثقة
بالنفس والاستناد عند التصرف إلى شرعية معترف بها من الكل، مقبولة في
بالإخفاء أو "التصرف"تعبيرها عنهم، بما لا يضطرهم إلى التغطية على
بالتمويه!".
والكلمة الأخيرة في القول:
هناك نقطة لا يعطيها الساسة العرب قدرها من الاهتمام مع أنها ظاهرة أمام كل "
يستعد من "الرئيس"زائر للبيت الأبيض أو راصد للأجواء فيه، هذه النقطة هي أن
الآن لانتخابات المدة الثانية لرئاسته".
والمسألة شديدة التعقيد:
ومعه كبار مساعديه ومستشاريه يأملون في "بوش"من الأصل كان الرئيس
تحقيق إنجاز كبير يتأكد لهم به رصيد من الأصوات أعلى، بحيث يوفر للرئاسة
الثانية أغلبية واضحة، ولا يكرر ما جرى في انتخابات المدة الأولى، حين تعلق
النجاح والفشل بمئات من الأصوات تفرز ويعاد فرزها بالطعون لستة أسابيع كاملة.
**
سبتمبر قذفت إلى البيت الأبيض بكارثة يثق الرئيس وكذلك معاونوه 11لكن حوادث
التي تبدأ عمليا سنة 2004أنها سوف تكون المحور الذي تدور عليه معركة سنة
بانتخابات التجديد النصفي للكونجرس وبعدها مباشرة حملة الرئاسة 2002.
سبتمبر ـ والفشل الأمني والعسكري في 11في توقع ما جرى يوم "التقصير"و
والحزب الديمقراطي الآن بالفعل تسبقه المراكز التابعة .توقيه، سوف يطرح نفسه
له يسعى إلى جمع البيانات، ويسجل، ويحلل لمعركة انتخابية سوف تدور على
للسياسة وللدفاع للسنوات المقبلة من هذا القرن "صياغة جديدة".
في مواجهة مثل هذه الأخطار الانتخابية على المدة الرئاسية الثانية للرئيس
فإن استراتيجيته واضحة الآن "بوش":
سبتمبر بانتصارات ضخمة يصعب على 11- الخط الأول فيها هو التغطية على يوم 1
المعارضة إنكارها.
عن "تنظيم القاعدة"ـ وذلك يعني أن تكون أفغانستان التي وقعت عليها مسئولية 2

.سبتمبر ـ دواءً أو شفاء لما أحست به الولايات المتحدة في ذلك اليوم 11
ضربة إزاء :ـ وذلك يعني تسوية حساب أفغانستان بما يجعل الميزان متعادلاً3
يتطلع إلى ما هو أكثر ـ يريد ما يكفي من الانتصارات "بوش"ضربة ـ لكن الرئيس
.للأوراق "إعادة فرز"حتى يميل الميزان لصالحه على نحو لا يقبل تشكيكاً أو
ـ ومن حسن الحظ أن المواقع التي تركزت عليها حملات الكراهية الأمريكية كلها 4
أمام "بوش"ـ ولذلك فإن الانتصار عليها بأقل التكاليف يعطي "مرهقة ومنهكة"
القادر على المعجزات وهو ذاهب إليها "السوبرمان"الرأي العام الأمريكي صورة
.لا ينتظر أحدا
:وهنا فإن أمام الساسة العرب في علاقتهم مع البيت الأبيض مرحلة صعبة
لا تحاسب أحداً على ما فعله أو لم يفعل ـ ما قاله أو لم يقله في معركة أفغانستان،
ولكن التعامل مع كل طرف سوف يكون على أساس ما فعله أو لم يفعله ـ ما قاله أو
لم يقله ـ مما يساعده على زيادة فرص الرئيس الأمريكي في انتخابات المدة
.الرئاسية الثانية
رئيس ولاية "وأسرة بوش باختصار لا تريد لابنها أن يدخل التاريخ مثل والده
وهذا !"بيل كلينتون"، وإنما تريده الأسرة رئيس ولايتين ـ على الأقل مثل "واحدة
.(الملتهب) (هذا الشتاء)هو مأزق أمريكا وأصدقائها العرب
**
ومع ذلك فإن مناخ العلاقات العربية الأمريكية ينزل في برودته أحياناً درجة
.الصقيع

....

....
وقد حدث مع السيد ياسر عرفات أنه كان مطروحاً من عدة شهور احتمال عقد لقاء]
"عرفات"بينه وبين الرئيس جورج بوش في البيت الأبيض بمناسبة زيارة
للولايات المتحدة لحضور الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكان المفروض أن يكون
اللقاء تعبيراً عن معنى التزام الرئيس الأمريكي بما أعلن عنه من اهتمام بالصراع
إلى التفكير في تقديم مشروع تسوية "كما قال"العربي ـ الإسرائيلي، حتى وصل
.سبتمبر 11أمريكي ـ كان ينوي إعلانه ـ قبل
لكن الرئيس الأمريكي في لحظة صقيع سياسي، رأى إلغاء اجتماعه في البيت
الأبيض مع رئيس السلطة الوطنية، وحين بدا أن بعض الدول العربية محرجة ـ من
إلغاء اجتماع البيت الأبيض المقترح بين بوش وعرفات، وأنها كانت تتمناه ولو
كمجاملة تشيع بعض الدفء في الأجواء ـ أشار المندوب الأمريكي الدائم إلى أنه

في ممرات الأمم "مصادفات"يمكن للرئيس بوش أن يلتقي بالرئيس عرفات لقاء
المتحدة حين دخول وخروج الرئيس الأمريكي ووقوفه لبضع دقائق مع عدد من
.رؤساء الوفود
أسلوب يمارس بالتمهيد والتوافق، والغرض منه أن يكون "لقاءات المصادفات"و
."للموضوع"وبين اجتماع "بالشكل"حلاً وسطاً بين لقاء
لقاء "وكان أن أحد رؤساء الوفود العربية أراد العربية أراد أن يتأكد أن
- بين بوش وعرفات - له مناسبة على خريطة زيارة الرئيس الأمريكي "المصادفات
للأمم المتحدة، حتى لا يحدث خطأ يمكن حسبانه إهانة مقصودة، لكن الوفد الأمريكي
إن التحديد بالتأكيد على " :رفض أن يعطي التأكيد المطلوب، وكان رد رئيسه
خريطة تواجد الرئيس بوش في مبنى الأمم المتحدة يرقى إلى مرتبة تحديد موعد،
.["وهذا غير مطروح، ولذلك فإن المصادفات يستحسن تركها للمصادفات

....

....

:الإشارة السابعة

ظلام فوق ظلام في أفغانستان

:لندن

قارب نهايته، لكن البركان سوف يواصل "الحرب في أفغانستان" :إن ما سموه بـ
الفوران، وصحيح أن طالبان تبعثرت، لكن طالبان لا تزال حية، ولا تزال طرفاً في
الاقتتال الأهلي والتناحر الطائفي والقبلي، الذي نزل ظلاماً فوق ظلام على
أفغانستان، على أن مشكلة طالبان في كل أحوالها أنها طرف لا يمكن رؤية
وقد عاشت .حساباته، لأن كل حساب لا بد له من قواعد يقاس عليها في زمنه
طالبان حتى الآن خارج الزمن وليس مؤكداً إذا كانت الكارثة التي حلت بها سوف
:تعلمها حسابه، وإذا حدث فأمام طالبان أربعة احتمالات

□ احتمال أن يرى أصحابها أن فرصتهم ضاعت، ومن ثم فإنه الوقوع في الأسر أو
.الانعطاف إلى النسيان

□ أو احتمال مواصلة المقاومة عن طريق حرب عصابات تساعد عليها طبيعة
أفغانستان الوعرة، وميزة حرب العصابات أنها تحرر طالبان، من مسئولية
وهي حصار للحركة وارتهان لمطالب كتل ضخمة من السكان في مدن مثل "المدن"
على أن المتفق عليه أن حرب العصابات "جلال آباد"و "كابول"و "مزار شريف"
لا تؤثر إذا لم يكن وراءها حجم واسع من التأييد الشعبي، وفي الغالب فإن ذلك ليس
وسكانه من "قندهار"متوفراً لطالبان ولا حتى في مركز قوتها الرئيسي وهو إقليم

."البشتون"
والاحتمال الثالث أن تعاود طالبان تأهيل نفسها للاشتراك في ائتلاف حزبي □ أفغاني، والمأزق أن الأطراف المرشحين لهذا التحالف الحزبي، غاصوا جميعاً في .مستنقع الوحل والدم ـ بحيث لا يستطيع أحد منهم إنقاذ نفسه أو إنقاذ أفغانستان
في انتظار أن يتورط غيرهم من "الكمون"والاحتمال الرابع أمام طالبان هو □ "الطاجيكي" "رباني"أطراف التحالف الشمالي في تدمير بعضهم البعض فيقوم "عبد الرشيد دوستم"، أو يقوم الجنرال "البشتوني" "حكمتيار"بمحاولة تصفية بالانقضاض على غيره من أمراء الحزب والعلماء والمشايخ، أو ينجح "الأوزبكي" في إزاحة الجميع ليجد نفسه أمام أفغانستان لم يعرفها "ظاهر شاه"الملك السابق !!من قبل رغم أنه جلس على عرشها أكثر من أربعين سنة
وكانت مرحلة ما بعد طالبان هي سؤالي طوال أربع ساعات متواصلة قضيتها في وهو المكلف ـ باعتباره مساعد الأمين "الأخضر الإبراهيمي"حوار مع الصديق العام للأمم المتحدة والمفوض بقرار من مجلس الأمن ـ بترتيب مستقبل أفغانستان .في مرحلة ما بعد طالبان
قضى صباحه في مقر رئاسة "كان الأخضر قادماً من باريس ليوم واحد في لندن ، وكان على الطريق إلى نيويورك يقدم أول تقرير إلى السكرتير "الوزارة البريطانية .العام للإمم المتحدة ليعرضه على مجلس الأمن
**
وتقابلنا في الساعة السابعة بعد الظهر وافترقنا في الحادية عشرة قبل منتصف .الليل
وكان الأخضر ـ وهو رجل بطبيعته متفائل ـ مثقلاً طوال ذلك النهار مهموماً يتحسب للعمل الذي ينتظره في أفغانستان في مناخ وخضم أزمة خبرها قبل خمس سنوات تقيم دولتها "قوات طالبان"في كابول، وزحفت "حكومة المجاهدين"حين سقطت !ـ إمارة المؤمنين ـ هناك
وقال الأخضر في سياق كلامنا الطويل، إنه عندما كلّف بالمهمة بادئ الأمر كان تأمين المعونة الإنسانية للسكان الأفغان ـ ثم محاولة إنشاء ائتلاف داخلي " :تكليفه ."بين القوى والزعماء يحكم أفغانستان ولو لمرحلة انتقالية
وكان تقديره من أول لحظة أن التكليف شبه مستحيل، فهو ـ في الجانب الإنساني ـ في عدد المحتاجين ـ "وفرة"، في الإمدادات مقابل "الشح"من مهمته يعرف حجم وبينهم ستة ملايين لاجئ ـ ومع أنه شديد الثقة في فريقه الذي يعمل معه في هذا المجال على الأرض فعلاً، فإن الأمر يحتاج إلى تخصيص مائتي باخرة، ومائة

"حالة مجاعة"طائرة، وخمسة آلاف شاحنة تعمل كلها ليل نهار حتى يمكن تجنب
حقيقية وليست مجازية.
وهو يدرك مقدماً إن مجتمع الدول غير مستعد لمثل ذلك الجهد الكثيف مع وجود
احتياجات إنسانية كبيرة للمعونة في مناطق أخرى من العالم غير أفغانستان.
وعلى الجانب السياسي من هذه المهمة فهم يعرف زعماء أفغانستان، ويدرك عمق
ما بينهم من أحقاد وثارات، لكنه يصلى عسى أن يكون سنوات طالبان قد علمتهم
شيئاً.
وجد أن هناك "الأخضر"وبرغم أثقال هذين التكليفين الإنساني والسياسي، فإنه
مهمة أخرى مطلوبة منه وهي:
"العمل على بناء نوع من نظام الدولة في أفغانستان".
وإنما "شبه مستحيل"وجدت أن ما هو مطلوب مني ليس " :وهنا يقول الأخضر
"المعجزة وزيادة"هو.
والمعجزة أمامها فرصة ـ فقط ـ إذا أمكن التزام بعض المبادئ:
إن أي حل للأزمة لا بد أن يكون أفغانياً، حتى يكتب له الاستمرار بعد توقف :أولها
النيران.
تقدير أن الدمار الذي حل بأفغانستان دمار ليس له شبيه نعرفه في التاريخ :وثانيها
الحديث، فالبلد من الأصل فقير ومعزول، والحرب الأهلية ربع قرن دون توقف لم
تترك له شيئاً يبنى عليه.
إن مشكلة حفظ الأمن حتى يمكن البدء في أي بناء مشكلة مخيفة، لأن البلد :وثالثها
ألف نار السلاح في يده ـ وتعود سيل الدم أمام عينيه؟
إن إقامة نظام دولة أو شبه نظام ليس مسألة كتابة تقارير، وإنما مسألة :ورابعها
وإرادة دولية تساعد بسخاء !إرادة أفغانية تعمل بتجرد.
تعاون صادق من دول الجوار الأفغاني وأولها باكستان وإيران :وخامسها.
ويستطرد الأخضر:
اتفقنا السكرتير العام للأمم المتحدة وأنا على أن أهم ضمانة للنجاح ـ إذا كانت "
هناك فرصة ـ أن يظل دور الإمم المتحدة في أفغانستان مدعوماً بتأييد القوى العظمى
"وخصوصاً الولايات المتحدة ـ ودون تردد أو فتور.
وهو يتذكر أنه في الأزمة الأفغانية الماضية قبل خمس سنوات وحين تعثرت الأزمة
على الأرض ـ تفرقت القوى العظمى واختفت سريعاً وراء الأفق الأفغاني.
وهذه المرة لا يجب أن يتكرر ما جرى قبلها.
هناك أيضا أننا نريد أن نضع مسافة بين

دور الأمم المتحدة في أفغانستان وبين الأدوار السياسية للقوى العظمى وحتى لغيرها!
هل ذلك ممكن؟ :سألت الأخضر
لا بدن أن يكون ممكناً، والحقيقة أنني قبل أيام كنت في البيت الأبيض " :وجاء رده وجلس "ديك تشيني"مع أحد المستشارين الكبار فيه ودخل علينا نائب الرئيس معناه لنصف ساعة، وطرحت أمامه مخاوفي، وقد أبدى تفهماً لضرورة أن يكون عمل الأمم المتحدة في أفغانستان متجاوزاً للمطالب السريعة والمناورات السياسية للدول"."
....
....
وقاربت الساعة منتصف الليل وخرجنا من حيث كنا في حديثنا الطويل إلى رصيف وكان مطر .، ووقفنا وكل منا ينتظر سيارته تحمله إلى حيث يقيم"ابيوري"شارع لندن حفيا بزوارها حتى في هذه الساعة من الليل، وفجأة سألني الأخضر بلهجته الجزائرية: "جول لي ياخوي" بصفة المصرية باللهجة كلماته نفس ورددت ؟
الجواب: "قل لي يا أخي" سؤاله الأخضر واستكمل -:
"ماذا فعلنا بالأمة العربية، وقضاياها، وحاضرها ومستقبلها؟!".
"ابيوري"وقلت وكانت سياراتنا قد وصلت إلى حافة رصيف شارع:
"هل تريد السهر هذه الليلة حتى الفجر؟!".
**
وأجدني استغرقت كل المساحة المخصصة لهذا الحديث، وتعطلت أمام الإشارات، لم أصل بعدها إلى الموضوع الذي قصدته من البداية، وهو القول المأثور عن الرئيس "دوايت أيزنهاور" بقوله حياته تجربة فيه لخص والذي" لا الطيبة السياسات إن تضمن النجاح أكيدا، ولكن السياسات السيئة تضمن الفشل محققاً"!
وذلك يعني أن للحديث بقية.
دفاتر أزمة!
ما الذي فعلناه بأمتنا العربية، وما الذي فعلناه بأنفسنا، وقضايانا، والمستقبل؟.
أسئلة تذكر بها مناسبات:
○ المناسبة الأولى: إننا في نهاية عام أخذ وقته وانقضى، وفي بداية عام جديد تهل اليوم مطالعه، وقد تعود الناس في مثل هذه المناسبات أن يقوموا بعمليات جرد يفحصون فيها دفاترهم، ويراجعون بنودها، ثم يتفكرون فيما كان ويكون!
○ والمناسبة الثانية: في والأزمات، أزمة، حالة تعيش واضح وبشكل الأمة إن

التجربة الإنسانية الواعية أشد ما يدعو الناس إلى الفحص والمراجعة، لأن أحوال اليسر ـ تزين لهم بحقائق الأشياء أن يتساهلوا ويتفاءلوا، لكنه في أوقات العسر ـ فإن حقائق الأشياء تضغط عليهم بالتنبيه والتحذير قبل أن تتراكم الخسارة على الخسارة ويحل الإفلاس!

○ والمناسبة الثالثة: إن الأمة العربية "بكافة شعوبها" تحس أن ما جرى ويجري في أفغانستان وفلسطين اليوم، والمنطقة الواقعة بين أفغانستان وفلسطين غداً ـ وكانت. عسكري وسياسي ـ اقتصادي وفكري: يطوقها بحال حصار أو شبه حصار الأمة تستشعر قبل أحداث 11 سبتمبر 2001 "صواعق النار فوق نيويورك وواشنطن" بعد ما تداعى بعد 11 سبتمبر، اكتشفت أنها تنزلق إلى منحدر، وفي أعقاب ما تداعى الأمة أنها بالفعل على حافة الهاوية، وحولها ركام من بقايا حقائق وأكاذيب ـ وبقايا أحلام وأوهام ليس بينها "وتد" متين يمكنها التعلق به أو الاستناد إليه لتفادي السقوط ـ إلا إن تقع معجزة!

**

والمعجزة في حياة الإنسان فرد تحتاج إلى الخوارق أو شيء منها، لكنها في حياة الشعوب والأمم لا تحتاج لغير شرط واحد هو "يقظة الإرادة" خصوصاً في حالة ، أمة وراءها تجربة في صنع التاريخ ـ ومعها ثقافة استوعبت عصوراً من شراكة الحضارة الإنسانية بدرجة زادت أحياناً وقلت ـ وفوقهما نضج صنعته قرون طويلة من صراعات القوة انتصرت فيها مرات أو عجزت.

والشاهد أن "يقظة الإرادة" تستدعي ثقافة التجربة، ثم إن ثقافة التجربة بدورها تستدعي حكمة العقل، برغم ما تدفع إليه مشاعر الخوف بهاجس أن مزالق الخطر لا تستطيع انتظار الحكمة، بل تستعجل سرعة الحركة. بينما الحقيقة أن الحركة بغير الحكمة رد فعل لا إرادي، عصبي أقرب إلى التشنج منه إلى القصد والفعل الواعي، كما أن الخوف وما يتعجل به آخر المطلوب عند الحافة وعندما تكون فرص النجاة معلقة بالمعجزة!

**

ولعل مساءلة النفس بقصد المراجعة والفحص هي النقلة الأولية والضرورية لناحية السلامة، ثم الابتعاد ـ ولو زحفا ـ عن الحافة نقلة بعد نقلة حتى يمكن الوقوف على القدمين بحثاً عن مخرج من حالة الحصار والعودة من جديد إلى مجرى الحياة.

والأمم والشعوب القادرة حين تسائل نفسها لا تفعل ذلك بقصد التفجع والندم فهي تعي أن حركة التاريخ زمان غير قابل للاستعادة حتى يمكن تعديل مساره بأثر رجعي، وهي تعي أيضاً أن حركة التاريخ تتأثر بعناصر لا إرادية، مجملها أن الأمم

والشعوب لا تختار مواقعها من الأرض ومواردها، ولا تتحكم في جوارها ومحيطها كي تختار الأكثر أمناً فيه والأوفر غنىً.
وبالتحديد فإن حركة التاريخ احتكاك مطالب ومصالح، وضغوط مشاق ومصاعب، وتدافع أشواق تطلب الرقى والرفعة، وهي توفر لنفسها حق الاختيار إذا أحسنت التقدير، وتلك بالضبط مهمة السياسة، باعتبارها علم وفن استخدام إرادة المجتمعات في إدارة إمكانيات مواقعها ومواردها وطاقاتها الإنسانية لتحقيق طموحاتها حاضرا ومستقبلا.
وهنا يجيء ما يستحق الوقوف أمامه في ذلك القول المأثور عن الرئيس الأمريكي الأسبق "دوايت أيزنهاور" قائلاً والذي جمع فيه خلاصة خبرته: " إن السياسات الطيبة ليست ضمانا أكيداً للنجاح، لكن السياسات السيئة ضمان محقق للفشل".
**
وأمام مناسبات تدعو الأمة إلى التذكر والتفكر، وتفرض إعادة فحص الدفاتر ومراجعة الحسابات ـ فإن مساءلة النفس واردة وربما واجبة:
"كيف وصلنا إلى هنا؟ ـ عن أي طريق؟ ـ ولأي سبب؟"
وتلك الأسئلة في الظروف الراهنة، مشروعة، عاجلة وملحة، وهي تستحق إجابات تقريرية وليست إنشائية، محددة وليست مطلقة، وذلك هو الأسلوب المعتمد في "تقدير حسابات الربح والخسارة والمضاهاة حسب تعبير إيزنهاور بين سياسات طيبة قد لا تضمن النجاح أكيداً، وسياسات سيئة تضمن الفشل محققا"!
والظاهر للجميع أن "الفشل المحقق" هو النتيجة التي ضمنتها السياسة العربية لنفسها بشهادة ما جرى ويجري اليوم في أفغانستان ـ وفلسطين ـ وغدا حولهما وفي المنطقة الواقعة بينهما من قلب آسيا حتى شرق البحر الأبيض ـ ومعنى ذلك أن السياسات العربية كانت سيئة ـ مع اعتبار أن أيزنهاور: بمرجعية إيزنهاور مرجعية يمكن الاعتماد عليها لأن تجربته كانت بشهادة النتائج ناجحة وكذلك شاملة:
ـ فـ: أيزنهاور هو الضابط العسكري رفيع الرتبة الذي قاد جيوش الحلفاء لانتصار الحرب العالمية الثانية، وتلك أقرب وأشهر قصة صراع في الذاكرة البشرية.
ـ وهو أيضا رئيس الدولة الذي أدار سياسة أمريكا ثماني سنوات من بداية إلى نهاية خمسينات القرن العشرين، وهي فترة شهدت مجيء الولايات المتحدة من وراء المحيط مصممة على أن يكون لها الدور المحوري في ترتيب شئون عالم ما بعد الحرب والنصر.
ـ ثم إن تلك السنوات الثماني كانت مرحلة الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي،

أو السياسات التي ثبت أنها حققت لأمريكا انتصارها "السياسة"وفيها جرى اعتماد في الحرب الباردة بدليل سقوط الاتحاد السوفيتي وانفراط عقده.

**

كيف وصلنا إلى هنا؟ وعن أي طريق؟ :ومن المدهش أنه حين يسأل العرب أنفسهم ولأي سبب؟ فإن المفاجأة التي تنتظرهم هي لحظة يكتشفون أن بداية الخلل في دفاترهم وأخطائهم في الرصد والقيد وقعت بإملاء أيزنهاور أو سياساته على الأقل.

والشاهد هو الملفات والأوراق!

الدفتر الأول

الورقة الأولى:

الحرب بإطلاق الأفكار وليس بإطلاق النار:

عندما استسلمت جيوش ألمانيا النازية بلا قيد ولا شرط أمام الحلفاء المنتصرين في ، كانت القوى المسيطرة في أمريكا "دوايت أيزنهاور"الحرب العالمية الثانية بقيادة تفكر فعلاً في الحرب القادمة مع الاتحاد السوفيتي، رغم أنه كان شريكها الشرقي في النصر. وكان محسوساً وملموساً حتى من قبل نشوب الحرب، أن العداء لهتلر هو الذي جمع الأمريكيين على الروس مضطرين أكثر من مختارين، فالرأي الأصلي عندهم ـ قبل هتلر وبعده ـ أن المستقبل صراع إلى النهاية بين الرأسمالية وبين الشيوعية، أي بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي.

وفي اللحظة التي انتهت فيها الحرب العالمية الثانية ـ فإن القوى المتنفذة في أمريكا ليكون بنفسه قائد النصر ضد "هتلر"وقع اختيارها على قائد النصر ضد "ستالين"!

وكان ظاهراً ـ بدون إعادة السؤال مرتين ـ أن الحرب الجديدة ليست تكراراً للحرب السابقة، لأن السلاح الذي فصل في الحرب السابقة وهو القنبلة الذرية، لم يعد قابلاً للاستعمال في الحرب اللاحقة، لأن الولايات المتحدة خسرت احتكارها للأسلحة الذرية عندما لحقها الاتحاد السوفيتي إلى سرها بفاصل سنتين اثنتين.

لقيادة الحرب الجديدة إعداداً يستحق النظر "أيزنهاور"وكان تأهيل:

مذكراته عن سنوات الحرب ـ كان العنوان "أيزنهاور"ومثلاً فإنه عندما نشر ○

"A Crusade in Europe'' "حملة صليبية في أوربا" :لها هو "اختاروه"الذي النازية في تلك " "حرب ضد الجهالة"، وكان المقصود بالعنوان أنها ، لكن الإشارة إلى الحروب الصليبية ـ الدينية ـ الإيمانية ـ كانت لها مقاصد "الحالة ومعبأة بحمولات.

للحياة المدنية، كان المنصب "أيزنهاور"وفي مثال آخر ـ فإنه عندما بدأ إعداد ○

وهكذا فإن الرجل الذي خلع "كولومبيا"له هو منصب رئيس جامعة "اختير"الذي سترته العسكرية بنهاية خدمته قائداً عاماً لقوات الحلفاء، اكتسى بالرداء الجامعي يبدل هندامه ويرتبه للخدمة في البيت الأبيض رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ."وزعيما للعالم الحر كما كان يقال تلك الأيام"

○ أن يكتب مذكراته عن سنوات رئاسته "أيزنهاور"وحدث فيما بعد وعندما أراد Waging" "شن السلام"لها كان "اختاروه"للولايات المتحدة، أن العنوان الذي وإنما يصنع "يشن"، لكن السلام لا "تشن"، والعادة أن الحرب هي التي "Peace ."صليبية أو غير صليبية"بأسلوب آخر غير شن الحملات

لكن تلك كلها كانت إشارات محسوبة متعمدة، تومئ إلى تغيير رئيسي في الأسلحة ."إطلاق الأفكار"إلى "إطلاق النار"تنتقل به الحرب من

**

كان التقدير أن الصراع بين الرأسمالية والشيوعية حتمي، وأن هذا الصراع لا يمكن أن يدور بين الاثنين مباشرة في ميادين قتال، لأنه في تلك الميادين معرض أي لحظة للتصاعد إلى المستوى النووي، وذلك فوق احتمال أي طرف حتى إذا سبق عدوه في حجم ما تكدس داخل ترساناته من رءوس نووية، ذلك أن إمكانية الردع في أعماق البحر أو "المتبادل بحاملات الرءوس النووية من الصواريخ المتحركة ـ تلغى الفاصل بين النصر والهزيمة بدمار مروع للطرفين، المهزوم "أعالي الفضاء !فيه قتيل بالكامل والمنتصر ثلاثة أرباع قتيل، وكلا الاحتمالين مستحيل

!وإذن فهو صراع إلى النهاية بغير سلاح ـ وبغير نار

:ثم إنه صراع مزدوج

○ مواقعها، مواردها، :طرفان كل منهما نظرية في ترتيب وإدارة شئون المجتمعات ومكمن الخطر أن كل نظرية تطلب التفوق تجسد نفسها ذات الوقت في .ومستقبلها .قوة عظمى، ومؤدى ذلك أن النظريتين في النهاية قوتان نوويتان على طريق صدام

وفي غيبة القدرة على فرض التفوق بالنار، فإن كل نظرية ليست لديها وسيلة غير .أن تعرض ما لديها على الدنيا وعلى الناس باعتباره طريق الخلاص

ومعنى ذلك أنها صور في الأحلام لها القدرة على صنع مثال في الواقع ـ يجذب وهم يريدون إعادة ترميم "قلوب وعقول آخرين بعضهم ينتمي إلى العالم المتقدم ، وبعضهم الآخر ينتمي إلى العالم المتخلف الذي أيقظه "حياتهم بعد إعصار الحرب ."وقد هرولوا إلى الساحة باحثين عن حلم وعن مثال"إعصار الحرب،

لها القدرة "أفكار"ومعنى ذلك ـ أيضاً ـ أن الصراع في شكله الجديد صراع نظريات ."تجربة حية"على التحقيق

يصاحب ذلك إدراك عملي بأن احتكاك النظرية الرأسمالية والشيوعية ـ ○
المجتمعي المتجسد للاثنتين في دولة، لن يكون بينهما مباشرة وإنما "المثال"و
.أن يكون عند غيرهما وعلى أرضه "يجوز"
يلي ذلك أنه إذا وصل الاحتكاك إلى الدرجة التي يتطاير فيها شرر وينشب حريق،
!فإن النار يجب أن تظل بعيدة عن الترسانات النووية ـ أي هناك على أرض الآخرين
وهكذا فهي بالدرجة الأولى حرب في قلوب وعقول هؤلاء الآخرين ـ ثم إنها في
.الدرجة الثانية وإذا حكمت الظروف ـ حريق على أرض هؤلاء الآخرين
وكذلك انطلقت النظريتان، القوتان ـ إلى سباق يقطع الأنفاس وكانت تلك هي الحرب
للولايات المتحدة الأمريكية، "أيزنهاور"، وقد توافقت بدايتها مع رئاسة !الباردة
.وكانت إدارته هي التي وضعت استراتيجياتها وخططها وسياساتها

:الورقة الثانية

:شرقاً وغربا ...حول البحر الأبيض

وكانت الساحة الرئيسية على خريطة الحرب الباردة تدور حول البؤرة التي دار
:حولها التاريخ الإنسان المكتوب، وهي البحر الأبيض وما حوله في كل الاتجاهات
.شمالاً وشرقاً وجنوباً
هناك أوربا الغربية وقد خرجت بلدانها بلا استثناء منهكة من الحرب :ـ إلى الشمال
."ألمانيا وحتى بريطانيا"، أو مدمرة "فرنسا وإيطاليا مثلاً"
هناك الخلجان والوديان والصحارى الواقعة من البحر وحتى أقاصي :ـ إلى الشرق
الهند، وهي ما يطلق عليه وصف الشرق الأدنى أحيانا والشرق الأوسط أحياناً
.أخرى
.هناك الشواطئ الخضراء وبحار الرمال والغابات حتى قلب أفريقيا :ـ إلى الجنوب
وخارجها كانت .وهنا موقع العالم العربي في الوسط تماماً من هذه الرقعة الواسعة
بقية العالم بعيدة خصوصاً أن بعض الأقاليم تبدت مصائرها مقررة أو مؤجلة أو
أمريكا اللاتينية مقررة كمنطقة نفوذ للولايات المتحدة، والصين مؤجلة :معزولة
لأنها ـ الآن ـ فتحت أبوابها للشيوعية، وبلد مثل أستراليا بعيد بالمكان ـ وحتى
!بالزمان
، وشرقه "في أوربا"شماله :وكذلك تركز صراع الحرب الباردة حول البحر الأبيض
."بالذات تركيا وإيران وباكستان :العالم العربي وغلافه الإسلامي"
ضفة غرب أوربية ـ وضفة شرق :وباختصار فقد كانت للحرب الباردة ضفتان
اوسطية، وكل منهما تحتاج إلى استراتيجية خاصة بها وإلى خطط وسياسات تصلح

.لها وحدها
:وبان للناظرين أن كل ضفة رسمت خريطتها بنفسها ـ أي بأحوالها وظروفها
"بالنسبة للضفة الشمالية ـ الغرب أوربية ـ فإن بلدانها جميعا كانت دولاً متقدمة استنزفتها الحرب، والظاهر أن هذا الاستنزاف هو الذي يكشفها لغواية العقيدة الشيوعية ومثالها السوفيتي ـ مع ملاحظة أن هذه البلدان والدول وصلت بالتقدم الذي أحرزته قبل الحرب إلى درجة عالية من الديمقراطية سمحت ـ ضمن ما سمحت ـ بوجود أحزاب شيوعية، ومع الأوضاع المستجدة بعد الحرب فإن هذه الأحزاب يمكن تشجيعها وتوجيهها بحيث تتحول إلى قواعد موالية لموسكو داخل أوطانها، وإذا كان يراد حماية هذه الأوطان من غواية العقيدة الشيوعية ومثالها السوفيتي ـ إذن فإن الحل هو مساعدة هذه البلدان والدول بما يمكنها من العودة إلى سابق أحوالها المتقدمة ويضخ الحيوية في عروقها، ويحصنها بالرخاء ضد العثرات والمزالق، وذلك ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدتها السخية التي أتاحت للغرب الأوربي أن يعاود الوقوف على قدميه قادراً على مواصلة التقدم، متمسكاً .بالتعددية الديمقراطية، وقد عرفها من قبل الحرب العالمية

- وأما بالنسبة للضفة الجنوبية ـ الشرق أوسطية ـ فإن واقع الحال كان مختلفاً، ذلك أن معظم بلدانها ودولها فاتتها عصور التنوير، والنهضة، ومنظومة القيم التي أتت معها، كما فاتتها عصور الانطلاق التجاري والصناعي والمالي واتساع الثروة التي راكمتها، وبالتالي فهذه البلدان والدول أمامها على طريق التقدم عقبات وعوائق يصعب اجتيازها ببرامج للمساعدات الاقتصادية مهما كانت سخية، ومع التخلف والضعف الذاتي زائداً عليها جاذبية صور التقدم التي تراها هذه البلدان والدول على الضفة الأخرى شمال "الشرق أوسطية متحققة أمامها في عوالم قريبة منها ـ فإن هذه البلدان والدول ـ جنوب البحر ـ سوف تجد نفسها ممزقة "البحر الأبيض بين واقعها وطموحها، وذلك يجعلها مكشوفة، فإذا أريد تحصينها ضد الغواية، إذن فهو الدين يعوض عن الدنيا، ويعد بجنة في الحياة الأخرى تشتريها هذه الحياة والأرضية اللازمة لهذه المقايضة جاهزة لأن مادية الشيوعية بالقطع .الأولى .متصادمة مع روحانية الدين

وكذلك رسمت الخرائط وكذلك تحددت وسائل الحرب الباردة وتحددت أسلحتها على :شمالاً وجنوباً :ضفتي البحر الأبيض

- يعطي "مشروع مارشال"الضفة الغرب أوربية ـ فإن الوسيلة الرئيسية فيها للمتقدمين سابقاً فرصة استعادة التقدم ومعه الديمقراطية، والسلاح الحامي والضفة الشرق أوسطية ـ فإن الوسيلة .لاستئناف التقدم هو منظمة حلف الأطلنطي

الرئيسية فيها هي الدين وأفضله ـ من وجهة نظر أمريكية ـ ماركز على استعادة القديم بدعوى الرجوع إلى الأصول ، والسلاح الضامن للإصول ـ في هذه الحالة ـ عمل من وراء ستار، لأن الولايات المتحدة لا تستطيع على المكشوف أن تقف وتدعو من شرفات المآذن أو أبراج الكنائس إلى التمسك بأهداب الدين والعزوف عن مطالب الدنيا رجاءً في نعيم الآخرة.

الورقة الثالثة:

خطف الأديان سبق خطف الطائرات!

رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في شهر "دوايت أيزنهاور" عندما انتخب ـ اختار معه رجلين 1953- ودخل البيت الأبيض أواخر يناير 1952نوفمبر سنة لأعلى المناصب في إدارته، وتصادف أنهما شقيقان لأب قضى عمره وعمله قسيساً داعياً إلى ملكوت السماء!

في موقع وزير الخارجية، وكان المبشر "جون فوستر دالاس" :الشقيق الأول ○ هو السلاح الأكثر فاعلية ونفاذا في العالم الثالث، لأنه "الدين" الأعلى صوتاً بأن الهوية التقليدية لشعوب وأمم ما زالت مع وعيها العذري الفطري، والدين بالنسبة لها عقد سياسي واجتماعي وحيد تقيم به جسراً بين الآخرة والأولى!

في موقع مدير وكالة المخابرات المركزية التي "الآن دالاس" :والشقيق الثاني ○ إطلاق الأفكار وليس "وسلاحها "الباردة" أوكلت إليها مهمة إدارة الحرب الجديدة ، وبما أن الاستراتيجية الأمريكية في العالم الثالث اعتمدت على سلاح "إطلاق النار الاعتقاد ضد تهديد الإلحاد، فإن وكالة المخابرات الأمريكية تجاسرت على اتخاذ شعارات الإسلام ـ وهي العقيدة الأكثر انتشارا في المنطقة ـ لتكون وسيلتها وذخيرة سلاحها.

**

، كانت الخطوط الرئيسية لسياسة إدارته "أيزنهاور" وفي الشهر الأول من رئاسة نصف القرن في الحقيقة لأن "قد تم تحديدها، بل وتسميتها بوصف معركة القرن وميدان المعركة هو الشرق الأوسط ." !القرن العشرين كان قد بلغ منتصف عمره في وثيقة توجيه استراتيجي "أيزنهاور" بالتحديد، والسبب حسب شرح الرئيس إن منطقة الشرق الأوسط هي المنطقة الوحيدة في العالم التي تعيش " :بتوقيعه حالة انكشاف كامل أمام الاتحاد السوفيتي عسكرياً وسياسياً".

لأن حلف الأطلنطي يغطي أوربا الغربية، كما أن حلف جنوب شرق آسيا :ـ عسكرياً يدور على جوار الصين، لكن المنطقة بين الحلفين هي الثغرة المفتوحة والقلقة.

والإمبراطورية البريطانية تزعم أنها قادرة على ملء الفراغ في هذه المنطقة، بينما هي عاجزة وحدها، ثم إنه عندما اقتنعت بريطانيا بأن الأمن في المستقبل ترتيبات جماعية وليس تفرداً إمبراطوريا ـ فإن الحكومة البريطانية أصرت أن تكون هي التي تعرض الترتيبات الجماعية للأمن الإقليمي في الشرق الأوسط، لكن دول هذه المنطقة تشككت على الفور في العرض البريطاني واعتبرته محاولة للتغطية على الوجود الإمبراطوري الذي طال على أراضيها، والآن يراد منحه رخصة متجددة للاستمرار بتمويه شكل حلف جماعي ،وكذلك كان الراي في واشنطن أنه إذا كانت بريطانيا في موضع الشك، فإن الولايات المتحدة تستطيع أن تطل على المنطقة ، "في الشرق الأوسط على الأقل"بشيرا بوعد جديد ليس له ماض إمبراطوري وإذن فإنه يتعين على الولايات المتحدة أن تأخذ الأمور في يدها وتبادر هي !وتعرض

فإن شعوب منطقة الشرق الأوسط راودها حلم أن تستقل وتنهض بعد :ـ وسياسيا انتهاء الحرب العالمية الثانية، لكن هذه الشعوب فقيرة مستضعفة، فإذا كان على الولايات المتحدة أن تملأ الفراغ العسكري في المنطقة، فإن الفراغ السياسي يصبح مسئوليتها كذلك، ومن أجل ملء الفراغ السياسي في المنطقة فإن الولايات المتحدة :عليها

1 ـ أن تساير القوى الجديدة في المنطقة بأن تدغدغ أحلامها بأسلوب وطريقة الحياة الأمريكية وبريقها، وتحاول مساعدتها ـ إلى حد يعطيها الفرصة للضغط عليها عن :اللزوم ـ وتقديرها أن طموح هذه القوى الجديدة لا يستند إلى بنية أساسية حديثة زراعية أو صناعية أو علمية قادرة ـ أو تراث تحرري له في الأرض جذور ـ بحيث تنطلق لتحقيق مشروعها بالطريق الديمقراطي، ومؤدى ذلك أن القوى الجديدة في الشرق الأوسط سوف تواجه ـ في الغالب ـ عقبات كبيرة تعطل أحلامها وتصيب !"الوفاء بالوعد"والتأخر في "الوعد"شعوبها بالإحباط نتيجة التناقض بين

2 ـ إن الولايات المتحدة عليها في الوقت نفسه أن تحتفظ بعلاقاتها وتدعمها مع القوى التقليدية في الشرق الأوسط؛ لأن هذه القوى هي الأقرب إلى أرض الواقع المحافظة "الراهن، يساعدها أن مسئوليتها فيه مأمونة، فهي ليست مطالبة بغير ـ ولكل تغيير "بالتغيير"، وذلك على عكس التزام قوى التجديد "على الموروث .مخاطره

يتصل بذلك وتلك حقيقة لا يصح أن تنسى ـ إن القوى التقليدية في الشرق الأوسط على "هي بذاتها السلطة الحاكمة في مناطق البترول، في شبه الجزيرة العربية ، ومعنى ذلك أن السياسة الأمريكية عليها حفظ ميزان شديد "الأقل إلى عقود قادمة

تقليدية سابقة أو تجديدية لاحقة :الحساسية بين القوى الفاعلة في الشرق الأوسط.
ـ ولأن حفظ هذا الميزان مسألة معقدة فإن مرونة السياسة الأمريكية أمامها 3
كيف يمكن لها مسايرة قوى التجديد بحيث لا تتحول إلى تهديد تجمح :امتحان صعب
به التطلعات إلى بعيد داخل المنطقة ـ أو خارجها؟
وفي المقابل كيف يمكن مساندة قوى التقليد بحيث تستطيع المحافظة على سلطتها
إلى أطول زمان ممكن، لأن هذه القوى ـ فضلاً عن سلطتها في مناطق النفط ـ
بما يؤثر على "شردت"تستطيع تثبيت قوى التجديد في مكانها، وتعطلها إذا
؟"من وجهة نظر أمريكية"استقرار وأمن المنطقة
ـ وبما أن هذا الشد والجذب بالدرجة الأولى صراع أفكار في عقول الناس 4
وقلوبهم، وبما أن ممارسته لا يمكن إدارتها بأي وسيلة من وسائل الإجبار ـ فإن
وكالة المخابرات المركزية مكلفة بإدارة معركة القرن في الشرق الأوسط، ولها كل
الصلاحيات في مسايرة قوى التجديد وحماية قوى التقليد، ولها في ذلك مساندة
مع ملاحظة أن عنف أجهزة المخابرات لا يكون في "العنف إذا دعت الضرورة
."العادة حرباً مسلحة وإنما يكون انقلاباً من الداخل
ـ ولكي يمكن إدارة معركة القرن بأمان فإن الضرورات تستوجب فك أجهزة 5
المشحونة بالخطر في المنطقة، وأولها الصراع العربي "بؤر التوتر"التفجير في
الجاهز الذي يستطيع الاتحاد "جهاز الاشتعال"فهذا الصراع هو .الإسرائيلي
السوفيتي أن يلعب به، ثم إن هذا الصراع هو كذلك مخزن الوقود الذي يمكن أن
.جماهيرها وتعبئة هذه الجماهير "لتسخين"تستولي عليه قوى التجديد
أي أن حل الصراع العربي ـ الإسرائيلي يصبح المهمة الأولى التي يجب أن تضطلع
تساعدها وزارة الخارجية ووزارة الدفاع، كل في "بها وكالة المخابرات المركزية
.دورها وبإمكانياتها

....

....

وبالفعل فإن وثائق تلك المحاولات لحل الصراع العربي ـ الإسرائيلي تتكدس تلالا]
ترتب لسلام " "العملية أو ميجا" :من الملفات السرية تحت عناوين مختلفة فيها
ترتب لصلح مصري ـ إسرائيلي " "العملية ألفا"وفيها "عربي ـ إسرائيلي عام
.منفرد[

....

....

ـ وبينما هي تؤدي ذلك كله فإن الولايات المتحدة لا بد لها أن تتحمل بالتزام قطعي 6

بريطانيا تحول إلى "تعهدا"تجاه الدولة اليهودية في إسرائيل، فهذه الدولة كانت مشروع أمريكي، ومع ذلك التحول أصبحت إسرائيل هي الدولة الأقرب في الإقليم " على ذلك "إلى النموذج الأمريكي بجانب أن تقدمها ـ وضمنه قوتها العسكرية إذا Last Resort- يجعل منها قاعدة ملجأ أخير "الموقع من شرق البحر الأبيض .تعقدت الأمور في الإقليم لسبب أو آخر بما يؤثر في مصالح وأمن الولايات المتحدة

**

ودخوله إلى البيت 1952ما بين انتخابه في نوفمبر "أيزنهاور"وفي أوائل عهد واعتماده لسياساته في الشرق الأوسط، شاءت الظروف 1953الأبيض أواخر يناير ضد منافسه " "لأيزنهاور"أن أكون في الولايات المتحدة؛ لتغطية الحملة الإنتخابية ، ثم لمتابعة توجهات الإدارة الأمريكية الجديدة بعد ظهور " "أدلاي ستيفنسون" .نتائج الانتخابات

وقد أشرت مرات من قبل إلى هذه الزيارة وإلى أطراف من وقائعها، وأهمها لقاء في المشرف على برامج "ألفريد أولمستيد"مع الجنرال "البنتاجون"وزارة الدفاع ولأن سياق هذا الحديث يستقيم أكثر باستعادة .المساعدات العسكرية الأمريكية :"معتذراً عن التكرار"وقائع هذه المقابلة وما جرى فيها، فإني أعود إلى روايتها

....

....

حاجة مصر إلى أسلحة أمريكية، وأشرت إلى أن "أولمستيد"طرحت على الجنرال] وعد بذلك أثناء لقاء أجراه في "ويليام فوستر"نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق شهر سبتمبر الماضي مع عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة في مصر بينهم إنه بناء " :وقلت .وآخرون غيرهما "جمال عبد الناصر"و "محمد نجيب"اللواء علي "على هذا الوعد يزور واشنطن الآن وفد عسكري برئاسة قائد الجناح ، وقد أتى هذا الوفد ليتفاوض عملياً فيما وعد به مساعد وزير الدفاع "صبري علي " "لكن هذا الوفد حتى الآن كما ذكر لي رئيسه .الأمريكي قبل شهور لا يفعل شيئاً إلا القيام برحلات منظمة إلى بعض القواعد العسكرية ""صبري ، والوفد الآن "مشاهدة السلاح الأمريكي والتعرف إليه عن قرب"الأمريكية بمقولة ."يطلب خطوة عملية على أساس ما جاء إلى هنا من أجله

:إليّ بصبر ثم سألني بما ملخصه "أولمستيد"واستمع الجنرال

لماذا تريدون سلاحاً قبل أن تقرروا من هو العدو؟ أنتم حتى الآن اعتبرتم "-

، ونحن "1952يوليو 23"اسرائيل عدوكم، كان ذلك قبل التغيير الثوري في مصر إذا كان رأيهما "ناصر"ولا من الكولونيل "نجيب"حتى الآن لم نعرف من الجنرال

، أو أن الدراسة العسكرية لكلا "فاروق"في العداء لإسرائيل هو ما كان أيام
، إلى جانب آمالهما للشعب المصري قد علمتهما أن 1948الرجلين وخبرتهما منذ الخطر على المنطقة ليس من إسرائيل وإنما الخطر من الاتحاد السوفيتي ومن الشيوعية.

أنتم كلكم في المنطقة دول إسلامية، والإسلام دين سماوي يتصادم مع الإلحاد الماركسي، أليس كذلك؟!"

قالها الجنرال ثم وقف من مقعده واستدار يلمس زراً كهربائياً انفتح به ستار كبير كان يبدو للناظر وكأنه جزء طبيعي من جدار المكتب، وبفتح الستار بانت خريطة بعرضه لمنطقة الشرق الأوسط وجوارها غرباً وشرقاً، وكان جوار المنطقة على الناحيتين مغطى ببقع من الأعلام والدبابيس الملونة تشير وتلفت، في حين أن وسط الخريطة ظهر سطحاً خالياً إلا من الألوان الأصلية للخريطة.

يده فتناول مؤشراً وجهه نحو غرب القارة الأوربية وقال "أولمستيد"ومد الجنرال:
"هنا حلف الأطلنطي يصد الاتحاد السوفيتي ويحصره في الشرق".

وهنا حلف جنوب شرق " :ثم وجه المؤشر إلى ناحية رسم القارة الأسيوية وقال آسيا يصد الاتحاد السوفيتي والصين".

عرضه"ثم عاد الجنرال بالمؤشر إلى وسط الخريطة - الشرق الأوسط - وواصل:"
هذه المنطقة بين القارات فراغ برغم أنها الأهم، وهي كما ترى خالية من أعلام أو " دبابيس، ترمز إلى وجود قواعد عسكرية ومطارات وموانئ ومراكز للقيادة
أي أنه لا شيء في الشرق الأوسط حتى الآن إلا الفراغ ...ونطاقات للدفاع.

إلى مقعده وركز نظره عليَّ قائلاً ببطء بقصد إعطاء "أولمستيد"وعاد الجنرال الفرصة لسامعه يتدبر ما سمع:

نحن نعرف أنك صديق للكولونيل ناصر وهو الرجل القوي في النظام المصري " الجديد، وإذا كنت تريد أن تخدم بلدك وتساعد صديقك فقل له أن يتذكر دروسه في الاستراتيجية، وأن يعرف أن أمن بلاده ليس معلّقاً بصفقة سلاح معنا، وإنما معلق بانضمام مصر إلى حلف عسكري يملأ فراغ المنطقة ويبنى حائطاً دفاعياً ضد الاتحاد السوفيتي كما حدث في أوربا الغربية وكما حدث في جنوب شرق آسيا".

باهتمام واستطرد هو "أولمستيد"وكنت أسمع الجنرال:

الحلف المرغوب فيه والمطلوب عندكم جاهز وأساسه طبيعي متسق مع طبيعة " الإقليم، الإقليم كله إسلامي، ولذلك فإن ما يطرح نفسه للدفاع عنه لا يمكن إلا أن يكون حلفاً إسلاميا".

أولمستيد"وكنت ما زلت أسمع واستطرد الجنرال:"

مصر وهي أعرق بلد :تصور لو أن حلفاً إسلامياً قام على أساس ثلاث ركائز"
إسلامي بالتجربة التاريخية - وتركيا وهي أقوى بلد إسلامي بجيش حسن التدريب
.والتسليح - وباكستان وهي أكبر البلاد الإسلامية من ناحية التعداد
هذا الحلف يستطيع أن يجذب إليه بقية شعوب ودول المنطقة - من أفغانستان حتى
والدول الإسلامية تستطيع إقامة هذا الحلف في أربع وعشرين ساعة؛ لأن .المغرب
مثلنا نحن والبريطانيين "هناك كثيرون جاهزون للمساعدة لأن أمن المنطقة يهمهم،
!"وربما قوى أوروبية أخرى
وبدا لي أن الجنرال أولمستيد لم يفرق بين أهتمامي بسماع ما يقول وبين اقتناعي
:به، فقد زاد في شرحه وفاض وصل إلى صميم الموضوع وقلبه قائلا
هذا الحلف لن يكون حلفا عسكريا فقط، ولن يكون مجرد تجمع دفاعي، وإنما "
سيكون تنظيماً له قوة جذب فكري غالب من الناحية الاستراتيجية العالمية؛ تذكر -
يشد إليه كتلاً "مغناطيس جبار"تذكروا جميعا - أن هذا الحلف سوف يكون بمثابة
لاحظ أن الجمهوريات الجنوبية .من المسلمين داخل الاتحاد السوفيتي وداخل الصين
كازاخستان - طاجيكستان - تركستان - تركمانستان - :في الاتحاد السوفيتي مسلمة
وإذا كان تعداد الاتحاد .آذربيجان - القوقاز بأسرة تقريباً - كلهم يعتنقون الإسلام
فمعنى ذلك أن داخل الدولة السوفيتية ما لا "في ذلك الوقت"مليوناً 150السوفيتي
والصين نفس الشيء - لأننا نعرف الإسلام قوي في .يقل عن ستين مليون مسلم
.غرب الصين، تقديرنا أن هناك ثمانين مليون مسلم على الأقل في غرب الصين
على جنوب الاتحاد السوفيتي "مغناطيس إسلامي جبار"- هل تستطيع تقدير تأثير
وعلى غرب الصين؟
:"أولمستيد"وختم الجنرال
في هذا الإطار مستقبلكم ومن داخله تحصلون على السلاح والمساعدات الاقتصادية،
ويصعب عليّ تصور أننا نعطيكم سلاحاً دون أن تعرفوا ونعرف نحن أيضاً من هو
.العدو الذي تستعدون له
لكم في إطار إسلامي، وإنما هي عدو "طبيعياً"تأكدوا أن إسرائيل ليست عدواً
، والحقيقة أن التناقض بينكم وبينها يظهر عندما تضعون عملكم في "مصطنع"
إطار قومي - لكنه في إطار إسلامي يزول التناقض لأن إسرائيل قريب لكم وابن عم
[!"فأنتم جميعاً أبناء إبراهيم"

**

جون "في نفس الزيارة إلى أمريكا قابلت لأول مرة وزير الخارجية الأمريكية العتيد
الذي يتأهب لزيارة الشرق الأوسط - حريصا علي "دالاس"وكان "فوستر دالاس

.أن يسمع عن أحوال المنطقة ما يستطيع سماعه قبل أن يرى بعينيه على الأرض
جاء مختصراً لم يزد على عشرين دقيقة بسبب ضيق "دالاس"لكن اللقاء مع
وقته، على أن معظم هذه الدقائق العشرين أكدت اهتمام الإدارة الجديدة بالحالة
.لهويتها ولمستقبلها "في تقديرهم"الإسلامية للمنطقة، باعتبارها المحدد الرئيسي
وحاولت أن أشرح لوزير الخارجية الجديد، أن هوية المنطقة عربية باللغة الواحدة
"إسلامي"والتاريخ المشترك على الأقل ـ وأن المحتوى الحضاري للهوية القومية
بلا جدال، وهو في معظمه إسهام ثقافات عاشت قبل الإسلام ثم آمنت به وصبت فيه
وفارس وتركيا وحتى "حافة الدولة البيزنطية"ثقافاتها مثلما فعلت مصر والشام
أوربا المسلمة في الأندلس ـ لكن وزير الخارجية الجديد لم يكن هاجزاً للكلام عن
مكونات الحضارة وإنما كان يفكر في شيء آخر وقد أفلت منه أثناء الحديث قوله
!"بحر من البترول وبحر من الدين :إن المنطقة عندكم تعوم على بحرين"
وأن للإسلام فيها دورا "الافكار "ولم يكن على بالي وقتها أنها معركة حول
"آلان دالاس"مرسوما، وأن شعارات هذا الدين على وشك أن تصبح رهينة في يد
في معركة القرن التي بدأت، وأن خطف العقائد في "جون فوستر دالاس"شقيق
!الخمسينيات سوف يسبق خطف الطائرات في السبعينات

....

....
هنري "ومن مساعد وزير الخارجية والسفير الأمريكي بالقاهرة "وفيما بعد علمت]
ـ أن إدارة أيزنهاور تأثرت في سياستها إزاء العالم العربي بدراسة قام ""بايرود
وعلى رأسهم الدكتور "شيكاغو"و "برينستون"بها فريق من أساتذة جامعتي
ـ أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة شيكاغو ـ وقد ذهبت هذه الدراسة إلى "بولك"
أن الدولة الوطنية في العالم العربي ظاهرة حديثة وهشة، وأن المنطقة عاشت إلى
الذين "بالعثمانيين"مطالع القرن العشرين تحت سلطة خلافات إسلامية انتهت
.إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى "استنبول"حكموا من
وأضافت الدراسة أنه حتى في قرون الحكم المملوكي الطويلة فإن أمراء المماليك
غطوا فجوة الشرعية في دولهم بخلفاء من بقايا العباسيين حمل كل واحد منهم لقب
."الأمير المملوك"، ومع ذلك ظل ألعوبة في يد "خليفة المسلمين"
أضافت الدراسة أيضاً أن مشايخ الدين ـ بمن فيهم علماء الأزهر ـ قاموا باستمرار
وعن طريق هؤلاء .وبين رعاياه المسلمين "المملوك"بدور الوسيط بين الأمير
المشايخ كانت الرعية ترفع للمملوك مظالمها، وإلى هؤلاء المشايخ كان المملوك
[.وأعوانه يعطون التوجيهات ضماناً للسمع والطاعة

....

....

**

لا تصنع "الاستراتيجيات"والدول العظمى لا تغير استراتيجياتها بسهولة ؛ لأن هذه بالإلهام أو النزوة، ولا تتقرر بقيام حكم أو سقوط حكم، ولا يؤثر فيها أن يذهب رئيس ويجيء رئيس، فالاستراتيجيات إملاء جغرافيا وتاريخ، وقد تتغير السياسات المعبرة عنهما لتتلاءم مع متغيرات الظروف، لكن الاستراتيجية تعلم دارسيها أن اقتراب مباشر أو اقتراب غير مباشر، مع :الأهداف يمكن الاقتراب منها عن طريقين "التضاريس"بقاء الهدف في الحالتين ظاهرا أمام عيون طالبيه حتى وإن أخذتهم إلى الطرق الدائرية!

والذي حدث في المنطقة بعد ذلك معروف ومشهور:

ـ كانت مصر تدعو إلى العمل القومي وجاءت إليه بقوى التجديد، وفي المقابل أنشأت الولايات المتحدة حلف بغداد وجمعت فيه قوى التقليد العربية مضافا إليها باكستان وإيران وتركيا :القوى الإسلامية الموالية لها في المنطقة.

، كان دالاس هو صاحب نظرية 1958- وعندما سقط حلف بغداد بثورة العراق سنة باكستان وإيران :الحلف المركزي كي يضم دول النطاق الشمالي للعالم العربي وهي معجزات تلك الفترة أن الحلف المركزي ما "على أنه من .وتركيا، وكلها إسلامية انقلاب في تركيا أطاح بعدنان مندريس لبث أن سقط بدوره، وذلك عندما قام ـ وأكثر من ذلك فإن هذه الانقلاب حاكم "داعية حلف بغداد والحلف المركزي بعده" مندريس وحكم عليه بالإعدام ونفذ حكمه!

حلف "ـ وكان أن السياسة الأمريكية توجهت في أعقاب ذلك ومباشرة إلى إنشاء صريح نقل مركزه إلى الجنوب والشرق خطوة أو خطوات، فبعد أن كان "إسلامي العراق وباكستان تركيا وإيران، جاء الحلف :حلف بغداد يجمع في عضويته كلا من وعندما "أي بدون العراق"باكستان وإيران وتركيا :المركزي ليجمع من عضويته تحول الحلف المركزي إلى الحلف الإسلامي أوائل الستينات، فقد جمع في عضويته أي بدون تركيا التي عدلت مسارها والتفتت إلى أوربا "باكستان وإيران :كلا من ـ وأخيرا وفي نهاية المطاف أمكن تشجيع المملكة العربية "ولو بالانتساب وضربتها القوية ضد الحركة القومية العربية ـ 1967السعودية ـ بعد حرب سنة "منظمة المؤتمر الإسلامي"على إنشاء.

:الورقة الرابعة
!دور خاص في الحرب الباردة :باكستان
، كانت معارك هذه الحرب "1975إلى 1955من "في ذروة سنوات الحرب الباردة
."والعالم العربي جسر واصل بين الاثنين"على أشدها في آسيا وأفريقيا
، فإنه بلدين ـ ((بأسلحة الأفكار وليس بأسلحة النار))وفي حرب قصد بها أن تدور
دولتين بقيت لهما ـ يعد كل ما جرى لسياسة الأحلاف ـ أهمية خاصة في الحسابات
.(آسيا وأفريقيا والجسر الواصل بينهما)الأمريكية لهذه المنطقة الشاسعة
البلد الأول هو المملكة العربية السعودية، باعتبارها موطن الإسلام الأصلي ○
ومع أن الإسلام هاجر شمالا في كل اتجاه ليحقق انتشاره ويصنع تاريخه ويقيم "
بقي مقر "ومهما قيل عن الانتشار والتاريخ والحضارة"ـ فإن ذلك البلد "حضارته
الحرمين الشريفين بما لهما من هيبة وقداسة، لكن وساوس المملكة ظلت تؤرقها
لأنه حينما تكون القيمة غنى فإن القيمة ذاتها تصبح مصدر التهديد لأن الطمع
!حولها يزيد
يضاف إلى ذلك أن الطبيعة خصت هذا البلد بثروة نفطية هائلة تمكنه من نفوذ
.سياسي يضيف إلى المكان مكانة يساعد عليها قيام منظمة المؤتمر الإسلامي
في شبه القارة الهندية، "دولة الإسلام"وأما البلد الثاني فهو باكستان باعتبارها ○
وقد .وربما في العالم؛ لأن الإسلام فيها هوية وطنية إلى جانب كونه عقيدة دينية
نشأت باكستان بالعداء وبالانسلاخ عن الهند في وقت كان للهند فيه وضع خاص في
حركة التحرر الوطني عبر القارات ـ وبهذه النشأة فإن باكستان شعرت بوحشة
حاولت تعويضها بصلات وثيقة مع الولايات المتحدة، وكان من هنا أن باكستان
حلف بغداد والحلف "شاركت في كل مشروعات الأحلاف الأمريكية للشرق الأوسط
ـ والمشكلة أن هذه الأحلاف جميعا تعثرت على "المركزي والحلف الإسلامي
.الطريق وسقطت، وبقيت دولة الإسلام وحيدة تبحث عن صحبة أو تبحث عن غطاء
كانت باكستان موقعا وضعته الجغرافيا ملاصقا للهند ومجاورا للصين وقريبا من
الاتحاد السوفيتي، وعلى الخريطة فإن باكستان هي أقرب نقطة من جنوب الاتحاد
السوفيتي إلى المياه الدافئة، وذلك حلم الإمبراطوريات الروسية من عصر بطرس
.الأكبر إلى عصر ستالين الرهيب
بالزيادة على ذلك ومع اشتداد الحرب الباردة، فإن موقع باكستان جعلها بالضبط في
:منتصف المسافة بين عالمين كلاهما يفور مثل بركان
.ـ عالم على الشرق منها يحتوي كوريا والهند والصين وفيتنام

ـ وعالم على الغرب منها يحتوي الدول العربية وإيران، وكانت تلك الدول ـ تلك الأيام ـ وعلى خط ممتد من القاهرة إلى طهران تعيش مرحلة من التغييرات العنيفة سياسية واجتماعية، اندلعت فيها ثورات ووقعت انقلابات ونشبت صراعات أهمها بالطبع صراع العرب مع إسرائيل.

وفي المسافة بين العالمين ـ على الشرق وعلى الغرب ـ كانت باكستان أرضا واسعة وبالطبع كانت وسماء مفتوحة تنادي القواعد العسكرية برية وبحرية وجوية. الولايات المتحدة أول الراغبين.

وكانت باكستان بحكم التاريخ ـ بعد حكم الجغرافيا ـ تكوينا إنسانيا فريدا في تركيبته، ذلك أنه حينما أصر حزب الرابطة الإسلامية ـ بقيادة محمد علي جناح على تقسيم الهند ـ لأن الحياة داخل وطن واحد غدت مستحيلة بين المسلمين والهندوس ـ فإن "اللورد "لويس مونتباتن" نائب الملك "الأخير" في الهند قام بتشكيل لجنة عهد إليها برسم خطوط تقسيم شبه القارة بين دولة هندية ـ هندوكية ـ وبين دولة جديدة إسلامية في تعبدها وصلاتها ـ وكان المبدأ الذي جرى "هندية في أعماقها" ، اعتماده عند رسم الخط الفاصل بين الدولتين، أن المناطق التي تحوي أغلبية هندوكية تبقى في الهند ـ وأما المناطق التي تكون أغلبيتها من المسلمين فإنها تتجمع مع بعضها لتصبح كيان باكستان. وكانت عملية التقسيم أشبه ما تكون بسكين يقطع في اللحم الحي، وعلى الأرض فإنه لم يكن في باكستان غير ثلاثة أقاليم إلى حد ما هما إقليم "البنجاب" وإقليم "السند" وإقليم "البنغال" " الذي انفصل عن باكستان فيما بعد وأصبح اليوم بنجلاديش، وأما بقية الدولة فقد كانت قطعة من هنا وقطعة من هناك، وإضافة تلتحق بهذه الناحية أو تلتصق بالناحية الأخرى.

وترتبت على قيام باكستان بهذا الشكل خصائص حتمية:

ـ بما أن باكستان دولة جديدة جرى سلخها عن دولة قائمة ـ إذن فهي في خطر من البلد الأصلي الذي يعتبرها جزءا منه ـ ولذلك يتعين عليها أن تحمي نفسها ضده وتلك مهمتها الأولى.

ـ نتيجة ذلك ان الجيش الباكستاني الذي جاء إلى الدولة الجديدة شتاتاً لا بد من تقويته لأنه رباط الوحدة في الداخل وحارس الأمن على الحدود، وبالتالي فهو لم يصبح فقط أهم جهاز في الدولة وإنما أصبح دولة داخل دولة.

ـ إن المخابرات العسكرية في هذا الجيش تحتاج إلى قوة نفاذ لأنها القادرة على استطلاع نوايا الهند، وعلى كشف عناصر الطابور الخامس ممن طوح بهم قرار التقسيم إلى الوطن الجديد، وبقي معهم انجذابهم سواء بالعادة أو بالحنين ـ أو حتى

.بالولاء ـ إلى الوطن الأصلي
ـ وفي الحقيقة فإن الجيش والمخابرات بدورهما المحوري في أمن باكستان الخارجي والداخلي على السواء كانا طاقة الاندفاع نحو ما شاركت فيه باكستان من وكانت هذه ."حلف بغداد ـ الحلف المركزي ـ الحلف الإسلامي"أحلاف عسكرية ومع ضرورات .غارقة إلى الآذان في العمل السري "مع استحالة الحرب"الأحلاف التخفي في حروب العقائد، فقد جرى الخلط بين الدعوة الدينية والتجسس الأمني بما .لذلك في معظم الأحيان من نتائج خطرة
ـ إنه إزاء هوية باكستان الإسلامية فإن تعميق الوطنية يتأكد بتعميق الإيمان الديني، وفي العادة فإنه عندما تتداخل السياسة في الدين، فإن شدة الضغط والرغبة في ومع أن الإيمان بالمضمون والجوهر .التوظيف ـ تحول وهج الإيمان إلى نار تعصب !عقل، فإن التعصب درجة من درجات الحمق
وكان المناخ الذي صنعته هذه الأوضاع وتأثيراتها وتفاعلاتها قد جعل باكستان وبينه ما سمعته " .مسرحاً مثاليا لما تتمناه الولايات المتحدة الأمريكية وتطلبه في مكتبه وأمام خريطته داخل البنتاجون سنة "أولمستيد"بنفسي من الجنرال وضمنه خطة المغناطيس الإسلامي الجبار الذي يجذب إليه كتلا إسلامية 1953 ."تعيش في جنوب الاتحاد السوفيتي ـ وقرب الصين الشعبية
**
وهكذا أصبحت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لاعبا رئيسيا في باكستان، وكذلك أصبحت هيئة الاتصال العسكري بين قيادة القوات المسلحة الباكستانية وبين عملا مشتركا لقيادة عمليات مقرها " "أيزنهاور"وفي عصر رئاسة " .البنتاجون :ـ وجرى تقسيم العمل "مدينة بيشاور

- تولت باكستان مهمة الاتصال بعناصر المقاومة الإسلامية للدولة السوفيتية في الجمهوريات الجنوبية للاتحاد السوفيتي، وكانت بعض هذه العناصر على حق في مقاومتها للدولة السوفيتية التي طبقت سياسة نزعت إلى طمس الأثر الإسلامي في .أقاليم ساهمت بنصيب وافر في التراث الحضاري للإسلام

وكانت المخابرات الباكستانية قادرة على الوصول ـ بالمسالك الجبلية والوسائط .القبلية عبر أفغانستان ـ إلى جمهوريات طاجيكستان، وأوزبكستان، وتركمانستان
وفي هذا الإطار قامت المخابرات الباكستانية ووراءها المخابرات المركزية الأمريكية على تشجيع وإنشاء جماعات تنفذ أشكالا من عمليات المقاومة تنبه ـ على .الأقل ـ إلى وجود معارضة إسلامية حية وفاعلة
الإسلامية جنوب الاتحاد السوفيتي كانت لها حجة مشروعة ـ "المقاومة"ومع أن

فإن القوى الوافدة التي جاءت لمساعدتها كانت موضع شبهة؛ لأن دافعها لم يكن حفاظا على الإسلام أو حرصا عليه، وإنما كان خطط حرب خفية تدور في الأفكار - ولا بأس فيها من شرر نار طالما كان محصورا وبعيدا عن الكبار - ومن المفارقات أن الاتحاد السوفيتي أصبح مكتوباً عليه أن يتألم في صمت، لأنه إذا اشتكى كشف ضعفه حتى إذا نجح في إثبات سوء نية خصمه.

والذي حدث هو أن السلطة السوفيتية راحت تقمع - وفي نفس الوقت تداري، وفي مقابل ذلك فإن نشاط المخابرات الباكستانية والأمريكية راح يواصل ضغوطه ويزداد إصرار.

**

"2يو "وفي هذا الإطار وداخله بدأت طائرات التجسس الأمريكية الجديدة من طراز - التي تحلق على ارتفاع عال لا تطوله الدفاعات السوفيتية - تقوم بمهام استطلاع في العمق الشرقي للاتحاد السوفيتي، وتلك هي المناطق التي اختارتها الدولة فقد أراد السوفييت إبعاد هذه .السوفيتية لمنشآتها العسكرية النووية والفضائية المنشآت إلى أقصى ما يمكن عن أوربا الغربية حتى لا يطولها التجسس الأمريكي، وذلك أقصر طريق إلى "وعبر أفغانستان "شمال باكستان" "بيشاور"والآن ومن وجدت الولايات المتحدة منفذاً سالكاً مفتوحاً أمامها لتطل وتراقب "قلب روسيا الموقع الحساسة للقوة السوفيتية.

يو "تواصل عملها بطائرات "بيشاور"وقد ظلت مهام الاستطلاع والتجسس من ، حين تمكن صاروخ روسي من إسقاط إحداها، وتكتم 1960حتى ربيع سنة "2 في "أيزنهاور"السوفييت على أسر قائد الطائرة وحطامها، حتى فوجئ الرئيس باريس وأثناء افتتاح مؤتمر قمة للأربعة الكبار في العالم، وبالزعيم السوفيتي يصرخ في وجهه ويرمي أمامه على المائدة بصورة تبدأ بقائد "نيكيتا خروشوف" ملقى على الأرض ثم ممددا على "فرانسيس باور"طائرة التجسس الكولونيل سرير مستشفى ثم جالساً أمام صحفيين عسكريين، ومجموعة كبيرة لصور أخرى التقطتها الآت التصوير الدقيقة لطائرة التجسس وتظهر فيها تفاصيل بعض المنشآت "أيزنهاور"ويصف "خروشوف"العسكرية مبينة وكاشفة - وبعد الصراخ يمضي ورئيس الوزراء البريطاني "شارل ديجول"على مسمع من الرئيس الفرنسي وهذه هي الأدلة "كذاب ومنافق"بأنه "هارولد ماكميلان"!

**

في تلك الأوقات كان تدخل الجيش الباكستاني في شئون الحكم طاغياً، وكانت لهذا التدخل ذرائع جاهزة، فهو حارس الدولة الإسلامية وسط المخاطر، وهو الأمين على

العقيدة بالمسئولية عن دولتها، وهو الشريك الرئيسي في التحالف الباكستاني الأمريكي، وخصوصا جانبه الأمني!

وأدى ذلك إلى تكرار الانقلابات العسكرية، وفي الحقيقة فإنها لم تكن انقلابات بالمعنى الدقيق للانقلاب، ذلك أن الذي قام بها في جميع الأحوال قيادة الجيش التي وجدت في بعض الظروف أن الساسة المدنيين ليسوا على مستوى الكفاءة المطلوبة للدولة ـ وكذلك قررت أن تتدخل لإزاحة هؤلاء الساسة المدنيين بغرض ضبط الأمور وتقويمها، وذلك تكرر من انقلاب الجنرال "أيوب خان" وحتى انقلاب الجنرال "برفيز مشرف".

ومن اللافت للنظر أن الجيش الباكستاني كان هو ـ أيضا ـ عنصر الوصل الأهم في "الصحبة بين الدولتين الحائرتين "إسلاميا": السعودية وباكستان.

○ ومن ذلك أنه حين أحست الأسرة الحاكمة السعودية بالخطر من ضغط الحركة القومية عليها وتأثيرها المحتمل على القوات المسلحة السعودية ـ فإن الملك "فيصل" بمشورة أمريكية، استعان أو استأجر فرقتين من الجيش الباكستاني تتولى مدرعاتهما حفظ الأمن: أمن المملكة وأمن الأسرة.

وحتى هذه اللحظة لا تزال هناك قوات باكستانية تشارك في الأمن السعودي.

○ وفي إطار تلك الصحبة وعندما بدأ الجيش الباكستاني يشعر أن الهند تتقدم نوويا، وغيرها "وأن دولة الإسلام تحتاج قنبلتها الذرية حتى تصمد وتردع ـ فإن السعودية "بادرت تساعد، وربما أنه كانت هناك رغبة أن تكون أول "من الدول الإسلامية قنبلة ذرية ذات هوية إسلامية ـ وليس بالتحديد عربية ـ وكأن الأسلحة لها ـ في حد "ذاتها ـ معتقدات".

وكذلك فإن الصحبة بين البلدين الحائزين إسلاميا: باكستان والسعودية أصبحت متجاوزة لدعوى العقيدة، وثيقة بمطالب الأمن والدفاع، وكان الصديق الأمريكي للاثنين سباقا باستمرار يمهد ويشجع ويساعد. ويرضى في بعض الأحيان عن الفعل "المشترك" كما هو الحال في وجود فرق باكستانية لحماية الداخل السعودي"، ولا "يرضى في أحيان أخرى" حين يجد أن المشروع النووي الباكستاني بمساعدات "إسلامية بتقدم ويهدد الموازين الحساسة في المحيط الهندي".

:الورقة الخامسة
سقف العالم :أفغانستان

وسط معمعان الحرب الباردة ومع خطط إثارة الفتنة في الجمهوريات الجنوبية الإسلامية ـ للاتحاد السوفيتي أصبحت أفغانستان على صعوبة أرضها وعزلة شعبها، جسرا مزدحماً بأكبر عملية مخابرات سرية جرى تدبيرها وتنفيذها طوال القرن العشرين.

....
....

وأثناء زيارة رسمية قام بها جمال عبد الناصر إلى الاتحاد 1968وأتذكر سنة] السوفيتي يطلب مزيداً من السلاح؛ لأن الجيش المصري أتم مرحلة الدفاع على جبهته، وبدأ يستعد لعبور قناة السويس تحقيقاً لهدف إزالة آثار العدوان ـ أن الزعيم قال لجمال عبد الناصر أثناء جلسة المحادثات "ليونيد بريجنيف"السوفيتي إنه يريد أن يذهب معه إلى جناحه في قصر الضيافة؛ لأن لديه موضوعا :الرسمية ."يرغب في بحثه وهو يحمل في شأنه رجاء من القيادة السوفيتية

.واتضح أن طلب بريجنيف ورجاء القيادة السوفيتية لهما صلة بأفغانستان

:"علي صبري"من واقع ملخص للاجتماع كتبه السيد "بريجنيف"وكان ما قاله إن القيادة السوفيتية منزعجة من زيادة النشاط المناوئ للدولة في المناطق " الجنوبية من البلاد، وهذه المناطق في غالبيتها إسلامية، والنظام السوفيتي منذ إقامته احترم عقائد وشعائر كل الأديان، ولم يتدخل في حرية أصحابها وحقهم في وأنت يا سيادة الرئيس ذهبت بنفسك في زيارة سابقة إلى طشقند "معتقداتهم، ."وزرت مساجدها والتقيت بشيوخها وصليت معهم واستمعت إليهم

وهي على استعداد لوضعها تحت "والحكومة السوفيتية لديها معلومات موثقة ، وكلها تؤكد أن هناك جهداً منظماً تقوم به "تصرف صديقنا الرئيس ناصر .ليس هناك ما يدعوا له "عدواني"المخابرات الباكستانية لإثارة تعصب ديني

والمخابرات الباكستانية في ذلك مدفوعة بالمخابرات المركزية الأمريكية ونحن لا نعرف ما الذي يدعو باكستان إلى مثل هذه المغامرات، وقد سألنا رئيس باكستان إن ما يجري " :ما السبب الذي يدعوهم إلى ذلك، وكان رده "أيوب خان"الجنرال ليس سياسة الحكومة الباكستانية لكنه يعرف أن هناك عناصر في الجيش ."الباكستاني غاضبة من المساعدات العسكرية التي يقدمها الاتحاد السوفيتي للهند
."يستكمل بريجنيف كلامه وفق الملخص الذي كتبه علي صبري"
إن دوائر عربية معينة بدأت تدخل في جوانب من هذه الأعمال المعادية للسوفييت، " وقد لاحظنا أن بعض الجهات السعودية وفرت أموالاً لبناء عشرين مسجداً في كازاخستان، ونحن لا نعترض على أي نوع من علاقات التعاطف بين المسلمين في الاتحاد السوفيتي وأبناء دينهم خارجه، ولكننا نريد أن نستفهم من أصدقائنا العرب نحن .عن الهدف الذي يقصدون إليه في تعاملهم مع المسلمين في الدولة السوفيتية نظن أننا نساعد العرب والمسلمين في معركتهم لتحرير أرضهم من عدوان إسرائيل ـ بتحريض الولايات المتحدة، كما أننا نساعد على التوصل إلى حل عادل لحقوق الشعب الفلسطيني في أرضه وفيها مقدسات إسلامية عزيزة عليهم ـ لكننا في بعض :المرات نجد أن فهمنا للأمور يتعثر
نحن نساعد القضايا العربية بقدر ما نستطيع، لكننا نجد على الجانب العربي بعض أخيرا صادرنا شحنات من كتب وصل عددها إلى ...المرات تصرفات نستغربها مليون، وقال خبراؤنا أن بينها مائة ألف مصحف وبقيتها كتب في الدعوة والتفسير، وقد سمحنا بالمصاحف؛ لأن المصحف كتاب مقدس، ومع أنه باللغة العربية ولن يعرفها أحد في جمهورياتنا الجنوبية سوى حفنة من الناس ـ فقد كان تقديرنا أن الناس يسعدون باقتناء الكتب المقدسة حتى وإن لم يستطيعوا قراءتها ـ أما بقية الكتب فقد تحفظنا عليها في المخازن، وقد رصدنا في أعقاب ذلك ظهور منشورات ."تحرض الناس على السلطة لأنها تصادر كتباً عن المعتقدات
إنه يشعر بأن الأصدقاء " "طبقاً لملخص المحضر"وقال الرئيس عبد الناصر فتوزيع المصاحف على أوسع نطاق مفيد روحيا :السوفييت يبالغون في الحساسية لكل الناس، وأما بقية كتب الدعوة والتفسير فإن مصادرتها خطأ لأن ما فيها معروف ومحفوظ، ثم إنه إذا كان الناس لا يقرءون العربية إذن فليست هناك من ."الأصل مشكلة
ومع ذلك وعد الرئيس عبد الناصر أن يتصل في هذا الشأن بالملك فيصل، وكذلك ."داود خان"برئيس باكستان ورئيس وزراء أفغانستان السردار
."وذلك تم بالفعل وقامت الرئاسة في مصر بإبلاغ القيادة السوفيتية بنتائجه"

**

كانت أفغانستان جسراً غربيا، لكنه جسر مرصوف ومهيأ لكي تمشي عليه الفتن وتتحرك المؤامرات، لأن طبيعته الجبلية، ووديانه شبه المغلقة على نفسها بالقمم العالية، ومناخه القاري القاسي ـ يجعله نموذجياً للمطلوب منه، فهو معزول وعازل، مطروق وإن كان بصعوبة ـ سالك ولكن بشروط، وأهم هذه الشروط هو التوافق مع نفر من أهل البلد الذين يعرفون المداخل والمسالك، وهم جميعا تركيب إنساني يمتزج فيه الضعف بالقوة، والخيال بالقسوة، والغنى النفسي بالفقر المادي، والكبرياء الفردي بالولاء القلبي، وما يترتب على ذلك كله في التعامل مع القوى !وذلك يفتح للتعامل معهم وسائل وأساليب .داخل البيت وخارجه

ـ كما كان يقول اللورد كيرزون نائب "في قلبها"وموقع البلد وسط آسيا تماما ـ الملك في الهند مع بدايات القرن العشرين، ثم إن الموقع هضبة مرتفعة تطل على "ماركوبولو"شبه القارة الهندية وعلى القوقاز وعلى الصين وعلى إيران، حتى أن ."سقف العالم"وصف أفغانستان بأنها "الإسطوري"الرحالة الإيطالي

وأهل البلد أعراق وقبائل بعضها في أفغانستان وبعضها وراء حدودها، حتى تكاد .أفغانستان أن تكون ثلاث مناطق عرقية مقسومة بعرض البلد بخطوط شبه فاصلة من العرقين الطاجيكي والأوزبكي، بعضهم في أفغانستان وبعضهم في :ـ الشمال .طاجيكستان وأوزبكستان "في ذلك الوقت"جمهوريات الاتحاد السوفيتي الجنوبي وثم بقايا هجرات مغولية عبرت من "الحرازا"ينتمي إنسانياً إلى عناصر :ـ الوسط .الشرق إلى الغرب واستقرت جحافل منها في أفغانستان وفاضت على شرق إيران بأكمله من قبائل البشتون وأرض هذه القبائل ولغتها وثقافتها عائلة :ـ والجنوب .واحدة مع شمال باكستان

.وفي كل منطقة من هذه المناطق الثلاثة مدينة رئيسية هي الواجهة وفيها المفتاح عاصمة "هيرات"مدينة الشمال وهي طاجيكية أوزبكية ـ ومدينة "مزار شريف" تمثل مجتمعاً "هيرات"الوسط وهي شيعية فارسية، وفي وقت من الأوقات كانت "قندهار"يعكس صورة مصغرة للبلاط الشاهنشاهي في طهران ـ بمقدار ما أن "بيشاور"عاصمة الجنوب توشك رغم بعد المسافات أن تكون ضاحية من ضواحي عاصمة إقليم الحدود الشمالية الشرقية في باكستان وهو الإقليم الذي أضفت عليه لمسة من الغموض "ريدارد كيبلنج"قصص وأشعار الكاتب البريطاني الشهير إن الشرق " :استوحى كيبلنج عبارته المأثورة بـ "بيشاور"المثير، وربما أنه من !"شرق والغرب غرب ولن يلتقيا

وقد عاشت أفغانستان تاريخها الحديث وسط صراع الإمبراطوريات التي تسابقت

:إلى التوسع في آسيا طوال القرن التاسع عشر
.- الإمبراطورية البريطانية تحاول تدعيم مواقعها حول درة التاج الغالية في الهند
- وروسيا القيصرية تضغط جنوباً بأمل الوصول إلى المياه الدافئة في المحيط
.الهندي بعد أن أكملت توسعها شرقاً وأطلت على المحيط الهادئ
- وفرنسا في الهند الصينية تحاول أن تقفز فوق الجبال نحو المواقع الأعلى لتراقب
.ما تفعله بريطانيا وما تفعله روسيا
والطبيعة الأفغانية قاسية إلى درجة جعلت اللورد كيرزون نائب الملك في الهند
لا داعي لاحتلال " :يلخص منطق الإمبراطورية قائلاً "أوائل القرن العشرين"
!"أفغانستان، ألا رخص أن نشتريها
وكان شراء أفغانستان ممكنا؛ لأن توجهات الأجناس متضاربة، وولاءات القبائل
لمن يقدم السلاح والذهب، وكان الشعب الأفغاني أول من وصف أحواله بقسوة،
إن الله حين خلق الطبيعة والناس، ووزع أجناس الأرض " :ومنها قول ذائع مؤداه
بقايا طبيعية وبقايا إنسانية وقد أخذ كل :على أقاليمها وجد عنده بقايا من كل شيء
هذه البقايا وطوّح بها وسقطت كلها كومة واحدة على كوكب الأرض في مكان أصبح
!"اسمه أفغانستان

....

....

ظاهر "وأتذكر المرة الوحيدة التي زرت فيها أفغانستان والتقيت بآخر ملوكها]
في قصره وسط كابول، وبدا لي الرجل - رغم مظاهر البروتوكول الصارمة "شاه
إنني مبهور بالأجواء الأسطورية " :في بلاطه - بسيطاً وادعا، وعندما قلت له
لسوق كابول الذي زرته قبل أن أتوجه إلى القصر للقائه - تبسم الملك برقة ورد بما
يخشى أن الجو الأسطوري الذي يراه الزائرون لبلاده يلفتهم عن "معناه أنه
."الحقائق فيها
.محقاً فيما قاله بأكثر مما تصورت حين سمعت منه "ظاهر شاه"وكان الملك
وفي تلك الزيارة وبعد أيام من لقاء الملك كانت لدى فرصة أن أطوف وأرى - وقد
في موقعه - معتقل في "معتقل"أصابني شعور لم يغب طول الوقت بأن البلد
- أياماً فوق ما قدرت - أنتظر الطائرة القادمة "كابول"تاريخه، وقد ظللت معطلا في
تخت "، فالعاصمة الأفغانية تحيط بها سلسلة جبال شاهقة يسمونها "بيشاور"من
في "بيشاور"- تلك الأيام - تجيء من "كابول"، والطائرة الوحيدة إلى "سليمان
لكن الطائرة لا بد أن تجد لها فتحة بين الضباب والجبل .الضحى وتعود عند الظهر
وكان أول ."تخت سليمان"حتى تنفذ بينهما إلى مطار كابول على هذه الناحية من

ما أفعله كل صباح أيام الانتظار أن أقصد إلى ساحة قريبة من الفندق ـ الخان ـ الذي وبين قاع "تخت سليمان"أقيم فيه وأتطلع ببصري إلى أعلى أقيس المسافة بين السحاب، وأتساءل إذا كانت تسمح للطائرة أن تمر أو تعوقها؟ ـ وتثاقلت ثلاثة أيام والجو مغلق، وفي اليوم الرابع سمعت أزيز محركات الطائرة، وأعددت حقيبة السفر وهرعت بأسرع ما استطعت إلى المطار قبل أن تنزل كتل الضباب مرة أخرى تلف الذرى العالية وترقد فوقها على تخت سليمان!]

....

....

وفي أزمنة مستجدة فإن نشاط المخابرات الباكستانية والمخابرات الأمريكية عبر الجسر الأفغاني إلى الجمهوريات الإسلامية جنوب الاتحاد السوفيتي، ظل يتسع ويتزايد ويخلق مشكلاته وعقده، ويصنع توتراته وأزماته، حتى ازدحمت الأجواء "كابول"وضاقت بها سماء.

وهو ابن عم للملك وصهر له ورئيس "داود خان"والذي حدث أن السردار لوزرائه راح يحاول إقناع الاتحاد السوفيتي بمساعدة أفغانستان ومساعدة نفسه ذات الوقت عن طريق تقديم أسلحة للجيش ومساعدات أفغانستان ومساعدة نفسه ذات الوقت عن طريق تقديم وساعد، ربما لأنه أراد أن يتوقى من بعيد ويصد التي تهب عبر أفغانستان "الإسلامية"التيارات.

لكن نشاط المخابرات الأمريكية والباكستانية على الجسر ـ وفي طبيعة أفغانستان وأحوالها وأجوائها ـ اخترق كل شيء أمامه، وإذا رئيس الوزراء يطيح بالملك، ثم يعلن أفغانستان جمهورية، وينصب نفسه رئيساً لها ويحاول أن يحكم بيد من حديد داود "تضبط الإسلاميين الأصوليين، وتحجم العلمانيين اليساريين، وكانت مهمة مستعصية بين يمين يهرب إلى الجهل ويسار يندفع إلى المجهول "خان!

الواقع بين المطرقة والسندان قد سقط "داود خان"وفي ظرف أقل من سنتين كان ضحية انقلاب يساري ساندته مجموعة من ضباط الجيش الذين درسوا في الاتحاد السوفيتي!

*

ولم تكن تلك كما بدا على السطح نكسة للمخابرات الباكستانية والمخابرات المركزية الأمريكية ـ بل على العكس ـ فإنها بدت فرصة ملائمة بل وهدية من السماء إذا أحسن استغلالها؛ لأن النظام اليساري ـ وعناصره من الشيوعيين ـ هدف حي ومستفز يشجع على التصويب نحوه علنا وسرا!

ومع أوائل السبعينات كانت أفغانستان في حالة احتقان:

ـ المجموعة اليسارية الشيوعية تمارس الهواية الدائمة للحركات اليسارية وهي الانقسام والتشرذم والتفتت إلى درجة أن الفصيل الواحد يصبح ألف شظية!
القائد المختار لرئاسة الانقلاب اليساري الأول ما لبث أن "محمد تراقي"ـ كذلك فإن والداعي أن المقاومة الإسلامية للنظام .سقط ليحل محله ضابط أقوى منه شكيمة راحت تقوى وتنظم نفسها في تشكيلات مقاتلة، رفعت صيحة الجهاد، وراحت تطلب وكانت المخابرات الباكستانية والأمريكية جاهزة .المساندة من ناحية الجسر الأخرى تلبى أي طلب وتزيد عليه.
ـ ثم تأزمت الأمور وتعقدت عندما فوجئ الكل بقيام الثورة في إيران وإعلان دولتها من فوق عرش الطاووس "محمد رضا بهلوي"الإسلامية في طهران، بعد سقوط. ووسط تلك التعقيدات وخشية تأثيرات الثورة الإيرانية على الجنوب الإسلامي في الاتحاد السوفيتي، دفع السوفييت إلى قمة السلطة بضابط من غلاة الشيوعيين هو الذي لم يكد يدخل القصر الجمهوري، حتى دعا الجيش السوفيتي "بابراك كارميل" إلى دخول أفغانستان بحجة أن الخطر داهم، وأن نشاط المخابرات الأمريكية والمخابرات الباكستانية على وشك أن يحدث انقساماً في الجيش الأفغاني يمهد الطريق ويفتحه لعناصر في كابول مستعدة للتفاهم مع الولايات المتحدة.

الورقة السادسة:

موسكو تقع في الفخ الأفغاني!

لم يكن قرار القيادة السوفيتية بدخول الجيش الأحمر إلى أفغانستان سهلا، بل كان والحقيقة أن .اختيارا بالغ التعقيد فرض عليها ما لم تكن مستعدة له أو متفقة عليه قرار التدخل أحدث انقساماً داخل المكتب السياسي للحزب الشيوعي، كما أنه أوقع وطبقاً .خلافاً بين المكتب السياسي وبين القيادة العليا للقوات المسلحة السوفيتية بوريس "التي فتحت ملفاتها قبل أوانها بأمر من الرئيس الأسبق "للوثائق
ـ فإن أول "بقصد تحديد المسئوليات في النهاية المؤلمة للنظام الشيوعي "يلتسين إشارة واضحة عن احتمال دخول الجيش السوفيتي إلى أفغانستان وردت في مذكرة الممثل الرئيسي للمخابرات السوفيتية في كابول "ليونيد شيبارشين"من الجنرال مع "حفيظ الله أمين"تشير إلى إتصالات سرية يقوم بها الجنرال "والمذكرة الإسلامي نهايتها تمكين عملاء المخابرات الأمريكية من مقادير "قيادات التمرد" تشرح "بابراك كارميل"البلاد، وتظهر بعد ذلك في الوثائق السوفيتية رسائل من خطورة الأوضاع في كابول، ثم تتحدد الخطوط أكثر في مذكرة مشتركة قدمها إلى المشرف على الأمن "يوري أندربوف" :المكتب السياسي أربعة من أعضائه هم

نائب "ديمتري أوستينوف"وزير الخارجية، و "أندريه جروميكو"الداخلي، و
.مسئول الشئون العقائدية "بوريس بوناماريوف"رئيس الوزراء ووزير الدفاع، و
أن الموقف في كابول يقتضي دخول قوات "وفي هذه المذكرة أبدى الساسة الأربعة
من الجيش السوفيتي وإلا فإن أفغانستان سوف يجري تسليمها للولايات المتحدة
الأمريكية وعملائها بكل ما يعنيه ذلك من انكشاف يعرض للخطر أمن الجمهوريات
."الإسلامية"السوفيتية الجنوبية

وعندما عرضت المذكرة ـ وهي مكتوبة بخط اليد ـ على اجتماع المكتب السياسي
ـ "سوسلوف" :ـ اعترض عليها خمسة من أعضائه وهم 1979ديسمبر 25يوم
وكان رئيس المكتب ."تيخونوف"ـ و "بلش"ـ و "كيرلينكو"ـ و "جريشين"و
موزعاً بين الفريقين، والداعي "ليونيد بريجنيف"السياسي وهو الزعيم السوفيتي
إلى حيرته أن ثلاثة من كبار القادة العسكريين الذين حضروا اجتماع المكتب
السياسي اعترضوا هم ـ أيضاً ـ على إدخال الجيش السوفيتي أو وحدات منه إلى
ـ "نيكولاي أوجاركوف"المارشال :، وكان الثلاثة هم"ساحة الفوضى الأفغانية"
من رئاسة أركان حرب الجيش ـ والجنرال "سيرجي أخرامويف"والمارشال
زعيم "وهو المستشار العسكري لرئيس المكتب السياسي "فالنتين فادينيكوف"
."الاتحاد السوفيتي

"بريجنيف"ديسمبر وعند الظهر انضم 26و 25وطالت المناقشات طوال يومي
إلى معسكر الداعين للتدخل، وبانضمامه إليهم رجحت كفتهم وصدر القرار، ومع
نزلت وحدات من الجيش السوفيتي بالطائرات 1979ديسمبر 26غروب مساء يوم
، كما أن فرقة مدرعة من هذا الجيش بدأت عبور الحدود بسرعة "كابول"في مطار
.متوجهة إلى العاصمة الأفغانية

*

إلى "جيمي كارتر"نزل الرئيس الأمريكي 1979ديسمبر سنة 27وصباح يوم
مكتبه البيضاوي في الساعة السادسة والنصف كما هي العادة كل يوم ليجد
في انتظاره بنفاد صبر، ومع "زبجنيو برجينسكي"مستشاره لشئون الأمن القومي
أن ذلك الاجتماع الصباحي موعد مقرر كل يوم بين الرئيس ومستشاره، فإن
من النوم من (برجينسكي)فقد أيقظه .كان يعرف أن أخبار مثيرة تنتظره "كارتر"
، وكذلك كان (الجيش السوفيتي دخل أفغانستان)الساعة الثانية صباحا ليخطره بأن
يتوقع ـ وقد مرت أربع ساعات ونصف على هذا الإخطار المبدئي ـ أن (كارتر)
"سيلا من التفاصيل"مستشاره للأمن القومي ينتظره في المكتب البيضاوي حاملاً
.للعرض وللقرار :"قائمة من الخيارات"و

....

....

ومن المصادفات أنني سمعت بنفسي بعد عشر سنوات تفاصيل حوار الرئيس]
الأمريكي مع مستشاره للأمن القومي، وقد سمعتها من الطرف الأقدر على روايتها
نفسه، ووقتها كنا في أحد صالونات السفارة المصرية "زبجنيو برجينسكي"وهو
- والسفير في ذلك الوقت هو وزير الخارجية 1989نوفمبر 18في موسكو ليلة
."أحمد ماهر"المصري الحالي
تشهد "أيام جورباتشوف وفترة الجلوسنوست أو الشفافية"وقتها كانت موسكو
اجتماعات مصارحة بين الروس والأمريكان، وكانت الاجتماعات تحت قيادة رجلين
:كلاهما يعرف الخبايا
السفير السوفيتي في واشنطن لربع قرن، وهو عضو في "أناتولي دوبرينين"
.المكتب السياسي مع جورباتشوف - على الناحية السوفيتية
للأمن "كارتر"مستشار "زبجنيو برجينسكي"وأما على الناحية الأخرى فقد كان
.القومي - هو الذي يتصدر المجموعة الأمريكية
الروسية :بيقظة دبلوماسي مجرب قد دعا المجموعتين "أحمد ماهر"وكان
والأمريكية إلى العشاء في بيت السفارة المصرية، وكان السفير الأمريكي في
وكنت - الضيفين الوحيدين من خارج مجموعتي "ماتلوك"موسكو وقتها
!"المصارحة"
أن الدبلوماسية في "أناتولي دوبرينين"وعلى مائدة العشاء دار كلام لاحظ فيه
الزمن الجديد تقتضي تشاوراً مسبقا بين الأطراف لا تتخفي فيه النوايا وراء
العبارات المبهمة، لأننا في عصر لم يعد في مقدور طرف أن يخبئ فيه شيئاً، وأن
الزائدة في السرية كما كان في عهود سابقة لم يعد لهم لزوم؛ لأن "الشطارة"
تصرفات الأطراف في أي زمة تدل عليها الخيارات المفتوحة أمامهم وضمنها
مناخ السرية قد يوقع الجميع وبينهم أصحابه في خطأ "ثم إن .حسابات قوتهم
، "التقدير وكذلك تبدأ ردود أفعال تصعب السيطرة عليها وتؤدى لأوخم العواقب
على سبيل التدليل إلى قرار دخول الجيش السوفيتي إلى "دوبرينين"وأشار
أفغانستان، وكيف أن سرية التصرف ومفاجآته أوقعت الطرف الأمريكي في خطأ
كبير عند تقدير النوايا السوفيتية، بمعنى أن السوفييت اعتبروا دخولهم إلى
هجوميا وتصرفوا على "قدروه"أفغانستان إجراء دفاعياً محضا، لكن الأمريكان
."هذا الأساس
وبعد أن غادرنا مائدة العشاء وجلسنا لتناول القهوة ومعها أحاديث السهرة، في

"دوبرينين"ولـ "برجينسكي"ركن من الصالون الرئيسي لبيت السفارة، قلت لـ معا أن حكاية الدخول العسكري السوفيتي إلى أفغانستان والرد الأمريكي عليه واقعة مهمة في سياق الحرب الباردة تساوي التقصي والتدقيق، ولذلك أستاذنهم في العودة إليها.

والشاهد أنني لم أكن في حاجة إلى أكثر من سؤال واحد وجهته لدوبرينين، ورد صحيح ما زال اعتقادي أن أصدقاءنا الأمريكان أخطئوا في " :بقوله :عليه بقوله كان إجراؤنا دفاعياً صرفا وكان ذلك ظاهرا أمامهم، لكنهم أخذوه :تقدير نوايانا تدخل وأفاض "برجنيسكي"ثم كان أن !"هجوميا وعدوانيا وكذلك فعلوا ما فعلوا وحين "في الحديث ولقرابة ربع الساعة راح يتكلم ونحن جميعاً نصغي دون مقاطعة أن يتدخل في الحديث وجدتني دون قصد أشير "ماتلوك"حاول السفير الأمريكي ."إليه بيدي راجياً منه أن لا يقطع تدفق الرواية واستجاب الرجل

وبأسلوبه الذي تتدافع فيه العبارات وتتماسك الألفاظ وتجيء "برجنيسكي"قال :مخارج حروفها قائمة محددة موجها كلامه في البداية لدوبرينين

عملا "ديسمبر تقدير نواياكم باعتبارها 27كيف كان يمكن لي ـ أو لغيري ـ فجر " ـ بينما كانت الشواهد أمامنا تقول بعكس ذلك؟ "دفاعياً

:يستطرد برجنيسكي وقد عاودته حرفته القديمة أستاذاً للعلوم السياسية

كانت الأجواء في المنطقة شديدة التوتر بقيام الثورة الإسلامية في إيران :أولاً ○ العرش والحكومة والجيش ـ في يد :ونجاحها وسقوط النظام الإيراني بكل مؤسساته آية الله الخميني قائد الثورة الإسلامية الذي راح يهاجم أمريكا باعتبارها الشيطان الأكبر، ولم تمض أسابيع حتى أنتج التحريض أثره وإذا السفارة الأمريكية في طهران ـ تقع تحت الحصار ويتحول كل من فيها رهائن لشباب إسلامي غاضب.

إنكم تدخلتم في حرب أهلية أفغانية بين :"موجها كلامه لدوبرينين"وثانيا ○ حكومة شيوعية وأغلبية من السكان مسلمة، وقد وجدناكم ذات صباح تقتحمون حدود أفغانستان وإذا القوات السوفيتية طرفاً في هذه الحرب الأهلية ـ ضد المسلمين!

الذي "إنني شخصياً وغيري من أعضاء مجلس الأمن القومي الأمريكي :وثالثا ○ قدرنا أنه لا يمكن أن يكون تدخل ."دعوته قبل اجتماعي الصباحي مع الرئيس الجيش السوفيتي نهاية النهاية في أفغانستان، وإنما لا بد أن يكون دخولكم بداية البداية.

:"برجينسكي"يستطرد

ديسمبر سألني عن تقديرنا 27صباح "كارتر"وعندما جلسنا أمام الرئيس "

لنواياكم وقلت له:
" سيادة الرئيس نحن أمام جيش سوفيتي يزحف جنوباً في أفغانستان ـ وأفغانستان هي أقرب طريق للسوفييت إلى المحيط والخليج، ونحن لا نستطيع على الإطلاق وبضمير مستريح أن نقطع بأنهم لن يذهبوا إلى أبعد من أفغانستان، وحتى من أفغانستان فإنهم اقتربوا أكثر مما ينبغي من المياه الدافئة للمحيط الهندي ومن منابع النفط في الخليج وذلك يدعونا إلى التصرف وتصرفنا يكون له هدفان:
الهدف الأول: وقف السوفييت لا يتقدمون بعد أفغانستان.
والهدف الثاني: إرغامهم على التراجع والخروج من أفغانستان.
وبصراحة فإنني قلت للرئيس أيضاً:
" سيادة الرئيس إن الروس وقعوا في فخ، وتلك فرصتنا كي نرد لهم جميل فيتنام، ولذلك يتعين علينا أن نعمل على سد الطرق أمامهم بحيث تتحول أفغانستان إلى مصيدة لا يخرجون منها إلا بفضيحة تهز هيبة الدولة السوفيتية وتكسر شوكتها".

الورقة السابعة:
أنجح عملية مخابرات في القرن العشرين:

انعقد مجلس الأمن القومي 1979 ديسمبر 27 في الساعة الثانية من صباح يوم بحضور الرئيس "كارتر" "لبحث الدخول العسكري السوفيتي في أفغانستان واستعراض الخيارات المفتوحة أمام الولايات المتحدة للرد عليه".
وكانت جلسة مجلس الأمن في الواقع حوارا نشيطا بين مستشار الرئيس للأمن القومي "زبجنيو برجينسكي" وبين الأميرال "ستانسفيلد تيرنر" مدير وكالة المخابرات المركزية، وطبقاً للوثائق الأمريكية ـ وضمنها مذكرات "كارتر" ووزير الخارجية "سايروس فانس" "ومذكرات برجينسكي نفسه" فإن اجتماع مجلس الأمن القومي استقر على الخطوط التالية:
**
1 ـ إن ما عرضه مستشار الأمن القومي وما توافر لدى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ووكالة الأمن القومي ومخابرات وزارة الدفاع تقطع كلها بأن حجم التدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان كثيف، وبالتالي فإنه لا " ضمن الاحتمالات التي يمكن استبعادها أن يكون الهدف التالي لهذه القوات عملاً سوفيتياً في اتجاه الخليج حتى بحر العرب والمحيط الهندي، وذلك تهديد للمصالح القومية الأمريكية".
2 ـ إن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتدخل علنا ضد السوفييت في أفغانستان لأنها لا ترتبط مع هذا البلد بأي اتفاقيات دفاع مشترك، ثم إن تدخلها الصريح حتى مع

تجاوز الاعتبارات القانونية، يمكن أن يؤدى إلى صدام مباشر مع الاتحاد السوفيتية، حتى "ويمكن أن يستفز من ردود الفعل السوفيتي، مما يجعل الخطر على الخليج محققا وليس محتملا فقط "بحر العرب والمحيط الهندي.

3 - إن الولايات المتحدة مدعوة إلى تعزيز وجودها المسلح في الخليج، تحسبا لكل الأطراف "الاحتمالات، ولذلك فإن سفراءها المعتمدين عليهم والآن أن يطلبوا من أن يسمحوا بهدوء وبغير صخب إعلامي - بتفعيل تفاهمات واتفاقيات "المحليين سابقة في التعاون العسكري مع الولايات المتحدة.

4 - إن الولايات المتحدة عليها ان تشجع عناصر المقاومة في أفغانستان على تكثيف نشاطها بما يمكنها من تعطيل الجيوش السوفيتية، ثم الانتقال من حرب التعطيل إلى حرب التوريط - أي حرب استنزاف ترغم السوفييت في النهاية على الانسحاب من أفغانستان عسكريا في ظروف غير ملائمة سياسياً.

5 - وبما أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تظهر فاعلاً رئيسياً في النشاط العسكري المعادي للسوفييت في أفغانستان - حتى لا يؤدي ذلك إلى صدام مسلح بين القوتين أن تجد قيادة بديلة لهذه الحرب الخفية في "الولايات المتحدة"فإن عليها التدخل "أفغانستان، ولا بد أن تكون لهذه القيادة أهلية تعطيها نوعاً من مشروعية ضد السوفييت في أفغانستان "عملياً.

6 - بما أن المقاومة الأفغانية التي أدى نشاطها إلى خلخلة الأوضاع في أفغانستان بما أوصل إلى التدخل السوفيتي مقاومة إسلامية، فإنها لا بد أن تستمر كذلك وتتصاعد باستنفار كافة أصدقائها ومناصريها في العالم الإسلامي والدول الإسلامية، والوصول في ذلك إلى حد تكوين تحالف إسلامي واسع يحمل عبء محاربة ضد السوفييت في أفغانستان.

7 - وهذه المقاومة لا بد لها من مصدر سلاح وذخيرة لا ينقطع، وحين سأل أحد لا بد أن نحصل عليه من :"من برجينسكي"الحاضرين عن مصدره كان الرد عليه أي مكان، نشتريه، نستأجره، نسرقه إذا أدى الأمر.

8 - ومن الأفضل أن يكون السلاح سوفيتي الصنع حتى يصعب اتهام الولايات المتحدة بأنها مصدره، وذلك يعطيها فرصة أن تقول للسوفييت إذا سألوها، إن هذا سلاح سوفيتي تحصل عليه المقاومة الإسلامية من الاتحاد السوفيتي أو قواته في "أي من عندهم"أفغانستان!

9 - إن المملكة العربية السعودية قدمت من قبل دعمها إلى العناصر الإسلامية في أفغانستان، وفيما تقول به التقارير، فإن المملكة العربية السعودية التي تشعر الآن بضغط الثورة الإسلامية في إيران عليها، وترى أن سقوط الملكية في إيران نذير

شؤم للأسرة الحاكمة ـ على استعداد لأن تتخلى عن حذرها التقليدي وتوظف جهاد إسلامي مقدس ضد الإلحاد "في "موارد المملكة المعنوية والمادية" السوفيتي، وإذا تحمست المملكة للدعم فإن السلاح يمكن ضمانه بالشراء من ."!والمال عصب كل أنواع الحروب بما فيها الجهاد الإسلامي"مصادر عديدة في الخروج "بترددها الدائم"ـ ومن باب الاحتياط لاحتمال أن تتحرج المملكة 10 وحدها إلى هذا الجهاد المقدس، فإنه من الضروري تدعيمها مبكرا بشراكة إسلامية واسعة راسخة وقوية، بحيث يكون من ذلك إغراء لها بدور قيادي على رأس تجمع .دفاعاً عن الدين والشرع "الجهاد"إسلامي يخوض

والسعودية في الواقع جاهزة لهذا الدور إذا وجدت تشجيعاً عليه؛ لأن الثورة الإيرانية حركت قلقاً إسلامياً في المملكة وتظهر في وسط قيادات متشددة من الوهابيين الذين علا صوتهم بالنقد لتصرفات الإسرة الحاكمة في ثروة المملكة، كذلك فإن الثورة الإيرانية كان لها ردود فعل في المناطق الشرقية من المملكة وهي .مناطق شيعية المذهب وعلاقتها بالنظام من الأصل متوترة

....

ولم أكن أتصور درجة عداء الوهابيين للمذهب الشيعي حتى لقاء مع الملك فيصل] ، وخلال حوار طال أكثر من 1971في فندق فلسطين بالإسكندرية في شهر يونية بحرارة "محمد رضا بهلوي"ساعتين سمعت الملك فيصل يمتدح شاه إيران :ثم يستدرك فجأة قائلاً بالحرف "مقدام"ويستفيض في وصفه كرجل ذكي و [."لا عيب فيه ـ طال عمرك ـ إلا أنه شيعي"

....

تدخل إسلامي معاد "ـ إن مصر يمكن إقناعها بان تقدم سنداً قويا للسعودية في 11 متحفز في أي وقت للعمل "أنور السادات"، والرئيس "للسوفييت في أفغانستان ضد الاتحاد السوفيتي وهو بالفعل منهمك في نشاطات متنوعة في هذا الاتجاه الذي يضم السعودية ـ والمغرب ـ وإيران ـ ومصر "نادي السافاري"بموجب اتفاق ـ وفرنسا، ومع أن تجمع السافاري يركز نشاطه على أفريقيا ـ فإنه ليس صعباً إقناع الرئيس السادات بفتح جبهة أخرى لهذا النشاط يقوم عليها عمل جهادي ضد .السوفييت في أفغانستان

:وهناك مغريات إضافية تقنع الرئيس السادات بذلك

خشية زيادة "أي الرئيس السادات"ـ إن الثورة الإسلامية في إيران تشغل باله "أي الرئيس السادات"وهو .نفوذ الجماعات الإسلامية في مصر ولو بالعدوى وعزلت صديقه "بهلوي"غاضب من الثورة الإيرانية لأنها أنهت حكم أسرة

.شاه إيران "محمد رضا بهلوي"
ـ إن الرئيس السادات راغب إلى أقصى درجة ـ وإلى آخر حد في التعاون مع
% 99"الولايات المتحدة عن اعتقاده لديه من أيام إدارة نيكسون وكيسنجر بأن
وهو لم يقصّر ."من أدوار حل قضية الشرق الأوسط في يد الولايات المتحدة وحدها
.في إعلان ما يعتقده ولا في التصرف على أساسه
....
....
وبين شاه إيران من مفارقات السياسة "السادات"وكانت هذه العلاقة بين الرئيس]
ذلك أن شاه إيران كان ـ باستمرار وبغير انقطاع ـ أقرب !المصرية وعجائبها ـ
الأصدقاء إلى إسرائيل، كما أن بترول إيران كان وقود أسلحة الجيش الإسرائيلي في
، والاستنزاف 1967، وسيناء 1956البر والجو والبحر طول معارك السويس
.1973، والعبور سنة 1970إلى 1968
روى في معرض دفاعه عن استضافته لشاه إيران في "السادات"ولكن الرئيس
إنه " :مصر بعد طرده من الولايات المتحدة الأمريكية ـ وليس فقط من إيران ـ بقوله
إلى مساعدة مصر وتمثل "الرجل"استضاف شاه إيران حتى يرد له جميلاً سبق به
الرئيس "ـ يحتاجها وطلبها 1973بشحنة بترول كان المجهود الحربي ـ في أكتوبر
من شاه إيران، فقام الشاه بتحويل إحدى ناقلات البترول الإيرانية بكامل "السادات
.حمولتها من عرض البحر إلى مصر بدلاً من وجهتها الأصلية
فيما أعرف من مسار "وتلك واقعة فيها من العواطف أكثر مما فيها من الحقائق
الحرب وقد كنت قريباً منه، مقيماً طول الوقت تقريباً في قصر الطاهرة الذي كان
الرئيس السادات يمارس منه قيادته، كذلك لا يظهر للواقعة أثر في الملفات الرسمية
، والأرجح أن الرئيس السادات "ذات الصلة، وقد بحثت فيها زيادة في طلب التأكيد
كان يحاول البحث عن ذريعة لاستضافة الشاه، ومع أن الذريعة الإنسانية كانت
تكفيه إلا أنه قصد في مواجهة المناخ المتعاطف مع الثورة الإيرانية ذلك الوقت، أن
.يستدعي الوطنية المصرية لتسهيل قبول قراره باستضافة الشاه
1965والمدهش في الأمر أن الإطار الواقعة مستعار من قصة حقيقية جرت سنة
أثناء الخلافات بين مصر والولايات المتحدة على اتفاقيات توريد القمح بمقتضى
وذلك أنه في نهاية صيف ذلك العام أوقفت واشنطن 480 ,ل .القانون رقم ب
شحنات القمح إلى مصر، وطلبت مصر شراء قمح سوفيتي، ولم يكن لدى الاتحاد
إن " :بعث يقول "اليكسي كوسيجين"السوفيتي فائض، لكن رئيس الوزراء
المحصول السوفيتي من الحبوب هذه السنة جاء أقل من المتوقع، مما اضطر الاتحاد

السوفيتي أن يدخل سوق القمح مشترياً من السوق الكندية، لكنه بالنظر إلى تعرض مصر لضغوط أمريكية، فإن القيادة السوفيتية أمرت بتحويل شحنات قمح مشتراة للاتحاد السوفيتي إلى مصر، وسوف تتوجه البواخر الحاملة للقمح وهي الآن في المحيط الأطلسي إلى ميناء الإسكندرية على البحر الأبيض بدلاً من الذهاب إلى ميناء "!على البحر الأسود "أوديسا"
الصفحة الأولى من الأهرام، "وهذه الواقعة منشورة في وقتها ـ معلنة ومسجلة ."1965يونية 25العدد الصادر صباح
في رغبته لمساعدة شاه إيران، استعار له مشهداً "السادات"ويظهر أن الرئيس من قصة العلاقات المصرية ـ السوفيتية وأعاد صياغته بما يناسب هواه في ظرف .مختلف
باستعارة "الرغبة"تقوم فيها "حالة"وذلك مسلك يستطيع علم النفس تفسيره في على واقعة أخرى ـ وهو نوع من "تلبيسه" :مشهد من واقعة حقيقية وتقوم بـ حتى وإن كانت الصورة "إعادة تركيب الصور وتوظيف قدرتها على خلق الانطباع ["!مركبة
....

....
جيمي "وعلى أي حال فقد انتهت مداولات مجلس الأمن القومي الأمريكي برئاسة :بتوجيه رئاسي يقضي بـ 1979ديسمبر 27صباح "كارتر
إلى منطقة "زبجنيو برجينسكي"أن يتوجه مستشار الرئيس للأمن القومي " والبحث معه في "أنور السادات"الشرق الأوسط بادئاً بالقاهرة لمقابلة الرئيس تنظيم جهد إسلامي شامل يساند المقاومة الإسلامية الأفغانية في مواجهتها لجيش الاحتلال السوفيتي، ثم يتوجه مستشار الأمن القومي بعد القاهرة إلى الرياض "سلطان"ووزير الدفاع الأمير "فهد"لمقابلة الملك خالد وولي العهد الأمير جهاد "ويجري معهم محادثات تضمن حشد موارد السعودية ونفوذها لقيادة في مهمته مع "برجينسكي"ضد الشيوعية في أفغانستان، وإذا نجح "اسلامي الرئيس السادات فإنه يستطيع أن ينقل إلى القادة السعوديين ما يطمئنهم إلى أنهم ."في ساحة الجهاد"ليسوا وحدهم
وأخيرا يتوجه مستشار الأمن القومي إلى باكستان ليقوى موقف الحكومة فيها " بموارد السعودية ونفوذها ـ وبثقل مصر ووسائلها ـ وحتى تثق هذه الحكومة في إسلام آباد أنها سوف تكون وسط عمل إسلامي يلتف فيه من حولها ويجمع على ."أرضها قوى الإسلام وإمكانياتها

!وكان ذلك حلم باكستان الذي بدا بعيد المنال ـ والآن أصبح في متناول اليد
مستشار "زبجنيو برجينسكي"كان 1980وطوال الأسبوع الأول من شهر يناير
.للأمن القومي في زيارة سرية ممتدة للشرق الأوسط "جيمي كارتر"الرئيس
لمدة ثلاث ساعات ونصف الساعة، وفي "أنور السادات"يناير قابل الرئيس 3يوم
5، ويوم "سلطان"والأمير "فهد"يناير كان في جدة يقابل الأمير 4اليوم التالي
إلى إسلام آباد ليرتب الأرضية للجهاد باسم الإسلام ضد "برجينسكي"يناير وصل
.الإلحاد
**
لكن العملية كما اتضح الآن كان وراءها أكثر مما ظهر منها ـ لأن الجهاد الإسلامي الذي أعلن ضد الاتحاد السوفيتي لم يكن رد فعل طبيعياً لدخول الجيش السوفيتي، :خطوة وسط سياق جرى قبلهما واستمر بعدها :وإنما كان
ـ كانت الخطوة الأولى قراراً أمريكياً بإزعاج السوفييت في جمهورياتهم الجنوبية .من قواعد في أفغانستان
ـ والخطوة الثانية تصعيد هذا النشاط وتكثيفه إلى درجة تضطر السوفييت إلى التدخل .العسكري
ـ وأخيرا تجيء الخطوة الثالثة وهي إعلان الجهاد عندما يقع الدخول السوفيتي .المأمول والمطلوب
كان يتستر عليها بأستار "برجينسكي"وذلك سياق الحقائق التي تكشف أخيراً أن واعترف في حديث "وأوراقه"سميكة من الغموض، لكنه أخيرا فتح خزائن ذاكرته اعترافا كاملاً وافياً ـ وقد جرى "لا نوفيل أوبسرفاتور"طويل مع المجلة الفرنسية :الحديث بالنص التالي
كتب في "روبرت جيتس"إن المدير السابق لوكالة المخابرات الأمريكية :سؤال]
أن المخابرات الأمريكية بدأت "من الظلال"مذكراته التي صدرت أخيراً بعنوان
في أفغانستان بشكل مكثف قبل ستة شهور من دخول الجيش "المجاهدين"تساعد
السوفيتي إلى ذلك البلد، وقد كنت أنت في تلك الأيام مستشاراً للأمن القومي لرئيس
"جيتس"الولايات المتحدة، ومعنى ذلك أنك تعرف وأنه كان لك دور، فهل ما ذكره
صحيح؟
طبقا لما تقول به السجلات الرسمية، فإن الولايات المتحدة لم .نعم :برجينسكي
بعد أسابيع من دخول القوات السوفيتية 1980تدخل بثقلها في أفغانستان إلا سنة
فإن "بصرف النظر عما تقول به السجلات"إلى كابول، لكنه في التاريخ الحقيقي
.بدأ قبل ذلك بستة شهور "المجاهدين"التدخل الأمريكي لمساندة

بتقديم "كارتر"عملت على إصدار توجيه رئاسي من 1979يولية سنة 3إنني يوم كل المساعدات الممكنة إلى العناصر المعادية للسوفييت في كابول، وفي ذلك اليوم إن موقف السوفييت يزداد صعوبة في أفغانستان " :كتبت للرئيس مذكرة قلت فيها مع كل يوم، وأعتقد أننا إذا رفعنا الضغط درجة، فاعتقادي أن الاتحاد السوفيتي .''سوف يرغم على التدخل عسكرياً ومباشرة في أفغانستان

معنى ذلك أنك فعلت ذلك عامداً الاستفزاز السوفييت؟ :سؤال

الروس حتى يتدخلوا، ولكننا "زق"ليس بالضبط، نحن لم نقم بـ :برجينسكي .عارفين بما نفعل ـ رفعنا درجة احتمال تدخلهم ـ وقد حصل

هل معنى ذلك أن الروس كانوا على حق في تبرير دخولهم إلى أفغانستان :سؤال على أساس أنهم اضطروا إليه لمواجهة عملية سرية تقوم بها الولايات المتحدة ضدهم؟ كانوا يقولون ذلك ولم يكن أحد يصدقهم والآن يظهر أن فيما قالوه شيئاً من !الحقيقة، وذلك أمر يدعو إلى الأسف

الأسف على ماذا؟ إن العملية السرية التي قمنا بها كانت فكرة رائعة، :برجينسكي لقد أدت إلى دخول السوفييت في فخ تمنينا أن يدخلوا في مثله وقد دخلوا، فهل تريدون أن أقول لكم أنني آسف على مخطط وضعناه ونفذناه ونجح بامتياز؟ مذكرة قلت له "كارتر"يوم تدخل الروس بجيشهم في أفغانستان كتبت للرئيس إن أمامنا الفرصة الآن لكي نجعل الاتحاد السوفيتي يذوق مرارة الكأس التي " :فيها شربناها في فيتنام، والحقيقة أننا ولمدة عشر سنوات جعلنا الروس ينزفون دماً ولا يستنزفون جهدا فقط؛ فهم حين دخلوا أضروا باقتصادهم وأرهقوا سلاحهم وأضعفوا معنويات جنودهم وأضروا بهيبتهم، وذلك أدى في النهاية إلى تمزق الإمبراطورية .السوفيتية

هل تعرف أن ذلك معناه أنكم أعطيتم السلاح للإرهابيين الذين أصبحوا أعداءً :سؤال .أنكم خلقتم بذلك صورة الإسلام الإرهابي ...لكم؟

انهيار الاتحاد السوفيتي، أو ممارسة الإرهاب :أيهما أفضل للغرب :برجينسكي طالبان أو الاتحاد :بواسطة بعض الجماعات الإسلامية؟ أيهما أخطر على الغرب السوفيتي؟

لكن الإرهاب الإسلامي يمكن أن يتحول إلى موجة عالمية؟ :سؤال

هذا كلام فارغ، يخلط بين الإسلام وبين ظواهر العولمة، لننظر إلى :برجينسكي الأحوال الإسلامية بدون تهييج، هناك دين له احترامه وله أتباع يقدر عددهم بمليار ما .ونصف المليار من الناس، لكن الدين لا يجمع هؤلاء سياسياً في التحليل الأخير الذي يجمع مسلماً أصولياً من السعودية، أو مسلماً عسكرياً من باكستان، أو مسلماً

معتدلاً من المغرب، أو مسلماً متعلماً من مصر، أو مسلماً قبلياً من وسط آسيا؟ ـ لا شيء يجمع هؤلاء إطلاقاً، لا يجمعهم إلا ما يجمع المسيحيين في العالم وهو في الواقع لا شيء!]
مشروع الجهاد الإسلامي في "هندس"و "صمم" هكذا تكلم الرجل الذي ـ متواصلاً فيه مع استراتيجية أمريكية ثابتة جرى وضعها من قبل زمنه "أفغانستان ـ بهدف كسب معركة كان عليها أن تدور في أفكار "جيمي كارتر"وزمن رئيسه الناس وعقولهم، والهدف تتفوق الرأسمالية الأمريكية ومثالها ـ الإمبراطوري.
**
ـ "ومعه الأخوان فوستر وآلان دالاس" "دوايت أيزنهاور"وتلك معركة بدأها ـ وأخيرا وصلت "ومعه برجينسكي وستانسفيلد تيرنر" "جيمي كارتر"وواصلها ، وكان "ومعه دونالد رامسفيلد وكونداليزا رايس" "جورج بوش"المعركة إلى في ظروف متغيرة ذابت فيها ثلوج كثيرة فوق جبال "بوش"وصولها إلى أفغانستان، وذابت قربها إمبراطوريات.
وكان الدفتر الأول من دفاتر الأزمة قد بلغ آخره وانطوى، وانفتح غلاف دفتر ثان على بقية لمعركة إطلاق الأفكار قبل إطلاق النار ـ على أن إطلاق النار في الدفتر الجديد جاء أكثر من إطلاق الأفكار!
وكان الدفتر الأول تسجيلاً لتطور العمليات ـ لكن الدفتر الثاني يجيء ومعه نتائج ـ كما هي العادة مع "في المخازن"الحسابات وهي خسائر على طول الخط وحريق إخفاء مسئوليته عنها ـ بالإهمال أو بالجريمة ـ "بعضهم"الخسائر حين يريد وتحويل الدفاتر والأوراق من شاهد صادق وأمين إلى رماد صامت وحزين ينتظر هبة ريح تطويه في النسيان!

الدفتر الثاني

واشنطن تؤذن للجهاد في كابول!

في يوم قادم من المستقبل سوف تقف الأمة العربية محاسبة، تطلب التحقيق في شأن السياسات التي ساقتها إلى تلك المغامرة على جبال أفغانستان وفي أعماق ومع أني تابعت معظم فصول ومشاهد هذه المغامرة، فإني أوثر الآن أن .كهوفها أترك روايتها لغيري، طلباً لأقصى قدر متاح من الموضوعية، ذلك أنه عندما يتحدث طرف من الأطراف عن مسألة له فيها وجهة نظر، فالخشية دائما أن وجهة نظره تنعكس على رؤيته، وبالتالي على روايته!
ومن حسن الحظ أن هناك وفرة في المصادر الدولية التي تعرضت بالتقصّي والبحث في دخائل وخفايا ما جرى على جبال أفغانستان وفي كهوفها وضمنه دور السياسة

وكذلك اخترت أن أستند في هذا الحديث على ثلاثة مصادر ـ بين .العربية هناك عشرات غيرها ـ أعرف أن وراءها جهدا دءوبا، وصلات وثيقة، ومصداقية تقنع أي باحث عن الحقيقة بأنه وجد جواباً لسؤاله ـ كي يبدأ من هنا حقه العام أن يعرف وأن !يتخذ لنفسه ولو بالضمير موقفاً

:والمصادر التي اخترتها عماداً لهذا الحديث ثلاثة كتب

ومؤلفه عميد "الإسلام والنفط والصراع الكبير في وسط آسيا :طالبان"ـ كتاب 1 ، وقد ظهر هذا الكتاب ونشر في لندن لأول "أحمد رشيد"الصحفيين الباكستانيين وأعرف أن هذا " 2001، ثم أعيد نشره من جديد ثلاث طبعات سنة 2000مرة سنة الكتاب كان أمام الرئيس الأمريكي جورج بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني ."بلير في نفس الوقت من أواخر شهر سبتمبر الماضي

، ومؤلفه "أفغانستان، أمريكا، والإرهاب الدولي :الحروب غير المقدسة" :ـ كتاب2 الذي قام بتغطية منطقة الشرق الأوسط "جون كولي"الصحفي الأمريكي المخضرم ، وقد نشر الكتاب لأول مرة A B Cسنوات طويلة لكبرى وكالات الأنباء الأمريكية .2001، ومرة ثالثة سنة 2000، وأعيدت طباعته مرة ثانية سنة 1999عام

وتلك هي الترجمة الأقرب إلى معنى العنوان الإنجليزي " "غسيل الواقع" :ـ كتاب3 وكالة المخابرات المركزية " :، والسطر الثاني من هذا العنوان هو"White Out ، وقد اشترك في تأليف الكتاب اثنان من نجوم "الأمريكية والمخدرات والصحافة ، "ذي نيشن"وهو الآن محرر مجلة "ألكسندر كوكبيرن"التحقيق بالعمق، أولهما وهو صحفي "جيفري سان كلير"والثاني .وكاتب مجموعة من أكثر الكتب رواجاً 1998مشهود له في متابعة نشاط أجهزة المخابرات الدولية ـ وقد نشر الكتاب عام في لندن، وكانت هناك جهود ملحة نجحت فيما سعت له، ولم يطبع الكتاب في .نيويورك كما كان مقدرا

:الورقة الأولى

!وأطرافه الأربعة "الإلحاد"التحالف ضد

تتفق الكتب الثلاثة ـ عشرات من المصادر غيرها ـ على مجموعة من الحقائق الأساسية ـ تتصل بإدارة الولايات المتحدة لحربها الباردة ضد الاتحاد السوفيتي وهي الحرب التي بدأت أول الخمسينات من القرن العشرين، واستراتيجيتها إطلاق " الأفكار قبل إطلاق النار، وخطف العقائد والأديان واستخدامها ضد الخصم الشيوعي ـ وهذه المجموعة من الحقائق الأساسية تظهر في مصادرها مترابطة "الأخطر :ومتكاملة

1 ـ إن المخابرات المركزية الأمريكية متعاونة مع المخابرات العسكرية الباكستانية، ، هدفها إثارة المشاعر المعادية للاتحاد "حرب نفسية"سبقت إلى إدارة عمليات السوفيتي داخل جمهورياته الجنوبية وفيها غالبية إسلامية، مستغلة في ذلك فجوة في فلسفته، وبين الإسلام "المادي"أو جفوة طبيعية بين النظام السوفيتي الحرص "في مبادئه وبالطبع فإن دافع المخابرات الأمريكية لم يكن "الروحاني" الاتحاد السوفيتي في أكثر "إقلاق وإزعاج"، وإنما "على الدعوة أو صدق الإيمان المواقع إثارة للمواجع!

2 ـ إن استعمال أفغانستان قاعدة لإدارة وتوجيه عمليات إقلاق وإزعاج الاتحاد السوفيتي، بدأ على استحياء أوائل الخمسينات، واشتد في الستينات، وبلغ الذروة أواخر السبعينات ـ حين أصبح هدف مجلس الأمن القومي الأمريكي وعلى رأسه في ـ "مستشار الرئيس كارتر للأمن القومي" "زبجنيو برجينسكي"ذلك الوقت استفزاز الاتحاد السوفيتي بتصعيد النشاط المعادي له في أفغانستان من المستوى النفسي إلى المستوى العملي والوصول في ذلك إلى درجة ترغمه ـ ولو كارها ـ على التدخل عسكرياً في أفغانستان، فإذا تحقق ذلك فهذه هي الفرصة لتحويل ذلك البلد إلى فيتنام سوفيتية تؤثر عليه بمقدار ما أثرت فيتنام الأمريكية على أصحابها!

3 وبالاعتماد "ـ كما عرضه على الرئيس جيمي كارتر "برجينسكي"ـ وكان تقدير ـ أن الولايات المتحدة لا "على روايات كارتر وبرجينسكي قبل أي مصدر غيرهما ، وإنما "عندما تتحول إلى فيتنام سوفيتية"يصح لها أن تظهر علانية في أفغانستان الأفضل أن تظل بعيدة بمسافة كافية، وأن تترك المعركة للمسلمين يخوضونها بإسم وأهم من ذلك يتكفلون بتمويلها لأن ."الإلحاد المادي"ضد "الجهاد الإسلامي" العبء أثقل مما تستطيع وكالة المخابرات المركزية أن تحمله على ميزانيتها، كما أنه أكبر مما يقبل به الكونجرس في الموافقة على اعتمادات لعملية سرية تقدم إليه المتفرعة من " "لجنة الأمن"، زيادة على ذلك فإن الذهاب إلى "مستقلة لوحدها" لطلب الموافقة على مبالغ بهذا الحجم يؤدي إلى كشف "لجنة الشئون الخارجية ، وذلك يحرج "، ما فيه يرشح خارجه"مبنى من الفخار"لأن الكونجرس "العملية السياسة الأمريكية، والإحراج في مثل هذه الحالة خطر؛ لأنه قد يؤدى لتعقيدات دولية من الأفضل تجنبها!

جيمي "كما عرضه في مذكرة للرئيس " "برجينسكي"وكان معنى ذلك في تقدير :""كارتر

، "العمل على الأرض"ـ إن الولايات المتحدة لا بد لها من ترتيب يمكنها من والصرف على العمل وإدارته تحت إشرافها، دون أن يظهر دليل يثبت عليها شيئاً

!تتورط بسببه فيما لا ضرورة له
ـ يتداعى من ذلك أن الولايات المتحدة وهي تخوض معركة استنزاف الاتحاد "وكالة إسلامية"، عليها أن تجد "سلاح الجهاد" :السوفيتي في أفغانستان بـ معتمدة تحمل المسئولية على الأرض ـ وتدفع تكاليف العمل ـ وتتلقى التوجيهات .بشأن خططه وتوقيتاتها من الأجهزة الأمريكية المعنية
ومع أن هذه المواصفات لما هو مطلوب أمريكيا في أفغانستان بدت شبه المستحيل !عرض تصورات رآها قادرة على شبه المستحيل "برجينسكي"في معادلاتها ـ فإن المرغوب "الوكالة الإسلامية الجهادية"أن "برجينسكي"ـ وقد كان في حسابات :فيها والمطلوبة بمواصفاتها قائمة الفعل وعاملة في الواقع، وكل ما يلزمها الآن إثارة همتها، وتطوير وسائلها، وتنشيط خططها وتركيز فعلها وتعبئته في إطار الذي اعتدى على ديار "صريح ومعلن ضد الاتحاد السوفيتي "جهاد إسلامي" !"الإسلام

:الورقة الثانية

"برجينسكي"توزيع الأدوار في سيناريو

خطا بعد "برجينسكي"وتجمع الكتب الثلاثة التي يستند إليها هذا الحديث ـ على أن وعلى مجلس الأمن القومي "كارتر"ذلك خطوة في عرض تصوراته على الرئيس المبتغى في "الجهاد الإسلامي"في البيت الأبيض فتقدم باقتراح لتوزيع مسئوليات :مرحلة جديدة على أدوار رئيسية ثلاثة
قاعدة للعمليات في "دولة الإسلام الأنقى"دور لباكستان تصبح به :أولاً ○ أفغانستان كما كانت باكستان في مرحلة سابقة قاعدة للعمليات عبر أفغانستان ."جسراً إلى الجمهوريات السوفيتية الجنوبية"
مهيأة نفسيا وسياسيا لتطوير عملها في "إسلام آباد"أن "برجينسكي"وكان تقدير أفغانستان، فهناك مصالح قامت بالفعل وترسخت خلال المرحلة السابقة من العمل في الجمهوريات الجنوبية للاتحاد السوفيتي، وهناك دواع سياسية تغري باكستان داخل أفغانستان إذا ضمنت تأييداً إسلاميا "العمل الجهادي"بقبول مسئوليتها في دولة الإسلام "والجيش الباكستاني ـ وهو السلطة الأقوى في .أوسع يلتف حولها حكومة مدنية ترى في قضية "إسلام آباد"وحتى إذا قامت في .ـ متحفز "الأنقى رأياً آخر، فإن المخابرات العسكرية الباكستانية لا تعتبر نفسها ملزمة "الجهاد" لأن رأيها فيهم بالغ السوء من كثرة ما تعرفه عن "إسلام آباد"بطاعة ساسة دخائلهم، وإذن فإن تعاون المخابرات العسكرية في باكستان على هذا الأساس

.مضمون، وذلك المطلوب الأهم
دور للمملكة العربية السعودية تصطف به المملكة وراء باكستان مباشرة :ثانياً ○
أن الرياض جاهزة بدليل أن المملكة ساعدت من قبل ـ "برجينسكي"وكان تقدير
ولا تزال تساعد ـ في عملية إحراج السوفييت عبر أفغانستان، فإذا أصبح الإحراج
داخل أفغانستان ذاتها، فإن المملكة سوف تكون أكثر من مستعدة، "جهاداً إسلاميا"
خصوصاً أن الرياض مهتمة بدور متميز في قيادة العالمين العربي والإسلامي؛ لأن
غياب مصر ـ بعد صلحها مع إسرائيل ـ ترك الساحة العربية خالية ـ وبالتالي مهيأة
لدور تستطيع المملكة أن تقوم به، فإذا جمعته إلى دورها القيادي في منظمة
المؤتمر الإسلامي وزادت عليه وضعها داخل منظمة الدول المصدرة للبترول الأوبك
فإذا ـ فقد أصبحت المملكة رسميا وفعليا دولة الرجاء والأمل ـ عربيا وإسلاميا
أضافت الرياض إلى هذه القائمة دعوة جهاد مقدس ضد الإلحاد، فإن ذلك يوفر لها
ظروفاً مثالية؛ لأنه يعطيها القيادة العربية الإسلامية دون أن يفرض عليها
بالضرورة أن تتحمل بمسئولية المواجهة مع إسرائيل، وهي مسئولية تخشاها
وفي ظروف عادية فقد كان شبه .وتحاذر يوماً أن تجد نفسها وجهاً لوجه أمامها
مؤكد ـ إذا أصبحت المملكة هي القيادة المعترف بها في العالم العربي والإسلامي ـ
أنه سوف يقع استدعاؤها بهذه الصفة إلى فلسطين، لكنها حين تستبق استدعاء
فلسطين بدعوة إلى أفغانستان جهاداً من أجل الإسلام ـ فإنها بذلك تضع نفسها في
.موقف إسلامي يصعب على أحد أن يطلب منها زيادة عليه
.وكذلك كان تقدير برجينسكي، أن السعودية سوف تتحمس
يمكن إقناعه ـ أن "أنور السادات"دور لمصر على أساس أن الرئيس :وثالثاً ○
، ويطمئن وساوس "المنقسمة على نفسها"حتى يقوى عزيمة باكستان "يتعاون"
أن الرئيس السادات "برجينسكي"، وكان ظن "وهي حاضرة كل وقت"السعودية
من أوراق % 99تواق إلى إرضاء الولايات المتحدة التي تملك في حساباته المُعلنة
حل قضية الشرق الأوسط، وهو بمشاعره كاره للسوفييت ومنغمس بالفعل في نشاط
"ألكسندر دي ميرانش"معاد لهم في أفريقيا ضمن التنظيم الذي أقترحه الكونت،
"نادى السفارى"الرئيس الأسطوري للمخابرات الفرنسية وأطلق عليه وصف
ويقوم بالفعل "وذلك التنظيم يضم كلا من السعودية وإيران والمغرب ومصر"
أيضاً في غرب أفريقيا ـ أنجولا "بنشاط معاد للسوفييت في القرن الأفريقي ـ
."والكونجو
ـ أن السياسة المصرية النشيطة ضد "برجينسكي"والراجح ـ وذلك تقدير
السوفييت في أفريقيا لن تجد مانعاً من تحويل نشاطها أو جزء منه إلى أفغانستان،

خصوصا أن الرئيس السادات بذلك يسابق الثورة الإسلامية في إيران وهو لا يغفر لها أنها أسقطت حكم صديقه الشاه "محمد رضا بهلوي" وفقاً لما يقوله ويعلنه"!
**
وطبقاً لكتاب "الحروب غير المقدوسة" صفحة 31" فإن "زبجنيو برجينسكي"، مستشار الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" لشئون الأمن القومي كان جالساً أمام "جيمي كارتر"، ينقل له رسالة من الرئيس السادات يوم 3 يناير 1980 تدعو "مصر الإسلامية" أن تقوم بدور في "جهاد إسلامي" ضد الإلحاد السوفيتي الذي غزا بجيوشه بلدا إسلامياً.
وطبقاً لتعبير "برجينسكي" فإن الدعوة التي حملها للرئيس المصري طلبت إليه أن "يدخل في الفريق" "Join The Team" الجهادي الإسلامي في أفغانستان،
وكانت الحجج التي عرضها لإقناع الرئيس السادات:
1 - "إن مصر بمكانتها الخاصة في العالم الإسلامي مؤهلة لدور في الدفاع عن العقيدة الإسلامية"!
2 - "إنه لا يصح ترك "شعارات الإسلام العظيمة" يحتكرها "آية الله الخميني" لنفسه أو للإسلام الشيعي"!
3 - "إن دخول مصر في هذا "العمل الجهادي" يعطي الرئيس السادات نفوذا أوسع في المنطقة إزاء أطراف عربية تعارض سياسته في السلام مع إسرائيل، ومنها سوريا والعراق وليبيا".
4 - "إن قيام الرئيس السادات بدور في "الجهاد الإسلامي" يرد بشدة على أولئك الذين يتهمونه "بالتفريط" في فلسطين، ويهيئ له قاعدة إسلامية أوسع من "الحيز" المحدود" لدول الجامعة العربية".
5 - "إن مصر تملك مؤهلات تيسر لها العمل في أفغانستان بينها أنها بلد الأزهر الذي يقبل المسلمون مرجعيته، كما أنها موطن جماعة الإخوان المسلمين التي تأثرت بها أو تفرعت منها جماعات إسلامية عاملة في باكستان وأفغانستان، والرئيس السادات كرئيس لمصر يملك سلطاناً على الأزهر، وكسياسي فهو يحتفظ "بعلاقات طيبة مع بعض زعماء الإخوان، وبرغم حساسيات يعرف بها "برجينسكي"، فإن ميدان الجهاد الإسلامي يستطيع جمع السلطة المصرية، والأزهر، والإخوان المسلمون على عمل مشترك يواجه شرور الإلحاد من ناحية، ومن ناحية أخرى تذوب به حساسيات - مع الإسلام السياسي - مترسبة من ظروف سابقة أو تلين معه مفاصل في العلاقات بين الطرفين متصلبة - في الوقت الراهن"!
6 - "إن مصر لن تتكلف شيئاً لأن الولايات المتحدة سوف تنشيء صندوقاً خاصاً

للجهاد في أفغانستان تشارك بنفسها في تمويله وتدعو للمشاركة عددا من دول
وهو يحمل رسالة حول هذا الموضوع من .الخليج، أولها المملكة العربية السعودية
على ثقة "برجينسكي"إلى الملك والأمراء في السعودية، وهو "كارتر"الرئيس
!"بأن المملكة سوف تستجيب سياسياً ومالياً
؛ لأن الجهاد في "بأكثر من أجر الجهاد وثوابه"إن مصر تستطيع أن تستفيد "ـ 7
أفغانستان يضمن عقوداً سخية للصناعات العسكرية المصرية؛ لأن ذلك الجهاد ـ
."يلزمه سلاح سوفيتي الصنع والنوع !بالذات
الجهاد "بأن "السادات"يقصد بذلك إغراء الرئيس "برجينسكي"وكان "
سوف يحتاج أن يشتري من مصر أسلحة سوفيتية الصنع لم تعد تريدها، "الإسلامي
، ولا "الصناعات الحربية"أو أسلحة سوفيتية النوع ـ قامت بتصنيعها في منشآتها
"!تجد مشتريا لها، لأن المنطقة تشهد تحولاً ظاهرا إلى الأسلحة الأمريكية
الجهاد "أن مشاركة مصر في "كالمعتاد "برجينسكي"ـ وكان الختام في حجج 8
على "كارتر"ضد الاتحاد السوفيتي في أفغانستان تساعد الرئيس "الإسلامي
مناحم "مواجهة أصدقاء إسرائيل في الكونجرس ـ لأنها ترد على دعايات يقوم بها
أن مصر ليست صديقاً للولايات "تزعم "رئيس وزراء إسرائيل وقتها" "بيجن
وتلك حجة سوف تبطل "المتحدة إلا بمقدار ما تريد منها أن تضغط على إسرائيل
."عندما يظهر أن مصر على رأس التصدي الإسلامي للسوفييت في أفغانستان
أن "وغيرها من المصادر وضمها مذكرات برجينسكي نفسه"وتجمع الكتب الثلاثة
خرج من مصر متوجها إلى السعودية وقد وجد نفسه رسولاً مكلفاً "برجينسكي"
، لأن "كارتر"، إلى جانب تكليفه من الرئيس "أيضاً" "السادات"من الرئيس
الرئيس المصري خوله إبلاغ الملك وولي العهد ووزير الدفاع في السعودية عندما
جاهز ومستعد للعمل، "يلقاهم أن ينقل إليهم رسالة إضافية منه مؤداها أنه
"!في عمل جهادي ضد الإلحاد "اليوم قبل غد"والتعاون معهم

....
23ومن مفارقات السياسية المصرية أن أحد الرجال الظاهرين في صفوف ثوار]
الذي أشرف على أول مشروع كبير لاستصلاح "مجدي حسنين"يوليو وهو السيد
أراضي الصحراء في مصر باسم مديرية التحرير ـ وقد أصبح بعد ذلك سفيراً في
مذكرة شهيرة حول الفوائد "جمال عبد الناصر"تشيكوسلوفاكيا ـ بعث إلى
!"للإلحاد في العالم الشيوعي"المحتملة
أن :"جمال عبد الناصر"في مذكرة بخط يده إلى "مجدي حسنين"وكان رأي
بغير دين ـ أي ملحدين ـ باب مفتوح لدعوة "وبقية حلفائه"وجود الاتحاد السوفيتي

تقنعهم بالإسلام، باعتبار أن وجودهم بلا دين يجعلهم أكثر تقبلاً من آخرين لهم دين
"الإلحاد الشيوعي"أن "مجدي حسنين"وكانت رؤية .ورثوه ويتمسكون به
.إيمانيا، وبالتالي فإن الدعوة للإسلام فيها ممكنة "منطقة محايدة"
تصور يا سيادة الرئيس لو أن الاتحاد " :"مجدي حسنين"وفي ختام مذكرته، قال
السوفيتي والصين وشعوب الكتلة الشرقية دخلت الإسلام، وقتها لن تصبح إسرائيل
!"مشكلة ولا حتى أمريكا وبريطانيا
هذه المذكرة، ثم كتب على هامشها بخط يده تأشيرة "جمال عبد الناصر"وقد قرأ
:نصها بالحرف "عبد الحكيم عامر"موجهة إلى المشير
حكيم"
!"اتصل بمجدي واطلب منه أن يكف عن هذه الخزعبلات
جمال
فرصة سانحة لدعوة الإسلام "الإلحاد"وفي الحقيقة فإن هؤلاء الذين وجدوا في
في منطقة محايدة إيمانياً ـ لم يكونوا أكثر شططاً من الذين وجدوا في الإلحاد فرصة
[!"زبجنيو برجينسكي"سانحة للجهاد باسم الإسلام بمقتضى فتوى من

....

:الورقة الثالثة

توزيع الاختصاصات على أطراف التحالف

"خالد"في السعودية، ومع أن الملك "زبجنيو برجينسكي"كان 1980 يناير 5يوم
كان لا يزال رسمياً على العرش، إلا أن السلطة انتقلت منه إلى ولي العهد الأمير
الذي كان حريصاً أن يكون انتقال السلطة الفعلي إليه محسوساً على " "فهد"
المستوى الرسمي أيضاً، ولعله من هنا كان يتعمد في كل الاحتفالات والاجتماعات
العامة التي يحضرها مع الملك أن يكون وصوله لاحقاً لوصول الآخرين، وحتى يقوم
الجميع وفيهم الملك ليصافحوا ولي العهد بما يؤكد أنه الرجل القوي في النظام
!"فعلياً
، "فهد"أحال ضيفه إلى أخيه الأمير "خالد"أن الملك "وهو المتوقع"والذي حدث
وقد أبدى الملك لبرجينسكي قبوله للمبدأ؛ من منطق أن العمل الإسلامي ضد الاتحاد
والآن .السوفيتي ـ ومن أفغانستان ـ كان موضع اتفاق سابق معتمد من الملك فيصل
وقد تحول الأمر إلى جهاد مقدس في أفغانستان ذاتها فإن تعاون المملكة طبيعي
."عند ولي العهد"ومؤكد، وأما التفاصيل المستجدة فهي
"السادات"أن الرئيس "برجينسكي"رضاه عندما سمع من "فهد"وأبدى الأمير
، على أن "ساحة الجهاد"تعهد بوضع الثقل المصري بكامله وراء السعودية في

ولي العهد لم يكن يريد قصر دور المملكة على تقديم المال فقط، وإنما كان يريد لها "سلطان"وكان رأيه ـ وأيَّده فيه بعض إخوته وبالذات الأمير .دوراً أكبر في الجهاد ـ أن إدارة الجهاد ينبغي أن تكون للمملكة، وقيادته من فوق أرضها، وبعد ذلك تكون !"مناسب"ترتيبات التنفيذ كما هو
:وفي الترتيب العملي فإن ذلك اقتضى الاتفاق على خطوط سياسية عريضة
ـ التمويل مشترك وبالتساوي بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية 1 بمبلغ قدره ألف مليون "جنيف"السعودية عن طريق صندوق دوار، يتأسس في .دولار تتجدد تلقائياً بمقدار ما يصرف منه
ـ والجهات المكلفة بالإشراف على التنفيذ من الجانب الأمريكي ـ وكالة المخابرات 2 ، ومن لجانب "وفيها الأميرال ستانسفيلد تيرنر في ذلك الوقت"المركزية ـ الذي جاء إلى "تركي بن فيصل"وفيها الأمير "هيئة المخابرات العامة :السعودي ."مؤسس الهيئة "كمال أدهم"هذا المنصب خلفاً لخاله السيد
ـ التوجيهات والاتصالات السياسية مع قيادات الجهاد الإسلامي من اختصاص 3 المملكة تجنباً للحرج، مع العلم بأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لها مكتب ومع أن الجيل الأول من الزعماء الأفغان الكبار مثل رباني ـ ."بيشاور"معروف في تعاملوا من البداية مع وكالة المخابرات "على اختلاف ما بينهم"حكمتيار ـ مسعود، المركزية ـ حينما كان نشاطهم داخل الجمهوريات الإسلامية للاتحاد السوفيتي ـ فإنهم الآن والميدان على أرض بلادهم ـ يفضلون أن يكون التعامل مع السعودية !"لتكون الوسائط إسلامية"
ومن غرائب ما حدث باسم الإسلام في تلك الفترة ـ على حد رواية عميد الصحفيين " الباكستانيين ـ أن زعماء القبائل والمليشيات الأفغانية الذين جرى اعتمادهم قادة من " "الخبراء"بإجراءات اقترحها أحد "للحرب المقدسة"للجهاد، وقع تنصيبهم ، وكانت مراسم هذه الإجراءات "مستشرقي وكالة المخابرات المركزية على الأرجح تقضي بأن يُفتح باب الكعبة للقائد المرشح، ثم يدخل الرجل منه إلى قدس الأقداس، فيؤدي الصلاة أمام كل جدار من جدران الكعبة، باعتبار أن كل ناحية من داخل ."!للجهاد ضد الإلحاد "أميراً"، ثم يخرج الرجل وقد وقع ترسيمه "قِبْلَة"الكعبة
من أسلحة "ـ تختص مصر بتوريد الأسلحة والمعدات والذخائر مما لديها 4 ، وعليها أيضاً أن توفر للجهاد "سوفيتية الصنع وسوفيتية النوع :سوفيتية الإسلامي دعما دينياً وسياسيا وإعلامياً، وفي إطار ذلك المطلب فإن بعضا من أهم المؤسسات الدينية في مصر صدرت لها التعليمات بأن تتقدم باجتهادات وفتاوى تؤيد وتزكى أسبقية الجهاد ضد الإلحاد، كما أن بعض وسائل الإعلام الشهيرة فتحت

.أبوابا ثابتة تدعو للجهاد في أفغانستان وتجمع الأموال له
**
وفي تلك الأوقات كان التقدير المشترك للطرفين الأمريكي والسعودي أن دخول في أفغانستان سوف يشجع عناصر "الجهاد الإسلامي"إلى ساحة "بثقلها"مصر وبحيث .قومية وإسلامية شديدة الإخلاص لمعتقداتها على أن تهرع إلى الساحة يظهر فعلا أن هناك أهدافا عربية وإسلامية تستحق العزم والبذل، وأن العمل في !سبيلها ثواب يسعى إليه تقربا وزلفى
الفصل الثاني من صفحة " "حروب غير مقدسة" :في كتابه "جون كولي"ويروى "السادات"ـ أن الرئيس "أنور السادات :وعنوان الفصل كله 43إلى صفحة 29 وهو المسئول وقتها عن أجهزة الأمن الداخلي "حسني مبارك"كلف نائب الرئيس لكن " . "الجهاد الأفغاني"والخارجي، بالإشراف على المجهود المصري في عبد الحليم أبو "لم يلبث إلا شهورا حتى ترك المهمة وأحالها إلى المشير "مبارك" ."، وبدوره أحالها المشير أبو غزالة إلى غيره"غزالة
"السادات"، أنه بعد أيام من لقاء الرئيس "32ص"ليقول "جون كولي "ثم يعود ـ أعطى الرئيس المصري إذنا باستعمال 1980في يناير "زبجنيو برجينسكي"مع في "العمل الجهادي"قاعدة للتخزين والتشوين لخدمة "قنا العسكري"مطار أفغانستان، وكانت طائرات الشحن الأمريكية العملاقة تهبط في هذا المطار كل مساء ويجري تحميلها بالأسلحة والذخائر لكي تطير قبل منتصف الليل، وتهبط قبل الفجر "أفراد"وفي بعض المرات كان هناك .في المطارات العسكرية الباكستانية مصريون يصحبون هذه الشحنات لإتمام إجراءات التسليم والتسلم، كما أن ميناء ."كاراتشي"تحول إلى قاعدة خلفية للتخزين والشحن إلى "بورسعيد"
وكانت الشحنات من مصر بالدرجة الأولى أسلحة وذخائر ومعدات سوفيتية الصنع :"جون كولي"أو سوفيتية النوع ويقول
إن المخازن العسكرية المصرية كلها أفرغت ما كان فيها من أسلحة، بعضها مما " كان مستخدماً في الجيش المصري وجرى الاستغناء عنه، وبعضها ما أنتجته المصانع العسكرية المصرية وفيها مصنع في حلوان وهو الذي جرى تعديل بعض ."آلاته لكي ينتج رشاشات سوفيتية التصميم
كانت الحركة على الجسر :وبعده فصولاً متوالية إثر فصول 1980وابتداء من ربيع ـ وبين بور "بيشاور العسكري"العسكري وبين مطار "قنا"الجوي بين مطار !سعيد وكاراتشي ـ فيضاً يتدفق ليلا ونهاراً ودون توقف
....

....
وفيما يظهر في عدد من الروايات فإن بعض حماسة الإدارة المصرية في شحن] الأسلحة إلى الجهاد الأفغاني، كان دافعها الرغبة في التخلص من السلاح السوفيتي؛ لأن تغير الأحوال قضى أن يكون تسليح الجيش المصري أمريكيا يعتمد على مساعدة عسكرية أمريكية ملحقة باتفاقية كامب دافيد، وبمقتضاها يجري تخصيص .[بليون دولار سنوياً لمشتريات سلاح أمريكي يتفق عليه 1,1مبلغ

....
ومن المفارقات أن السلاح الأمريكي الوحيد الذي وصل إلى أيدي المجاهدين في "باعت"، وقد "ستنجر"أفغانستان هو الصاروخ المتقدم ضد الطائرات من طراز 900منه وزارة الدفاع الأمريكية إلى صندوق الجهاد الإسلامي في أفغانستان صاروخ ـ ثم راجت شائعات بأن مجموعة من هذه الصواريخ وقعت في يد إيران أو وسارعت وكالة المخابرات المركزية تشتري من .على الأقل معروضة عليها للبيع ، وكانت الوكالة الآن "ستنجر"قادة الجهاد ما وصل إلى أيدي رجالهم من صواريخ وتمكنت .تطلب استعادة كل صاروخ منها بما يوازي خمس مرات سعر بيعه الأصلي صاروخا، وما بقي منها في ساحة الجهاد بعد ذلك جرى 260الوكالة من استعادة اعتباره مفقودا مع تعهدات من القادة بأنه إذا ظهر من هذه الصواريخ شيء، فالاستعداد لشرائها ـ وبالسعر الأعلى ـ ما زال قائما، والظاهر أن إيران كانت قد أسواق "، والراجح في "ستنجر"حصلت بالفعل على بضع عشرات من صواريخ أنها قامت بتصنيع نموذج إيراني له، دخل إلى الخدمة العاملة في قوات "السلاح !الحرس الثوري

في حديث صحفي نشرته وسائل "السادات"أعلن الرئيس 1980وفي أول أبريل وكان نص "قراراً رسمياً بالتدخل في أفغانستان"الإعلام في مصر ما يمكن اعتباره :في ذلك الصدد "السادات"ما قاله الرئيس

إننا على استعداد بأسرع ما يمكن لكي نساعد في أفغانستان وأن نتدخل لنصرة " ."إخواننا المجاهدين هناك سواء طلبوا منا المساعدة أو لم يطلبوها

وحين سئل متحدث رسمي من إدارة الاستعلامات المصرية عن تصريح الرئيس ، وهل تتضمن مساعدته لمجاهدي أفغانستان شحنات أسلحة؟ كان رده "السادات" أن ما سوف نعطيه لإخواننا من الأسلحة هو بعض ما " :ثم أضاف ."بالإيجاب" كان عندنا ولم نعد في حاجة إليه وذلك أبسط واجب نؤديه نحو إخواننا في ."الإسلام

....

....
- إلى خلط شديد لحق "هذا الواجب البسيط نحو إخواننا في الإسلام"وقد أدى]
.بالخطاب الإسلامي في مصر ولم يحسن إليه ولا صان مكانته
:والشاهد أن الإسلام عرف دائماً أربعة ألوان من الخطاب الديني
."يمثله الأزهر ودار الإفتاء"- خطاب تقليدي
إلى "محمد عبده"حمل لواءه مجتهدون كبار ابتداءً من الإمام "- وخطاب تجديدي
." "حسين فضل الله"العلامة
تمثل مرات في نشاط الطرق الصوفية ومرات في جماعات مثل "- وخطاب شيعي
."الإخوان المسلمين، خصوصاً في سنوات نشأتها الأولى
بقيادة السيد حسن نصر الله "حزب الله"نموذجه الأصدق نضال "- وخطاب وطني
."لتحرير جنوب لبنان من الاحتلال الإسرائيلي
- وفي الظروف المستجدة - مع الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي - فقدت امتلأت الساحة
:بأنواع طارئة من الخطاب الإسلامي، فيها
تحت "أنه !يحرض على القتال في أفغانستان غافلا أو عارفاً :- الخطاب الدعائي
."توجيه وإشراف قيادة الوكالة المخابرات المركزية الأمريكية
وقد طلع على الناس حين تحولت الفتوى إلى صورة ولون :- والخطاب الفضائي
!وأداء، استغنت جميعها عن الاجتهاد الحق ومقتضياته وأولها الرسوخ في العلم
وذلك نوع طارئ من الخطاب الديني يتحرك سياسياً بتوجيه :"المرائي"- والخطاب
غامض ويحمل في ظاهره وفي باطنه ما يريب، لأن هدفه كما يتضح من حركته
تصفية ما تبقى من الصراع العربي - الإسرائيلي نفسياً ومعنوياً بمقولات من نوع
من نسل "أبناء العم"والدم المشترك بين "مجموع الأديان"و "حوار الأديان"
هو الذي أوقع "الخطاب المرائي"إبراهيم - وغير ذلك من مقولات، وكان هذا
الخطاب الإسلامي التقليدي في ورطة الخوض في مزالق أساءت إلى دوره التاريخي
[!وإلى وزنه العلمي وإلى قيمة مرجعيته

....
جون "ما سجله "في أبسط واجب نؤديه لإخواننا في الإسلام"ثم كان الأغرب
، وهو أن إسرائيل عرضت على وكالة المخابرات "32صفحة "في "كولي
المركزية الأمريكية كمية من السلاح السوفيتي، قالت إنها استولت عليه أثناء
حروبها مع الجيوش العربية، وقبضت إسرائيل ثمن هذه الأسلحة من الصندوق
!"المشترك لدعم الجهاد الإسلامي في أفغانستان

الورقة الرابعة:

كيف دفعت أمريكا حصتها في صندوق الجهاد؟

وهي آخر إقامته في البيت الأبيض "كارتر"وفي السنة الباقية من إدارة الرئيس
، لم تدفع 1980، من توفمبر عام (رونالد ريجان)بعد أن خسر الانتخابات أمام
المخابرات الأمريكية حصتها بالكامل في الصندوق المشترك مع السعودية لدعم
الجهاد الأفغاني، بل كان ما دفعته أقل من نصف ما تعهدت به، مع أنها هي التي
وأما .اقترحت حجم الصندوق شراكة متساوية مع المملكة العربية السعودية
فقد دفعت نصيبها وزيادة، سواء في مبالغ جرة إنفاقها داخل المملكة "الرياض"
، أو "أمور الجهاد"وبينها الصرف على زعماء سياسيين أفغان زاروها لبحث
وكانت .طلبوا مساعدات عاجلة يصعب عليهم انتظار صندوق جنيف عندما يقررها
بحيث "مكتب الخدمات العامة" :السعودية بالإضافة إلى ذلك قد أنشأت ما أسْمي بـ
وكانت مهمة هذا .يكون ـ وليس المخابرات ـ واجهة الترتيب والتنظيم والمتابعة
المكتب أن ينظم الدعوة ويستقبل المتطوعين ويرتب إقامتهم في السعودية، حتى تتم
إجراءات إلحاقهم بصفوف المجاهدين، وأهم هذه الإجراءات، سحب جوازات سفرهم
تمكنهم من "مرور خاصة"معها تصريحات "ببطاقات خدمة"الأصلية وتزويدهم
، حيث يتولآهم هناك فرع أمامي "بيشاور"السفر إلى باكستان والوصول إلى
التي تكون قيادتها "مواقع الجهاد"مهمته توزيعهم على "لمكتب الخدمات العامة"
في حاجة إليهم.
، كان مكتب 1980وقبل نهاية السنة الأولى في تاريخ الجهاد الأفغاني وهي سنة
قد نشطا تحت قيادة "بيشاور"الخدمات العامة في السعودية وفرعه المتقدم في
وهو أستاذ أردني من أصل فلسطيني، كان عصوا في "عبد الله عزام"الشيخ
الذي تعاون في الخمسينات مع حلف بغداد "حزب التحرير الإسلامي".
ومستشاره للأمن القومي قد غادرا "كارتر"ومع نهاية هذه السنة كان الرئيس
البيت الأبيض.

**

لرئاسة الولايات المتحدة، "1980نوفمبر " "رونالد ريجان"وعندما انتخب
وفتحت أمامه مسألة الجهاد الإسلامي في أفغانستان ـ حتى قبل دخوله إلى البيت
الأبيض ـ جاءته ملفاتها ومعها مطالبات من المخابرات الأمريكية تلح في السماح
لها باعتمادات إضافية تسد تعهدات واشنطن في الصندوق المشترك مع الرياض ـ
للعملية بعد أن أقنعه مستشاروه، وفي مقدمتهم "رونالد ريجان"وقد تحمس
الذي اختاره لرئاسة وكالة المخابرات المركزية " "ويليام كايسي"صديقه الأعز

"الأكبر"- بأهمية اصطياد الجيش السوفيتي في أفغانستان باعتبارها "الأمريكية
."وكان ذلك صحيحا"بين كل عمليات الحرب الباردة
ومن قبل أن يتولى مقاليد السلطة ويفكر في خطوط "رونالد ريجان"ومعنى ذلك أن
أول ميزانية لإدارته - كان عليه أن يوفر مبالغ طائلة للجهاد الأفغاني تسدد الحصة
الأمريكية عن السنة الأولى في الصندوق المشترك مع السعودية، وتعتمد المقرر
للسنة الثانية وتدفعه، وتزيد فوقه ما يتناسب مع المستوى الذي بلغته العملية
.واحتمالاتها غير المحدودة
أنه في أوائل شهر ديسمبر التقى الرئيس "الحرب غير المقدسة"ويروى كتاب
في لوس أنجلوس بنائب مدير وكالة المخابرات المركزية "رونالد ريجان"المنتخب
وهو جندي منت تحت السلاح "فيرنون والترز"الجنرال :الأمريكية في ذلك الوقت
بدأ حياته في المخابرات العسكرية أيام الحرب العالمية الثانية، ثم برز في العمل
السري في أوربا بطريقة لافتة للأنظار حملته إلى أرقى المناصب في مؤسسات
.الأمن وأوصلته نائباً لمدير المخابرات المركزية
فيرنون "- كان 1980وفي هذا الاجتماع في لوس أنجلوس - أوائل شهر ديسمبر
يريد أن يشرح للرئيس المنتخب - وفي حضور عدد من أقطاب إداراته "والترز
المرشح مدير الوكالة المخابرات المركزية الأمريكية "ويليام كايسي"وبينهم
- كافة الاحتمالات الواعدة للجهاد الأفغاني - وكذلك "وهو صديق قديم لوالتز"
!مشكلاته
:وأهمها حسب ما طرحه الجنرال والترز
- .إن تكاليف العملية تتزايد على نحو متصاعد بسبب النجاح وليس بسبب الفشل
- أن الوكالة لا تقدر من ميزانيتها العادية أن تفي بالنصيب الأمريكي في الصندوق !المشترك مع السعودية لأن ميزانيتها لا تحتمل
- إن الوكالة أمامها مشروعات مهمة في تضييق الخناق على الاتحاد السوفيتي في أوربا الشرقية، وبحيث يتم حصر الاتحاد السوفيتي بين غرب آسيا وشرق أوربا في "جون بول الثاني"جديداً لروما "بابا"الوقت نفسه - وبالذات من بولندا مع مجيء من مواطني ذلك البلد الذي تتحرك فيه الآن منظمة علنية معادية للشيوعية تحت رئيس نقابات عمال بناء السفن في جدانسك - "ليخ فاليسا"اسم التضامن يتزعمها ومعنى أن تتكفل الوكالة بتدبير ما هو لازم لأفغانستان - من ميزانيتها الحالية - أن !يسقط مشروع بولندا على الأرض كطائرة تعطلت محركاتها ووقعت أجنحتها

وبدا أن الرئيس ريجان حائر إزاء ما طرح عليه؛ لأن أهم بند في حملته الانتخابية
كان التوقف عن التمويل بالعجز، وترحيل ذلك العجز سنة بعد سنة إلى الدين العام،

وعليه فهو مطالب أن يضغط الإنفاق ولا يزيد منه، لكنه في الوقت نفسه على حد قوله:
"العدو الشرس"، لأنها بدت له - وهو "وقع في غرام عملية أفغانستان" للشيوعية، حيث تكون - تموذجاً مثالياً لسفح دم السوفييت، جزاء ما تسببوا فيه "من سفح دم أمريكي غزير في فيتنام"!
وكله ظاهر في الكتب "ولعل أهم ما تجمع عليه المصادر مما حدث في ذلك الوقت هو الطريقة التي تمكنت بها إدارة الرئيس "الثلاثة التي يستند إليها هذا الحديث "للجهاد في أفغانستان"ريجان عندما تولت السلطة من تدبير الاعتمادات اللازمة دون أن يتكلف دافع الضرائب الأمريكي بسنت واحد!
**
واستنادا إلى وثائق اطلع عليها "بالتحديد "الحروب غير المقدسة"ويركز كتاب مؤلفه إلى جانب شهادات سجلها - ومنها أقوال خمسة من رؤساء أجهزة المخابرات الأمريكية والأوربية - إلى جانب تقارير سرية عرضت على لجنة المخابرات في - على رواية تفاصيل وافية عن "مجلس الشيوخ الأمريكي لثماني سنوات متعاقبة الجهاد "الطريقة التي تمكنت بها إدارة ريجان من دفع نصيبها في صندوق الأفغاني".
تتدفق تفاصيل هذه "الحروب غير المقدسة "من كتاب 128وابتداءً من صفحة على النحو التالي "وهي مزعجة"الطريقة:
بثلاثة أيام، استقبل رئيس الولايات المتحدة في "رونالد ريجان"بعد حفل تنصيب مكتبه البيضاوي شخصية أحيط وصولها إلى البيت الأبيض بجو من السرية شديد، "فيرنون والترز"بهذه الشخصية حضره الجنرال "ريجان"زاد منه أن أجتماع الذي عين مستشاراً لرئيس الولايات المتحدة للمهام الخاصة التي يشرف عليها ، "كاسبر واينبرجر"مجلس الأمن القومي، كذلك حضره وزير الدفاع الجديد مساعد مستشار الأمن القومي للرئيس، الذي كان "روبرت ماكفرلين"والجنرال لا يفض قبل "محضر مختوم"عليه أن يسجل وقائع الاجتماع لمكتب الرئيس في خمسين سنة!
ذائع الصيت "SDECE"وكان الزائر هو رئيس المخابرات الفرنسية الخارجية وبـ "كايسي"وهو صديق وثيق الصلة بـ "ألكسندر دي ميرانش"الكونت من تعاون ورفقة عمليات سابقة "والترز".
في حديث صحفي "ريجان"فيما بعد إلى ذلك اللقاء مع "دي ميرانش"أشار " 1992يونية 13نشرته مجلة تايم في عددها بتاريخ".

عرف من "دي ميرانش"فإن " "تايم"لمحرر مجلة "وطبقاً لجون كولي و
أن الرئيس الأمريكي مشغول بتوفير نصيب أمريكا في "كايسي - ووالترز"صديقيه
"ريجان"الجهاد الأفغاني، وكان لديه الحل - ثم إن لديه الفرصة الآن ليعرضه على
:بنفسه، وقد دخل في الموضوع مباشرة قائلاً
، هل أستطيع أن اسأل ما الذي تفعلونه Mr Presidentالسيد الرئيس "
DEAبالمضبوطات التي تصادرها الوكالة المختصة بتنفيذ قانون مكافحة الإدمان
FCA؟!أو هيئة الجمارك FBIأو مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى
إنه لا يعرف - لكنه يفترض أن هذه المضبوطات يجري " :"ريجان"وقال الرئيس
هذه غلطة يا سيادة " :"دي ميرانش"، وقاطعه "حرقها تحت رقابة مشددة
!"الرئيس
وفي مكتبه البيضاوي "يقول لرئيس الولايات المتحدة - "دي ميرانش"واستطرد
إنني أفهم أن تصادروا هذه الشحنات من المخدرات ولكني "- "داخل البيت الأبيض
، واقتراحي - سيادة الرئيس - أن تعملوا على توصيل جزء "لا أفهم لماذا تحرقونها
منها إلى معسكرات الجيش السوفيتي في أفغانستان لنشر الإدمان في صفوف
دي "أضاف الكونت .رجاله؛ لأن ذلك يتكفل بإنهاك القوى القتالية لجنوده
الفيت "أليس ذلك - سيادة الرئيس - ما فعله :يسمع مأخوذا "ريجان"، و"ميرانش
في فيتنام؟ وأليس ذلك - سيادة الرئيس - ما أدى إلى "المقاومة الوطنية" "كونج
؟"هبوط معنويات الجنود الأمريكيين في تلك الحرب
بهذه النصيحة فعلاً وتحمل مسئوليتهافي مذكراته التي نشرها "دي ميرانش"“أقر
دي "رؤى وأفعال - لكن "Perception et Action"بعنوان "1992ديسمبر "
."لم يشر في كتابه إلى بقية النصيحة "ميرانش
إلى تخصيص باقي "سيادة الرئيس"تدعو "دي ميرانش"كانت بقية نصيحة
مضبوطات المخدرات - بعدما يجري تسريبه إلى معسكرات الجيش السوفيتي في
ويعاد بيعه عن طريق "العالمية"أفغانستان - بحيث يجد طريقه إلى الأسواق
، ويكون من عائده فائضاً يدفع نصيب الولايات المتحدة في "شبكات أهلية"
."الجهاد الأفغاني"
، أن الرئيس ريجان أطرق "129صفحة " "حروب غير مقدسة"ويسجل كتاب
ثم "A Great Ideaهذه فكرة عظيمة " :مفكراً بضع ثوان ثم رفع رأسه قائلاً
التفت إلى معاونيه المشاركين في اجتماعه مع مدير المخابرات الخارجية الفرنسية
ورفع الرئيس "إن أحداً لم يقترح علي فكرة على هذا المستوى من قبل" :وقال
الذي لم تمكنه " "ويليام كايسي"سماعة التليفون وطلب توصيله بـ "ريجان"

أريدك أن تقابل صديقنا " :، وقال له"مهمة عاجلة من حضور اجتماع البيت الأبيض
."الفرنسي؛ لأن لديه اقتراحات أراها بديعة وأريدك أن تسمعها منه
قد سمعها من صاحبها قبلا، ولعله لم يحرص على حضور الاجتماع "كايسي"وكان
بتلك الفكرة البديعة، ومن ثم "ريجان"في البيت الأبيض حتى لا يشارك في إقناع
وقد رأى الأفضل له !يتحمل مسئوليتها القانونية في يوم من الأيام إذا تسرب سرها
.أن يأتيه بها أمر من رئيس الولايات المتحدة
وبحث معه "ويليام كايسي"في اليوم التالي بـ "دي ميرانش"وكذلك التقى
!تفاصيل فكرته وتحويلها إلى خطة

:الورقة الخامسة

!أساطير الأفيون وأمواله الخرافية

لم تكن المخدرات بعيدة عن أفغانستان، ولا غريبة عن جماعات المجاهدين الذين
.متمثلا في القوات السوفيتية التي دخلت أفغانستان "الإلحاد"يقاتلون
والشاهد أن أفغانستان كانت من الأصل واحداً من بلدين لهما النصيب الأكبر عالميا
."بورما هي البلد الثاني" "الأفيون"في زراعة وصناعة
فإن إنتاج أفغانستان من "119لأحمد رشيد صفحة " "طالبان"وطبقاً لكتاب
طن، وذلك تقدير الأمم 2400- 2200كان يصل سنوياً إلى ما بين "وقتها"الأفيون
.المتحدة
حتى أصبح يضخ في "مطالب الجهاد"وقد زاد هذا الإنتاج عدة مرات تحت ضغط "
اقتصاد أفغانستان سنويا ما يزيد على ستة بلايين دولار سنويا، هي عماد اقتصاد
."البلد، وأهم مورد للثروة فيه
وكانت زراعة الخشخاش وصناعة وتقطير الأفيون من زهرها وثمرها هي شاغل
معظم زعماء القبائل والعشائر الأفغانية، وعندما أصبح هؤلاء الزعماء في مقدمة
صفوف الجهاد، فإن كل واحد منهم حاول أن يبني مليشيا مسلحة تتناسب مع مقامه
قبل أن يتقدم في طلب نصيبه من الصندوق المشترك لمساعدة المجاهدين في
.أفغانستان
وعندما أصبح للحرف في أفغانستان قادة "مرحلة طالبان"وفي مرحلة لاحقة
للجهاد لا يملكون أرضا ولا زرعا ولا معامل تقطير، فإن هؤلاء القادة وجدوا
لأنفسهم مكانا على الخريطة حين أمسك كل منهم بمدخل طريق أو تقاطع طرق، ثم
.أقام هناك حاجزا ينظم مرور شحنات الأفيون ويسمح بها مقابل رسوم
بتقارير لمنظمة مكافحة المخدرات التابعة "كتاب طالبان" "محمد رشيد"ويستعين

:صفحة تقرير يقول "120"للأمم المتحدة وفيها
لقد حدث ما يشبه الانفجار في تجارة المخدرات القادمة من أفغانستان، لأن ما "
من حجم المخدرات المتداولة في العالم أصبح يجيء من هذه % 70متوسطه
المنطقة، وهناك أدلة قاطعة على وجود صلة بين القائمين بهذه العمليات وبين
."عناصر نافذة في الإدارات الرسمية لأكثر من حكومة
أن الإشارة واضحة هنا إلى المخابرات المركزية الأمريكية "محمد رشيد"ويرى
والمخابرات العسكرية الباكستانية، ويورد نماذج واقعية اضطرت فيها السلطات
الباكستانية ـ تحت ضغوط دولية ـ إلى التبرؤ من عمليات الأفيون ونقل بعض
.ضباطها الذين أشارت إليهم تقارير الأمم المتحدة بالاسم إلى مواقع أخرى
ـ بالوقائع والأسماء كيف أن بعض "121صفحة "إلى ذلك "طالبان"ويزيد كتاب
اضطروا إلى "بيشاور"ضباط مكاتب مكافحة المخدرات التابعة للأمم المتحدة في
الاستقالة من وظائفهم كنوع من الاحتجاج؛ لأنهم اكتشفوا أن المخابرات المركزية
.الأمريكية والمخابرات العسكرية الباكستانية تعرقل جهودهم
**
وطوال حقبة الثمانينات كانت أموال الجهاد ضد الإلحاد في أفغانستان تتدفق سيلا
في العالم العربي، فالمصادر أصبحت سخية والحسابات طرية الفرص مفتوحة على
!الآخر لمن يستطيع الوصول والدخول
تحققت "بالملايين وعشرات الملايين ومئات الملايين"والشاهد أن ثروات هائلة
لأصحابها في هذه الفترة في السعودية ولبنان والأردن والمغرب ومصر، والأساس
.فيها فيض الخير من أموال الجهاد في أفغانستان
وفي مصر على سبيل المثال فإن هذه الأموال أغرت كثيرين تواجدوا في ميدان
!باعتقاد أن هناك فرصة متاحة للغنى الفورى "خفافا"الأعمال أصلاً ـ أو سعوا إليه
ـ القدامى والجدد، عرفوا باتصالاتهم "رجال الأعمال"وتظهر التقارير أن عددا من
أن هناك طلبا على أنواع من الأسلحة بالذات لم يعد منها كفاية في المخازن
العسكرية المصرية، وقد سارعوا ـ خفافا أيضا ـ إلى توريدها، وقصد بعضهم إلى
بلدان أوربا الشرقية وبالذات بلغاريا والمجر وتشيكوسلوفاكيا يشترون من هناك
.بسرعة ما أصبح نادراً هنا
وكانت فوارق الأسعار في بعض الأوقات خرافية لكن الاحتياجات كانت ملحة
!والطلبات عاجلة

....
في أفغانستان احتاج إلى بغال ألفت مسالك "الجهاد"ومن غرائب تلك الأيام أن]

الجبال واكتسبت مهارات صعودها، وأفتى أحد العارفين بأن البغال المصرية لا تصلح للغرض وأن أنسب البغال للمطلوب ما هو موجود في جزيرة قبرص، لأن ضد "مكاريوس"طبيعة الجزيرة جبلية، والبغال فيها من أيام ثورة الأسقف كما نفعت "بريطانيا، تعودت وحصلت بالمران خصائص تنفع الجهاد الإسلامي الآن ."!البطريرك الأرثوذكسي من قبل
ألفي بغل قبرصي "2000"وكذلك توجه أحد رجال الأعمال إلى قبرص يشتري .قادرة على الحياة والعمل على سفوح وقمم الجبال في أفغانستان
وكان بادياً مرة أخرى أن إغراء الربح وفيراً وسريعاً يرفع الأسعار بطريقة مبالغا ومن الغريب أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تحوطت لذلك ووضعت .فيها ضمن هيئة السفارة الأمريكية في القاهرة ـ في ذلك الوقت ـ ممثلا لمجلس الأمن وكان مجتمع "جوكس كوفي"القومي في البيت الأبيض برتبة وزير مفوض اسمه لا يقل نفاذا عن مركز "جوك"القاهرة يحس بقرون استشعار مرهفة لديه أن مركز السفير المعتمد للولايات المتحدة الأمريكية في القاهرة أيامها، "فرانك ويزنر" أنه يمثل "وذلك صحيح"الذي كان معروفاً "كوفي"ولعله لم يخطر ببال أحد أن البيت الأبيض وليس وزارة الخارجية ـ هو المسئول المكلف بالإشراف على تزويد "كوفي"وكذلك كان .بما يحتاجه من مصر أو عن طريقها "الجهاد الأفغاني" يطلب، وكان يوافق، وكان يأذن بالصرف من اعتمادات الصندوق المشترك في المشتغلين باحتياجات ""رجال الأعمال"جنيف، وكان الرجل بالتأكيد يلاحظ أن كما كان "جوك "ـ لكن الضرورات لها اعتباراتها، وكانت لـ "يبالغون"الجهاد إن الجهاد أيضا " :ـ كلمة مشهورة تقول "أصدقاؤه ينادونه اختصارا أو تدليلاً ["!يحتاج إلى حوافز
....
....
:الورقة السادسة
!الرجل الغامض وسط الأساطير
على "غسيل الواقع"و "الحروب غير المقدسة"و "طالبان" :وتجمع الكتب الثلاثة بليون دولار، وذلك حساب 14إلى 12أن الجهاد في أفغانستان تكلف ما بين الصندوق المشترك الدوار الذي كانت السعودية والمخابرات المركزية الأمريكية لكن الموارد الإضافية الطارئة أضافت إلى ذلك المبلغ أضعافه، إذ يقدر .تصرفان منه أن ما صرف في هذه الحرب يقدر بمبلغ 18صفحة "لأحمد رشيد" "طالبان"كتاب وتلك ثروة عصية حتى على القانون، وبالفعل فإن هذه الثروة "مليار دولار 45

الممر "بعد أن قام لسنوات طويلة بدور "الاعتماد والتجارة"فلكية أطاحت ببنك
.في أفغانستان "الجهاد الإسلامي"الظاهر لأموال "المالي
أغا "كان هذا البنك مشروع رجلا علا نجمة مرة واحدة أوائل الثمانينات وهو السيد
مؤسس ورئيس مجلس إدارة بنك الاعتماد والتجارة ـ والرجل "حسن العابدي
باكستاني خبر أعمال البنوك ولمح فرصته حين رأى الطوارئ الجديدة، وقدر
وقد حصل على الترخيص بتأسيس البنك في .حاجتها إلى بنك أكثر مرونة من غيره
كمال "الإمارات العربية المتحدة، ثم ضم إليه شركاء واصلين من أبرزهم السيد
وخال الأمير تركي الذي "مدير المخابرات السعودية ومستشار الملك فيصل "أدهم
."خلفه على إدارة المخابرات السعودية
وفي سنوات قليلة أصبح هذا البنك ومقره مدينة أبو ظبي عاصمة الإمارات العربية
المتحدة ـ واحد من أقوى بنوك الشرق الأوسط وأظهرها في الأسواق المالية، كما
أصبح شخصية مرموقة في عواصم المال "أغا حسن العابدي"أن مؤسسه
والأعمال في العالم كله، بل وقد حاول الرجل أن يعطي نفسه مكانة تجعله أكثر من
!مجرد رئيس مجلس إدارة بنك

....

....

، "أغا حسن عابدي"وقد شاءت المصادفات أن أكون طرفا في تجربة مباشرة مع]
وأهمية التجربة دلالتها على أن حكومات أوربية أو هيئات نافذة في أوربا ـ عرفت "
، "الأفيون في تمويل النصيب الأمريكي في عمليات أفغانستان "دور"مبكرا عن
"عظيم حسين"أن صديقاً قديماً هو السفير 1986فقد حدث في شهر مارس سنة
الذي كان ممثلاً فوق العادة للهند في القاهرة سنوات الخمسينات بعث إليّ بخطاب
الذي كان وقتها سكرتيراً "ساني رامفال"وقعه معه صديق مشترك لنا هو السير
وكان خطاب الاثنين دعوة لكي أنضم عضوا في مؤسسة .عاماً لمنظمة الكومنولث
جائزة "ـ ضمن نشاطها أن تقوم على منح جائزة سنوية باسم "العالم الثالث"باسم
وقد أضاف .لشخصية عالمية لها إسهام مرموق في الحياة الدولية "العالم الثالث
.الصديقان في خطابهما أن جائزة العالم الثالث سوف تكون في إطار الأمم المتحدة
وبالفعل وقع بينما كنت أفكر في العرض أن اتصل بي من نيويورك الصديق السفير
وهو وقتها مدير المكتب الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة "علي تيمور"
ينقل إلى رسالة مؤداها أن السكرتير العام "علي تيمور"وكان "بيريز دي كويلار"
يضم صوته إلى أصوات أخرى سبقته في إقناعي بقبول عضوية مؤسسة العالم
أن الجائزة "عظيم حسين" الثالث ولجنة الجائزة التابعة لها، ثم عرفت من السفير

تحددت قيمتها بمبلغ مائة ألف دولار، وأن هذا المبلغ سنوي وكذلك تكاليف مراسم وهي مؤسسة لا تستهدف "مؤسسة العالم الثالث"الاحتفالات سوف تقدم هدية من الذي هو في نفس "أغا حسن العابدي"الربح، مسجلة في نيويورك ويرأسها .الوقت رئيس مجلس إدارة بنك الاعتماد والتجارة
ونظرت في القائمة المقترحة لعضوية لجنة الجائزة بالتحديد ووجدت سبعة من ألمع "أمير عبد السلام"الأسماء بينهم العالم الباكستاني الذائع الصيت الدكتور ، والذي تبرع بقيمة 1979الحاصل على جائزة نوبل في الطبيعة النووية عام " شمال إيطاليا يكون أكاديمية "تريستا"جائزته لإنشاء معهد دولي في مدينة أمير عبد "لتدريس العلوم النووية لشباب من أبناء العالم الثالث، وكان الدكتور ."يعْتبر أستاذا لكل مهندسي المشروعات النووية الكبرى في آسيا "السلام
عظيم "وبينما كنت أفكر جديا في الموضوع لحقتني رسالة جديدة من السفير إنه تلقى اقتراحا بأن تكون الجائزة في المرة الأولى من " :يقول فيها "حسين ، ويسألني رأيي؟ "مستشار ألمانيا الغربية السابق "ويلي برانت"نصيب
....

....
عمدة برلين الغربية في ذروة الحرب الباردة، وحين كانت ألمانيا "ويلي"كان] التي وضعت تحت إدارة "برلين"مقسومة إلى شرق وغرب، وكذلك عاصمتها ويلي "دولية مشتركة تحميها قوات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، ثم إن لألمانيا الغربية، وكان هو "أي رئيس وزراء"أصبح فيما بعد مستشارا "برانت مع بداية الوفاق ـ ثم أصبح "Ostpolitik"الذي ابتدع سياسة التوجه إلى الشرق بشخصه ودوره أكبر رموز هذا الوفاق والآمال التي تعلقت به لتفادى صدام ـ نووي .[ـ بين القوتين الأعظم

....
لهذه الجائزة كان العامل الحاسم في قبولي بما "ويلي برانت"وربما أن ترشيح ، وتقرر أن "من عضوية مجلس العالم الثالث وعضوية لجنة جائزته"عرض علي نتقابل جميعا ـ بالذات أعضاء لجنة الجائزة ـ في نيويورك وأن ننزل معا في فندق بلازا الأمم المتحدة، ومبناه في مواجهة مبنى الأمم المتحدة مباشرة، والانتقال بين وكان السكرتير .الشارع من الرصيف إلى الرصيف الاثنين لا يقتضي غير عبور العام للأمم المتحدة قد خصص قاعة لاجتماعات لجنة الجائزة، كما ارتأى أن يكون في قاعة اجتماعات "ويلي برانت"احتفالها بمنح جائزتها للمرة الأولى ـ إلى .الجمعية العامة

وسارت أعمال اللجنة على ما يرام، ولم يكن هناك اعتراض من أي عضو فيها على
، وقامت أمانة اللجنة بإبلاغه، ورد عليها بقبوله، وجاء إلى "برانت"اختيار
مع أعضاء لجنة "بلازا الأمم المتحدة"نيويورك فعلا، ونزل في نفس الفندق
.الجائزة
فيه بقرارها وحيثياته، ولم يبق "أبلغناه"اجتماعا للجنة "ويلي برانت"ثم حضر
من مراسم الجائزة غير احتفالها الرسمي المقرر عقدة في قاعة اجتماعات الجمعية
العامة للأمم المتحدة، والمتحدث الرئيسي فيه هو السكرتير العام للمنظمة الدولية
."بيريز دي كويلار"
وفيما بين اللقاء الصباحي للجنة الجائزة والاجتماع المسائي الاحتفالي، فوجئت بـ
يطلبني على التليفون ليسألني هل يستطيع أن يجيء ويلقاني في "ويلي برانت"
!غرفتي ـ والآن؟
**
إلى غرفتي في فندق بلازا الأمم المتحدة، أحسست أن "ويلي برانت"وعندما دخل
الرجل مشغول إلى درجة الهم بشيء يثقل عليه، ولأني أعرفه منذ سنوات طويلة،
تكررت خلالها لقاءاتنا وطالت أحاديثنا، خصوصا عندما كنت ضيفا على صديقي
الألمانية ذائعة الصيت وقد "دير شبيجل"القديم الذي كان أحد رؤساء تحرير مجلة
ـ "كونراد آللرز"قبل الآن أن يعمل مستشاراً صحفيا وعضو مجلس وزرائه وهو
وقتها مستشار "برانت"و"، 1972أثناء دورة الألعاب الأوليمبية في ميونيخ سنة
.ـ فقد كنت أستطيع أن أحكم على حالته بالنظر إلى ملامحه "ألمانيا الغربية
هل تعرف ما فيه الكفاية عن :على مقعد ثم بادرني بسؤال "ويلي برانت"وجلس
إنني لم أتعرف عليه قبل هذه المرة في " :وأدهشني السؤال، وقلت "حسن أغا"
سفير الهند في مصر "عظيم حسين""نيويورك، لكنني أعرف اثنين من مساعديه
سكرتير عام الكومنولث حاليا، وهما القائمان على منظمة "ساني رامفال"سابقاً و
."العالم الثالث التي جمعتنا في هذه المناسبة
ما "عاصمة ألمانيا الغربية أيامها"إنني تلقيت اليوم من بون " :"برانت"وقال
يجعلني أعاود النظر في قبولي للجائزة التي أعطيتموها لي اليوم ـ ولا أعرف كيف
أتصرف؟ ليس عندي شيء محدد أستند عليه وإنما عندي هواجس غير محددة
:، وسكت قليلا ثم استطرد"بنك الاعتماد والتجارة"و "حسن أغا"تخص
من هذه المائة ألف دولار التي "مارك"يعلم الله أنني في حاجة إلى كل "
أعطيتموها إلى هذا الصباح، لكني الآن غير مستريح إلى قبولها ـ أنت تعرف كم
."أحتاجها

....

....
في اليوم السابق قد قدم لي زوجته الشابة الجديدة والتي كانت "ويلي برانت"كان]
إنها غيرت "ظاهر البهجة وهو يقدمها قائلاً "ويلي"من قبل سكرتيرة له، وكان
"بافاريا"حياته وإن سعادته لا توصف وهو يستيقظ كل صباح في كوخ صغير في
يتخذانه الآن عشاً للزوجية، ثم يذهب بنفسه إلى المطبخ ويصنع طبق البيض المقلّى
[.ويعد الشاي والخبز المقدد والعسل لإفطار الصباح له ولهيلدا

....

....
إذا كان لديه أكثر مما استثار هواجسه، "ويلي برانت"وحاولت أن أستوضح من
ولم يكن لديه شيء محدد، لكن الشكوك في مثل هذه الحالات تكفي لأنها تنبه إلى
!تناقض في الضمير بين القبول بشيء أو رفضه حتى دون تحديد للأسباب
أنني أفهمه ولكن المشكلة الحساسة هي كيف يتصرف دون "ويلي برانت"وقلت لـ
الأمم "أو إلى جهة "عظيم حسين وساني رامفال مثلاً"أن يسيء إلى شخص
المتحدة وسكرتيرها العام، واحتفال المساء هذه الليلة يجري بمشاركته في تقديم
."الجائزة وبحضوره العشاء بعدها وذلك تكريم خاص موجه إلى برانت شخصياً
:ولمدة نصف ساعة رحنا نقلب مختلف الاحتمالات حتى توصلنا إلى حد وسط
في احتفال المساء ويقبل الجائزة، ويتسلم الشيك بقيمتها، ثم "ويلي برانت"يقف "
يعلن أن يتبرع به إلى أحد الصناديق الاجتماعية للأمم المتحدة، ويكون ذلك حل
."الإشكال
بمعنى أنه يقبل الجائزة معنويا ويعتذر عن قيمتها ماديا، وهو بذلك يتسق مع
السكرتير العام للأمم المتحدة، وفي نفس "بيريز دي كويلار"شعوره ولا يحرج
الوقت لا يجرح أحدا من القائمين على منظمة العالم الثالث وجائزته، ولا يسيء -
.بدون سبب واضح - إلى حسن أغا العابدي

....
، وارتفع درع "في أفغانستان مرحلته الأولى "الجهاد"عندما قارب "وفيما بعد
مؤسس بنك الاعتماد والتجارة - لجأ الرجل إلى باكستان، "حسن آغا"الحماية عن
ثم بان إلى أي مدى كان البنك غارقاً في أموال تجارة الأفيون وفي تحويل مسار
.جزء كبير منها إلى عمليات الجهاد الإسلامي في أفغانستان
وفي التحقيقات التي أعقبت افلاس البنك مع بداية التسعينات، تبين أن عمليات
الاحتيال والاختلاس التي جرت في البنك جاوزت خسائرها أكثر من عشرين بليون

!دولار
وأثناء التحقيقات والمحاكمات الخاصة بإفلاس البنك ـ ومن المفارقات أن بعضها ـ تعرض عدد كبير "بعد انتهاء مرحلة الجهاد الأولى"جرى في الولايات المتحدة من المشاركين في إدارة بنك الاعتماد والتجارة ـ وربما كانوا أبرياء ـ إلى المساءلة، وكان من "واستدعوا للتحقيق معهم، ومنع بعضهم من دخول الولايات المتحدة مليون 80الذي اضطر الى توقيع تسوية دفع بمقتضاها "كمال أدهم"بينهم السيد ."!دولار ليسوى مسئوليته كعضو في مجلس إدارة بالبنك

:الورقة السابعة

!ماكيافيللي في أفغانستان

لكن حروب العقائد تحتاج إلى الإيمان قبل أن تحتاج إلى المال، وترضى بالتضحية ولا تنتظر الثروة، والمجاهدون في سبيل الله لا يحرصون على المال؛ لأنه إذا كان فإذا كان الحرص على .ذلك ـ فهو الحرص على الحياة، وإلا لما كانت للمال فائدة القاعدة "المال هو المقصود إذن فالتعرض للخطر غير وارد وإيثار السلامة يصبح .لسلوك المجاهدين "الذهبية

وعندما أصبح أمراء الحرب الأفغانية طلاب ثروة تجري حولهم أنهار، سواء من المشترك بين الولايات المتحدة والمملكة العربية "الجهاد الإسلامي"صندوق ، أو من فوائض زراعة وتجارة الأفيون، أو من رسوم "في جنيف"السعودية الجهاد "السماح بمروره عند حواجز الطرق بين أمراء الحرب ـ فإن جماعات ."قوات مرتزقة"تحولت إلى "الإسلامي

كان موفقا إلى أبعد "حروب غير مقدسة"مؤلف كتاب "جون كولي"والحقيقة أن حد في اختياره للقول المأثور الذي استعاره من قائله الأصلي ليصدر به كتابه، فقد الذي ألفه "الأمير"لتصدير كتابه فقرة كاملة من كتاب "كولي"اختار أمير فلورنسا، وقد تحول "لورنزو العظيم"على شكل رسالة إلى " "ماكيافيللي" وفي تلك الفقرة التي ."هذا الكتاب إلى عمل تأسيسي في بناء علوم وفنون السياسة :يقول ماكيافيللي "الأمير "من كتاب "جون كولي"اختارها ."وهم خطر عليه "للأمير"إن الجنود المرتزقة بلا فائدة "

لأن الجنود المرتزقة دائما منقسمون فيما بينهم، عطشى للقوة، وغير منضبطين برباط أي نوع من الولاء، وهم شجعان فيما بينهم لأنهم يتنازعون على الغنائم، جبناء أمام العدو لأنهم لا يريدون الموت، وليست لديهم خشية من الله، ولا عهد مع .الناس، وهم يحاذرون الهزيمة؛ لأنها تفسد وظيفتهم ولهذا يتجنبون القتال أساسا وفي الحالة الأولى .إما رجال يتقنون الحرب أو لا يتقنونها :وقادة المرتزقة نوعان

فإن الأمير لا يستطيع أن يثق بهم لأن إتقانهم للحرب يغريهم بقوتهم، فيأخذون في ابتزاز أسيادهم، أما إذا كانوا لا يتقنون الحرب فإنهم يصبحون سببا للخسارة !والهزيمة بينما تقع المسئولية على أسيادهم
وقد أظهرت التجربة أن الممالك والجمهوريات لا بد أن تكون لها جيوشها النظامية، تدافع عن أمنها ومصالحها، باعتباره الخير المشترك للجميع في توفير الأمن ."والمصلحة، وهنا فإن الجنود المرتزقة وضباطهم لا مكان لهم ولا عمل
وكان ذلك تماما حال زعماء الجهاد في مناطق أفغانستان المختلفة ومن عصبياتها ـ "الهازارا"و "والأوزبك "الطاجيك"و "البشتون"القبلية المتصارعة ما بين !شمال أفغانستان وجنوبها ـ شرقها وغربها
**
وربما أنه من القسوة وتصنيف كل من خرجوا للجهاد من زعماء القبائل والمناطق في أفغانستان على أنهم مليشيات من المرتزقة، لكن الجميع ـ وبغير استثناء ـ أدركوا حقيقة بالغة الأهمية، مؤداها أن مستقبل أفغانستان لن يتضح شكله ولن ولم يكن لديهم شك "تتقرر صورته إلا بعد أن يخرج الجيش السوفيتي من بلادهم أن الاتحاد السوفيتي سوف يخرج وقد بلغت الأمور ما بلغته على أرض المعركة من أفغانستان كيدا ـ سواء كان خروجه بهم أو بغيرهم ـ وهنا فإن الشعور الذي ساد أن كل طرف سوف يتحدد مستقبله بمقدار ما "بينهم وأصبح معيارا لتصرفاتهم هو ادخر لنفسه من الإمكانيات المتاحة له الآن كي يجاهد، وليس بكمية ما بذل من هذه ."الإمكانيات حتى يبلغ الجهاد غايته وتجيء ساعة الحقيقة
الانتظار والاحتفاظ :وهكذا أصبحت استراتيجية جماعات الجهاد بغير استثناء هي .بالقوة حتى تكون هذه القوة أداة للسلطة عندما تنتهي الحرب
وعندما كانت ضرورات الحصول على الدعم المادي والعسكري تقتضي قدراً من العمل يزكي أصحابه ويرفع بالتالي مخصصاتهم من المال والسلاح والمؤن، فإن بالقدر الضروري ـ وليس أكثر ـ ولمجرد حفظ الحق في "يجاهد"بعضهم كان وفي الواقع وعلى الأرض فإن القدر الأكبر والأصعب !المستقبل عندما يجيء حسابه خصوصا "كان من نصيب المتطوعين الباكستانيين من جنود الجيش "الجهاد"من ـ "بيشاور"من مناطق البشتون في ولاية الشمال الغربي من باكستان ـ وعاصمتها وكذلك من نصيب ."وامتداد بشرى لأهلها "قندهار"وهي ملاصقة لإقليم المتطوعين العرب الذي أرسلوا تكليفاً أو قصدوا تطوعاً إلى مقر قيادة الجهاد في :السعودية، وكانوا في ذلك الوقت ثلاث جماعات
- جماعة من أفضل الرماة المسرحين من الجيش الباكستاني والجيش المصري

وغيرهما من الجيوش الإسلامية والعربية، وقد جرى تجنيدهم عندما وصلوا إلى 500ما بين "نهاية خدمتهم، وعرضت عليهم مرتبات لم يكن في مقدورهم رفضها ."دولار في الشهر 700-

○ جماعة من المنتمين إلى تنظيمات إسلامية قصدوا إلى أفغانستان إثر ضربات أمنية وجهت إلى تنظيماتهم؛ لأن هذه التنظيمات مارست بالعنف أشكالاً من الأعمال .الإرهابية في أوطانها

○ ثم جماعة من المتطوعين الإسلاميين حلت لهم فكرة الجهاد في سبيل الإسلام، ينالهم "ذكر جهادي"وقد زينها لهم إعلام كثيف أثار حميتهم أو أثار طموحهم إلى !ثوابه

وصل عدد المتطوعين العرب من "الجهاد ضد الإلحاد"وعلى طول سنوات الجماعات الثلاثة إلى بضع عشرات من الألوف، ضمنهم ما بين خمسة إلى سبعة !آلاف شاب مصري حملتهم مقادير مختلفة إلى جبال أفغانستان

....

....

أدى وجود هذه الجماعات من 1987- 1984وفي وقت من الأوقات ما بين سنة] الشباب المصري وغيرهم من السعوديين والجزائريين والسوريين والسودانيين والفلسطينيين إلى تزايد واضح في عمليات الهجوم وترتيب الكمائن وبث الألغام ضد ، "لثوابه"القوات السوفيتية، لكن جزءا من هذه العمليات لم يكن جهاداً خالصا والشاهد واقعة شديدة الأهمية جرت في ذلك الوقت، فقد حدث أن نجاح بعض العمليات ضد السوفييت دعا عناصر من الجهاد إلى طلبات تقدموا بها إلى قادتهم، وفيها ما يتعلق بمستقبلهم بعد انتهاء مهمتهم في أفغانستان، وعندما تأخر الرد ، حتى حضر إليهم ممثل "توقفوا فيه عن الجهاد"عليهم قاموا بنوع من الإضراب رسمي للمخابرات المركزية الأمريكية، وعقد اجتماعاً مع بعض قادة الفصائل، موافقة على منح الجنسية الأمريكية 2000وأعلن أمامهم باسم حكومته أن هناك لأكفأ العناصر في تأدية مهام الجهاد، وبالفعل فإن مندوب الوكالة "بكل امتيازاتها" Greenفي هذه المناسبة أعلن عن قرب تسليم أول دفعة من البطاقات الخضراء ـ وهي البطاقة التي تمهد للمواطنة الأمريكية الكاملة ـ للأكثر استحقاقاً بين Card ومن المفارقات أن واحداً من الذين حصلوا على البطاقة الخضراء في .المجاهدين مفتي جماعات الجهاد المصرية، "عمر عبد الرحمن"هذه المناسبة كان الشيخ الذي تكررت زياراته لبيشاور وعلا صوته فيها كثيراً يحث ويحرض على الجهاد ـ وذلك الشيخ الضرير الآن سجين نيويورك إلى الأبد بطريقة مجافية لروح ونص

القانون الأمريكي، والغريب أن التهم الموجهة للشيخ لم تعلن بالكامل على الملأ، لكن السلطات الأمريكية تستبقي الشيخ في زنزانته وهو فيما يظهر سجن إلى الأبد .[فقدان البصر وفقدان الحرية :في محبسين

....

**

وفي كل الأحوال وبصرف النظر عما قام به المتطوعون العرب في ساحات الجهاد - فإن زعماء القبائل والعشائر وقادة المليشيات من أمراء الحرب كانوا على ثقة أن ساعة الحقيقة قادمة؛ لأن الاتحاد السوفيتي جرى بالفعل استنزافه في حرب لم تقتنع بها قياداته لا في موسكو حيث القيادة العليا للجيوش السوفيتية، ولا على الأرض .الأفغانية التي دخلت إليها القوات متورطة

كان البلد قاسياً - على عكس بلدان أوربا الشرقية مثل بولندا والمجر ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية - فقد كانت القوات السوفيتية التي تخدم في أوربا الشرقية تعيش أحوال عز ورفاهية نسبية، بينما كانت الظروف في أفغانستان قاسية ما بين طبيعة موحشة، ومجتمع فقير ومغلق - وإغارات تعترض خطوط المواصلات وتحصر القوات السوفيتية في مواقعها، كأن هذه المواقع تحولت أقفاصاً حديدية !لجنودها

وكان اعتماد القيادة السوفيتية كالعادة في مثل تلك الظروف على الطيران، ولكن الطبيعة الجبلية لأفغانستان تجعل الضرب الجوي عقيماً، إذا لم يكن على الأرض .حليف محلى يعتمد عليه

ولم يكن الجيش السوفيتي مطمئناً للاعتماد على حكومة أفغانية؛ لأن النظام - نجح في شرذمة قواته وبعثرتها فرقاً وجماعات !الشيوعي - كما هي العادة .متناحرة داخل البلد

وكانت ساعة الحقيقة تقترب وعندما جاءت فإنها فرضت نفسها، بما اضطر الجيش السوفيتي إلى الإنسحاب من أفغانستان، تاركاً مقاليد السلطة فيها لحكومة شيوعية لن تستطيع "نجيب الله"وكان التقدير السوفيتي أن حكومة ."نجيب الله"يرأسها ، وقصارى المطلوب منها أن تكون فاصلاً زمنياً بين "كابول"البقاء طويلاً في الخروج السوفيتي من أفغانستان وسقوط الحكم الشيوعي في هذا البلد، وبذلك تبتعد وصمة الهزيمة عن الجيش السوفيتي وتلحق بشيوعيين أفغان وصلوا بالانقلاب إلى السلطة، وساعدهم الاتحاد السوفيتي بقوته وسقطوا بعجزهم الذاتي عن الاحتفاظ !بما عندهم

:الورقة الثامنة

أمريكا تحتكر غنائم الجهاد وتتهرب من ضرائبه!
وعبور دباباته فوق 1989في السنوات الثلاثة ما بين انسحاب الجيش السوفيتي ،
عائدة من أفغانستان إلى "نهر خورس"الذي يربط ضفتي "جسر الصداقة"
وحتى سقطت الحكومة "في ذلك الوقت"جمهورية أوزبكستان السوفيتية ،
ولجوء رئيسها "كابول"الشيوعية التي تركها الجيش السوفيتي وراءه في
إلى مقر الأمم المتحدة طالباً حمايته . كانت السياسة الأمريكية قد حققت "1992"
انتصارها كاملاً في الحرب الباردة وكان الاتحاد السوفيتي قد خسر معركة
رغم أوهام ساورته بأن النصر فيها حتمية تاريخية من نصيبه "الأفكار".

....

....

[لكن الحتميات التاريخية ليست صواباً في معظم الأحيان، لأن ثقتها الزائدة في
مقولاتها المُعلَّبة تعزلها عن حركة التغيير ثم تترسخ هذه العزلة حين تتولى
المسئولية عنها بيروقراطيات دولة تزعم أن الزمن معها، وأن الحقيقة ملكها .
باستنادها كما تحسب إلى عقيدة في التطور تزعم لنفسها قوة القانون الطبيعي!]

....

....

في "الجهاد الإسلامي"ثم حدث بعد النصر أن الولايات المتحدة تصرفت إزاء
أفغانستان بسرعة متناهية وإذا هي تهجر الساحة الأفغانية وكأنها لم تكن هناك:

- ولعل الولايات المتحدة تصرفت بفهم الطبيعة العقائد حين يقع استخدامها لأهداف
سياسية . بينما المنطق يعلم أصحابه أن عوامل السياسة متحولة والعقائد ثابتة.
ومعنى ذلك أن هناك تناقضاً قادماً بالضرورة بين المتحول والثابت.
- أو أنها تصرفت عن حس استراتيجي يدرك متى بداية الأشياء ومتى نهايتها. أي
يقدّر أن قيمة الأشياء تنتهي حين تنتهي الحاجة إلى استعمالها :بحساب الواقعية! .

وأيا كان السبب فإن الولايات المتحدة:
سارعت فور سقوط الاتحاد السوفيتي بالانسحاب من إدارة الجهاد ضد الإلحاد في .
أفغانستان . وأوقفت دورها في التمويل، خصوصا أن قضية تجارة المخدارت
تفجرت كواحدة من أظهر القضايا في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة . كما
سحبت كل أثر لوجودها على أرض الصراع، إلى درجة أن مكتب وكالة المخابرات
جمع أوراقه في ليلة واحدة وطلع الفجر وإذا "بيشاور"المركزية الأمريكية في
مقره مبني خال من أي مسئول.
فإن الأهداف كانت تحققت "الإستراتيجية الأمريكية"ومن وجهة نظر:

إطلاق الأفكار قبل إطلاق النار بما في ذلك " "دالاس"و "أيزنهاور"ـ ما رسمه
ـ وقع تنفيذه وبلغ مطلبه بالتزام إدارات جمهورية " "الجهاد ضد الإلحاد"
.وديمقراطية واصلت نفس المطالب الاستراتيجية أربعين سنة
ـ وفضلاً عن تحقيق الهدف فإن الولايات المتحدة أدركت بحس الإمبراطورية أن البقاء في أي موقع بعيد ـ مثل أفغانستان ـ بعد تحقيق الهدف، يحمل مسئوليات قد يطول أمرها مثل إقامة نظام حكم أو يحمل أعباء مثل إعادة التعمير، وكله مما لا .تريد الولايات المتحدة أن تتحمله

- وفي الواقع فإن السياسة الأمريكية قدرت حجم المشكلات التي تنتظر أفغانستان ، واختارت أن تبتعد بمنطق أنه ليس لديها وقت تضيعه مع أمراء "بعد التحرير" الحرب وشيوخ القبائل والعشائر وقادة المليشيات وزراع وتجار الأفيون، خصوصا أن الشعب الأفغاني العادي راح يتطلع بعد انتهاء الحرب إلى عهد من السلام والرخاء يعوضه عما قاسى منه، والسياسة الأمريكية أول من يقدر أنه الأمل .المستحيل

لأهلة وخرج من أفغانستان بجوائز "المعمعان"وكذلك فإن القرار الأمريكي ترك !النصر دون الانتظار حتى تستحق ضرائبه
ثم كان بعد الخروج الأمريكي من أفغانستان أن معظم الحشد الذي جمعته الولايات .المتحدة للجهاد ضد الإلحاد انفضّ سامره وتفرق جمعه
ويستحق الملاحظة هنا أن دولا عربية أرادت أن تخرج من المغامرة الأفغانية " وتقطع كل صلة بها، لكن الحقائق التي نشأت ونمت في أفغانستان راحت تطارد هذه الدول، ذلك أن العناصر التي جرى شحنها وتعبئتها وتحريضها على الجهاد ضد كي تجاهد في "الإلحاد جنحت إلى ظن أنه لم يعد أمامها الآن غير أن تعود ـ وكانت لهذه الظنون نتائج مأساوية بالذات في أوطان مثل الجزائر "أوطانها !"ومصر
**
لكنه بقي على الساحة الأفغانية ـ عدد من أمراء الحرب يتابعون ما انتظروه بعد خروج السوفييت وبعد نجاح الجهاد في هزيمة الإلحاد، وكان وراء هؤلاء الأمراء :بلدان ليس في مقدور أيهما أن ينسحب وينسى

- .أي باكستان :أولهما، بسبب الجوار الجغرافي وتبعاته
- .أي المملكة العربية السعودية :وثانيهما، بسبب عمق وتشعب التزاماته

وهكذا فإن في الفترة التي أعقبت الخروج السوفيتي من أفغانستان والسقوط ـ لم يكن أمام 1994إلى عام 1992، وهي الفترة ما بين "كابول"الشيوعي في

- "باكستان والسعودية"في أفغانستان "العمل الإسلامي"البلدين المربوطين بـ
غير الوقوف وراء خليط من أمراء الجهاد الأفغان ينتظرون الغنائم بالقرب منهم
!بقايا من تنظيمات الجهاد وشراذم شبابه الذين وجدوا أنفسهم بلا غطاء
أصبحت أفغانستان أرضا موحشة لنوع 1994إلى 1992وخلال تلك الفترة من
مخيف من الفوضى الدموية حركته نزعات الكراهية القديمة، وغرائز الأنتقام
المستجدة - والطمع في بقايا الذهب على قاع صناديق الجهاد - وقبل ذلك السباق
.المحموم إلى زراعة وتجارة الأفيون
نائب وزير الدفاع " "عبد الرشيد دوستم"وربما أن شخصية رجل مثل الجنرال
- "طالبان"في كتابه عن "أحمد رشيد"- وكما صوّر ملامحها "الأفغاني اليوم
في تلك "الأوزبكي"ترسم لوحة لمحنة أفغانستان من خلال شخصية رجلها القوى
!اللحظة
أنه وصل إلى لقاء مع الجنرال "طالبان"في كتابه "أحمد رشيد"ويروى
كالاي "، ثم دخل إلى ساحة قلعة 1993في عاصمته مزار شريف عام "دوستم"
، ولفت نظره أن "دوستم"- وهي مقر القيادة - في انتظار دعوته لمقابلة "جانجي
أعدت طعاما للمقاتلين، لكن "عنْزة"حائط أحد الجدران ملطخ بدم تصوّره دم ذبيحة
عميد الصحفيين الباكستاني لاحظ إلى جوار الدماء بقايا عظام، دعته إلى سؤال
:مرافقه، وكان الرد الذي تلقاه
."هرْسا"بالإعدام "دوستم"إن جنديا اتهم بعصيان الأوامر، وحكم عليه الجنرال "
قد سمع عن الإعدام شنقا، وعن الإعدام رميا بالرصاص، "أحمد رشيد"وكان
، لكنه لم يسمع من قبل عن "في أمريكا"وعن الإعدام على الكرسي على الكهربائي
:واستوضح، وجاءه الشرح "هرسا"الإعدام
وضعناه أمام دبابة تمر فوقه جيئة وذهابا وعدة مرات حتى نتأكد أن جسمه أصبح "
."!إذا كان هناك من يأكلها "كفتة"لحما مفروما لا يصلح إلا لعمل
صاحب أقوى جيش "وهو الآن مرة أخرى"في تلك الفترة "دوستم"وكان الجنرال
مزار " "وهي الآن مرة أخرى"في تحالف شمال أفغانستان، وكانت قاعدته
، فقد ظهر "دوستم"عاصمة الشمال الأوزبكي، وحين علا نجم الجنرال "شريف
وظل كذلك "نجيب الله"مواليا للشيوعية وحليفاً للجيش السوفيتي وسنداً لحكومة
طوال الثمانينات، وفجأة انقلب على الأصدقاء والحلفاء وانضم إلى تحالف الشمال،
ثم انشقّ على تحالف الشمال ووصل الانشقاق إلى صدام بالدبابات خسر فيه
وخرج من أفغانستان - لكنه عاد إليها بعد سنوات من الغيبة ليعقد صلحا "دوستم"
من جديد مع تحالف الشمال، وكان بين أطراف هذا الحلف عندما بدأ الضرب

الأمريكي الجوي الكثيف في شهر أكتوبر الأخير، وفي حمي الضرب الكثيف تقدم حوالي "ثم دفع جيوشه "مزار شريف"وسبق الجميع إلى احتلال "دوستم" (قندهار)حتى وصلت طلائعها إلى "طائرة 15دبابة و 300مقاتل ومعهم 40000 وهناك طلبت إليه القيادة الأمريكية أن يلتزم باتفاقه ويتراجع بقواته حتى لا يثير ـ ليس هذا مكانها ولا "قندهار"في "البشتون"و "الأوزبك"حرباً أهلية بين زمانها.

البريطانية "الإندبندنت"بطل مذابح رهيبة قدرت جريدة "دوستم"وكان الجنرال !"في حدود مائة ألف قتيل وبضع مئات ألوف من الجرحى"ضحاياها

وقد عادت "ولسنوات ممتدة كان الجنرال وضابطه كلما سنحت لهم الفرص ـ ـ من أكبر القوى المسيطرة على زراعة وتجارة المخدرات، "الفرص وسنحت لهم ورجاله بالجريمة إلى أكبر ملاك للأراضي والعقارات، "دوستم"وقد تحول الجنرال المناطق "وكانوا هم الخاطفون والمغتصبون للزوجات والبنات والصبيان في حيث جرى "كالاي جانجي"صانع مذبحة قلعة "دوستم"، وأخيراً كان "المحررة قتل مئات الأسرى من جنود طالبان بعد أن حصلوا على عهد أمان عندما اقتربت وخلافا .لبضعة أيام أواخر شهر نوفمبر الماضي "قندهار"من "دوستم"قوات بقتل ستمائة أسير وهم مقيدون بالحبال من أرجلهم "دوستم"لعهد الأمان أمر وكانت القوات " .وأيديهم، وبعضهم بالرصاص، وبعضهم بالسكاكين وبعضهم هرساً الجوية الأمريكية تحمي من الجو وتغطي، وهذه مذبحة سوف تكون يوما من الأيام "!موضع تحقيق؛ بوصفها جريمة حرب بكل المعايير

مجرد نموذج لقادة سياسيين وعسكريين حولتهم القوى "دوستم"ويبقى أن وحروبها ـ خارجية وداخلية ـ تحريرية وجهادية ـ إلى تجار في الأرواح والدماء وكان هؤلاء هم أبطال الكابوس الذي عاشته أفغانستان ما بين .والسلاح والأفيون 1979 وحتى1992.

:الورقة التاسعة

!خروج من التاريخ واستغناء عن الذاكرة :طالبان

كانت الولايات المتحدة تملك أن تبتعد عن الساحة الأفغانية وتترك كابوسها لأهله ـ وكذلك كان في وسع دول أخرى عربية وغير عربية أن تلملم حوائجها وتخرج ـ أو تحاول، لكن باكستان والسعودية كان مكتوباً عليهما البقاء في أفغانستان؛ لأن كلتيهما لها فيها استثمارات وأرصدة سياسية لا تستطيع الاستغناء عنها، وكذلك ديون لا تستطيع بجرّة قلم أن تشطبها من الدفاتر وتنساها.

أهم الاستثمارات المشتركة بين بلدين حاول "المدارس الشرعية"وكان مشروع تقدم "الشخصية الإسلامية"كلاهما لأسبابه ودواعيه أن يتخذ لنفسه نوعا من سياساته الدولية والإقليمية والمحلية وتخدمها.
وفي الظروف المستجدة بعد الخروج السوفيتي من أفغانستان، كان مشروع ملتقى السعودية وباكستان ولكل من البلدين دوافعه "المدارس الشرعية":
ترجع إلى جذور "للمدارس الشرعية"كانت دوافع باكستان في المشروع المشترك تاريخية ودينية معظمها من القرن التاسع عشر مع يقظة مسلمي الهند، وقد توافق أوائل ذلك "الوهابية والمهدية والسنوسية"المشروع مع بروز السلفية الإسلامية القرن، وكلها تدعو المسلمين بأسلوب أو آخر إلى عودة لأصول العقيدة تطهر خصوصاً محمد بن "نفسها من البدع الطارئة، باعتبار أن ذلك في نظر أئمة السلفية وكانت دعوة ابن عبد الوهاب رد فعل طبيعياً على "طريق النهوض "عبد الوهاب تحركات في الخليج العربي أمام شواطئ شبه الجزيرة العربية تومئ إلى سباق إمبراطوري عنيف تشارك فيه بريطانيا وإسبانيا والبرتغال وفرنسا، وتحاول كلها أن "تعزز مواقعها في آسيا".
وعلى هذا السياق ظهرت في شبه القارة الهندية تيارات ودعوات جياشة وجماعات منظمة وفاعلة، والمهم ـ في هذا الحديث ـ أنه مع قيام دولة باكستان، ومع الدور الخاص فيها للجيش الباكستاني ـ نشطت الدعوة إلى إنشاء مدارس شرعية تساعد 60وهم وقتها "في المحافظة على رباط الإسلام بين المسلمين الذين بقوا في الهند ، وبين باكستان دولة الإسلام البازغة في "مليوناً والآن أكثر من ضعف هذا العدد "السند"و "بالبنجاب"وقتها و "البنغال" :غرب الهند وشرقها وفيها أعظم أقاليمه "الأسطورة على مداخل جبال الهملايا"ومقاطعات الشمال الغربي.
وكانت المدارس الشرعية أقرب إلى نوع من الكتاتيب يدخلها الصبيان من سن وهم لا يعرفون " "القرآن"الخامسة حتى سن الخامسة عشرة، وفيها يتعلمون وقد تأثرت برواسب ثقافية مما ترسخ في شبه القارة "، ويدرسون الشريعة "لغته لأنهم يعيشون داخل أو قرب مجتمعات جهل "، ويعبئون بحمية الجهاد "الهندية "وجاهلية تعبد الأصنام وتقدس الحيوانات"!
وفي الواقع فإن أكثر انتشار المدارس الشرعية وأوسع نشاطها جرى في مناطق تكدس اللاجئين بعد تقسيم الهند وعقب موجات الهجرة الإسلامية التي تحركت نحو باكستان دون إعداد وبغير استعداد!
كما " "جند الله"أصبحوا نموذجا من "تلاميذ هذه المدارس"ونتيجة لذلك فإن فهم شباب بلا جذور في أرض، ولديهم تعليم :غريبا كما هو فريد "أطلق عليهم

ديني وشرعي بالتقليد لأن لغة الدين والشرع غائبة، ثم إنهم حشد مقطوع الصلة بالتاريخ، مستغن عن الذاكرة، ورباطهم وولاؤهم هو السمع والطاعة بالبيعة لمعلم لم يخرج طول عمره من قريته أو من معسكر اللاجئين الذي وجد نفسه فيه، إلى جانب أن حياتهم متقشفة خشنة بواقع الفقر وبأساس التربية، وفي الحالتين فكلهم لله وللدعوة والجهاد عندما يرتفع صوت المؤذن يدعو جند الله إلى "منذور" ساحته.

"المدارس الشرعية"وكان دخول المملكة العربية السعودية شريكا في مشروع خطوة لها مقدمات "ألف مدرسة 28الذي ساعد على وصول عددها زيادة على " مهدت لها وأوصلت إليها:

1 أحدثت زلزالاً اجتماعيا في المملكة، "في بداية السبعينات"- إن ثورة أسعار النفط فقد نزل عليها غنى أيقظ لدى أهلها أملا في درجة من التنمية ودرجة من المشاركة في الثروة والسلطة - ولكن ذلك لسبب أو آخر لم يتحقق على النحو الذي تمناه الناس.

2 ومع توزيع لهذه الثروة مشوه، فقد ظهرت أشكال وألوان "زائدة"- وأنه مع ثروة من الاستهلاك والترف أثارت ردة فعل أخلاقية ودينية في بلد يسود فيه الخطاب الأصولي، وهكذا فإن المعارضة ضد هذه الأوضاع - انتقلت إلى عناصر متشددة في فكرها، صارمة في تعبيرها.

3 "الإمام محمد بن عبد الوهاب"- وبما أن الدولة السعودية كانت شركة بين الفقيه "الوهابية"، فإن الخلاف راح يظهر بين "الشيخ سعود الكبير"وبين الأمير المهيمنة على الحكم "السعودية"التطهرية في الدعوة وبين.

4 "1979وسنة 1978طوال سنة "- وعندما هبت رياح الثورة الإسلامية في إيران - فقد حركت مشاعر المواطنين الشيعة في المنطقة الشرقية، وجرت مظاهرات تأييد - لفتت النظر إلى أن الجبهة الداخلية للمملكة مكشوفة "القطيف"لها في.

5 ومعه جماعة من الأنصار، "المتطهرين"- وفي تلك الأجواء قام شاب من غلاة ، ودعواهم أن النظام "1979نوفمبر "باحتلال الحرم الشريف في مكة المكرمة محمد جهيمان "ليس مؤهلا لحماية البيت الحرام، وكان زعيم هذه الجماعة وهو بمكانتها في شرق "عتيبة"ينتمي - كما هو ظاهر من اسمه - إلى قبائل "العتيبي "موطن الوهابيين"الجزيرة العربية.

أن الحكومة السعودية التي "حروب غير مقدسة"ويروى جون كولي في كتابه " فوجئت باحتلال الكعبة - وظلت عاجزة لأيام عن تخليصها، ثم لم تجد في النهاية بداً جاءت دون إعلان واقتحمت الكعبة "كوماندوز فرنسية"من استئجار فرقة

وخلصت ورحلت بهدوء بعد تحصيل أتعابها، لكن تحرير الكعبة بهذه الطريقة ترك
"!في حلوق المؤمنين مرارة شديدة
ـ ومع ذلك كله وفي أعقابه ـ بمنطلق الدفاع أيضا ـ فإن المملكة زادت نشاطها 6
الإسلامي وفتحت خزانتها تمول وتساعد باكستان، في كافة المجالات سياسية
!أمنية وجهادية في نفس الوقت :وعسكرية واقتصادية ـ والأهداف إسلامية
ولم يكن مشروع المدارس مجرد تطوع ـ بل كان كذلك منفعة مباشرة، والسبب أن
هذه المدارس ونشاطها فتح أمام الرياض بأكثر مما حسبت مجالا ومتنفسا لعناصر
إسلامية متشددة أو متطهرة أو مجاهدة ظهرت داخل المملكة، وكان الأسلم للمملكة
تسهيل خروج هذه العناصر إلى بعيد حيث تمارس كل ما تشاء من تشدد وتطهر
.وجهاد
في أواخر "وهكذا فإن الإسلام الذي تعرض لمحاولة توظيف ضد الإلحاد
مرة أخرى لمحاولة التوظيف مع اختلاف "أوائل التسعينات"، تعرض "السبعينات
الظروف، في المرة الأولى خطفه الأمريكان كما تخطف الطائرات، واستعملوه ضد
والآن جاء الدور على .الاتحاد السوفيتي، وقضوا غرضهم فيه ثم تركوه ورحلوا
.وكلتاهما ظهرت لها الآن أغراض مستجدة "باكستان والسعودية"قوى محلية
يحلم ويخطط حتى "الذي تابع ما فعله الجهاد بالسوفييت"ـ الجيش الباكستاني
.يتحول شباب المدارس الشرعية إلى مجاهدين في كشمير ضد الهند
يجدها فرصة مفتوحة "الذي يريد تأمين المملكة من الداخل"ـ والنظام السعودي
لتصدير المجاهدين، يبشرون ويعلمون في المدارس الشرعية ويدرسون ويحرضون
!كما يحلو لهم، شريطة أن يكون جهادهم وثوابهم بعيداً عن المملكة
!بمعنى الدرس وبمعنى الطلب :"طالبان"وكذلك ظهرت على الساحة حركة
جيش من التلاميذ على استعداد للجهاد في سبيل الإسلام، ومعرفتهم بالدين هي ما
تلقوه في المدارس الشرعية التي التحقوا بها في قرى باكستان وفي معسكرات
الموصولة جغرافيا وتاريخيا "قندهار "اللاجئين قرب مدنها، وفي مدارس
."بيشاور"بالمقاطعة الشمالية الغربية لباكستان وعاصمتها
**
وهكذا فإنه عندما تصارع أمراء الجهاد الأفغاني ضد الإلحاد وأوقعوا أفغانستان في
ـ كان الوطن الأفغاني في 1992كابوسها الرهيب بعد الانسحاب السوفيتي عام
التي "طالبان" :حاجة إلى خلاص وكان الخلاص الجاهز المهيأ قرب الساحة هو
ما بين خمسين إلى ستين ألفا غير عشرات " "جند الله"أصبحت جيشا جرارا من
ألوف أخر جاهزون لمطالب حفظ الأمن وحراسة الطرق وعدد من الأعمال

وهو رجل عرف "الملا محمد عمر"تحت قيادة مدرس شرعي سابق هو "الإدارية الجهاد وأخلص فيه وضحى حتىفقد عينا وقدما، ومع الملا عمر جمع أحاط به من وكلهم متشدد متطهر مجاهد بايعه شبابه على السمع والطاعة حتى "رفاقه" الموت.

كان بحكم الحقائق على بلدين كُتب "جند الله"وبالطبع فإن التوجه السياسي وراء عليهما البقاء في أفغانستان بعد أن تفرّق الحشد الكبير الذي تداعى للجهاد ضد باكستان والمملكة العربية السعودية :وهما "على طريقة برجينسكي"الإلحاد.

وهنا فإن كلا من البلدين عهد إلى مسئول فيه أن يتولى باسمه التوجيه السياسي:

-. الجنرال حميد غول رئيس المخابرات العسكرية الباكستانية ممثلا لبلده

-. والأمير تركي بن فيصل رئيس المخابرات السعودية ممثلا لبلده

ولديها مهمتان "طالبان"وتحركت:

- إزالة الشر من أفغانستان تجسده جماعات الجهاد الإسلامي ضد الإلحاد، وقد ضلّت طريقها بعد ما انتهى خيرها وتفاقم شرها.

!- ثم إنقاذ سمعة الجهاد الإسلامي بين شعوب الأرض التي كانت تتابع - مستغربة كيف تحوّل الجهاد في سبيل الله إلى فساد في الأرض؟

الورقة العاشرة:

أمير المؤمنين في أفغانستان!

"طالبان"وخطوة بعد خطوة بدأت قوات طالبان تتقدم في أفغانستان، ولأن أجواء جرى سهلاً، كما أن "قندهار"فإن دخولها وتمركزها في إقليم "بشتونية"كانت انضباطها بعد انحلال جماعات الجهاد السابقة حمل سمعة طالبان التطهرية إلى الأوزبك "، وولايات الشمال "الهازارا"بعيد، ومن ثم انفتحت أمامها ولايات الوسط بحد "ومع أن دخول هذه الولايات جميعا وتوطيد أركان السلطة فيها "والطاجيك لم يكن سهلا - إلا أن المشكلات الحقيقية بدأت على الفور وكلها مما كان "السيف منتظرا إذا استطاع النظر أن يمد رؤيته إلى ما هو أبعد من موقع قدميه:

- ذلك ان المدارس الشرعية لا تؤهل تلاميذها لشأن دنيوي، خصوصا إذا وضعت الظروف بين أيديهم مسئولية شعب ودولة وسلطة.

- ثم إن تلاميذ المدارس الشرعية لا يعرفون وطنا ينتمون إليه، فمعظمهم من معسكرات لاجئين ترسخت هويتهم فيما تلقوه عن شيوخ مدارسهم، وفي غيبة انتماء وهوية فإن فكرة الوطن أصبحت بلا حدود كما أن صورة العالم كانت بلا شكل.

ـ وتلاميذ المدارس الشرعية ذكور لم يختلطوا في حياتهم بالجنس الآخر، فقد عاشوا مملوكة "شبه جارية"بلا أم ولا زوجة ولا أخت ولا صديقة، فإذا ظهرت إمرأة فهي !ثم إن لها في الحياة وظيفة واحدة "محجوبة عن غيره"لسيدها
ـ وأخيراً وبمنطق أن البشر في هذه الدنيا للعبادة في انتظار الثواب في الآخرة، فإن .فكرة صنع مستقبل من نوع ما، لم تكن تضغط على قيادات طالبان
وكذلك راحت شئون الدولة ومسئوليات الحكم وطموحات المستقبل تسيّر نفسها في "أحمد رشيد"ويورد .على نحو لا يتناسب مع العصر وربما مع كل العصور ملحقاً يضم بعض الوثائق بينها الإعلان الأول الذي صدر عن حركة "طالبان"كتابه !"يسر الله عليها بفتح كابول"طالبان عندما
:ونص الإعلان كما يلي
:"1996ديسمبر "إعلان صادر عن رئاسة الأمر بالمعروف ـ كابول
ـ لصيانة النساء من الغواية فلا بد لهن أن يرتدين الحجاب، كما أنه لا يسمح لأي 1 سائق عربة أو سيارة بنقل امرأة ترتدي الحجاب الإيراني؛ لأنه لا يكفي للتغطية الشرعية، وفي حالة المخالفة فإن السائق سوف يحكم عليه بالسجن، كما أنه إذا صادف البوليس الشرعي امرأة تمشي في الطرقات بالبرقع الإيراني وحده، فسوف يقبض عليها، وإذا تواجدت امرأة في طريق دون رجل من أهلها فسوف يتم القبض .عليها
كذلك يحظر .ـ تمنع الموسيقى وقد يحظر إذاعتها من أي وسيلة إعلامية عامة2 على المحلات والفنادق والسيارات والعربات أن تستعمل أجهزة تسجيل الغناء وإعادتها لأن ذلك ممنوع، وهذا الأمر لا بد أن يطبق خلال خمسة أيام، وإذا وجدت .أي أدوات موسيقية في محل، فإن صاحب المحل سوف يسجن والمحل سوف يغلق ويفتح المحل فقط في حالة تقدم خمسة أفراد لضمان أن صاحب المحل لن يعود إلى ارتكاب المخالفة مرة أخرى، وإذا وجدت شرائط موسيقية في سيارة فإن السيارة سوف تصادر والسائق سوف يسجن ويمكن الإفراج عن الاثنين في حالة تقدم .خمسة أفراد بضمانات بعدم تكرار المخالفة
ـ يمنع حلق اللحى أو قصها وفي ظرف شهر ونصف شهر من الآن، فإن أي رجل 3 يضبط حالقاً ذقنه أو قاصا شعرها، سوف يقبض عليه ويسجن حتى تكبر لحيته إلى .حدها الشرعي
ـ يمنع منعا الاحتفاظ بأبراج الحمام واللعب بالطيور وخلال عشرة أيام، فإن هذه 4 العادة أو الهواية لا بد أن توقف وبعد عشرة أيام سوف يجري تفتيش يضمن تنفيذ .هذا البند، وإذا ظهرت مخالفة له فإن المسئول يقتل

ـ يمنع منعا باتاً اللعب بالطائرات الورقية وكل محلات بيع مثل هذه الطائرات 5
الورقية يجب إغلاقها.
ـ لمنع الشرك بالله فإن كل صور أو رسومات في حجرات البيوت أو في المحلات 6
أو في الفنادق أو في أي مكان آخر، لا بد أن ترفع، وسوف يكلف المسئولون
بالتفتيش للتأكد من تنفيذ ذلك الأمر في أي مكان.
ـ يمنع القمار منعا باتا، ويطلب من كل من يعرف بمكان يجرى فيه اللعب أو بإفراد 7
يشاركون فيه، أن يبلغ عن ذلك وسوف يجري سجن كل اللاعبين والمتواطئين على
السكوت وإغلاق المكان.
ـ يمنع الإدمان والمدمن يوضع في السجن ويحقق معه حتى يعترف بالمكان الذي 8
حصل منه على المادة التي يستعملها لكي يتسنى عقاب صاحبه وسجنه.
ـ لمنع تصفيف الشعر على الطريقة الإنجليزية أو الأمريكية فإن من يضبط متلبساً 9
بتصفيف شعره على هذا النحو سوف يتولى البوليس الشرعي حلق شعره وتغريمه
أجر الحلاق!
ـ لمنع الفوائد على القروض وعلى تغيير العملة فإن هناك لوائح سوف تصدر 10
للتطبيق في هذا المجال وسوف يسجن كل مخالف لها لمدد طويلة.
ـ يمنع غسيل الملابس في المجاري العامة للمياه في المدينة بواسطة الشابات 11
من النساء، وكل شابة تضبط متلبسة بهذا الفعل سوف يقبض عليها وتعاد إلى بيتها
ويعاقب زوجها بالحبس.
ـ تمنع الموسيقى والرقص في حفلات الزواج، وفي حالة المخالفة ذلك، فإن 12
رئيس العائلة سوف يقبض عليه ويعاقب.
ـ يمنع منعا باتا استعمال الطبول، وإذا ضبط أحد متلبسا بمخالفة ذلك، فسوف 13
يوقع عليه العقاب المناسب.
ـ يمنع منعا باتا أخذ مقاييس جسد أي امرأة بغرض تفصيل ملابس لها حتى ولو 14
كان القائم بالعمل امرأة أخرى.
ـ يمنع ممارسة أعمال السحر بقصد الإضرار بالآخرين وكتب السحر جميعا 15
سوف تصادر وتحرق، كما أن كل من يشيع عنه استعمال ألعاب الحواة سوف يوضع
في السجن.
ـ توقف كل وسائل المواصلات وقت أداء الصلاة وأي شخص يوجد في شارع أو 16
في محل في هذا الوقت يقبض عليه فورا.

الورقة الحادية عشرة:

!البداية والنهاية :طالبان

في "طالبان"بهذا الإعلان للحقوق والواجبات ـ وغيره على مثاله ـ بدأ عهد أفغانستان ـ وسط عالم يعبر نهاية القرن العشرين إلى فاتحة القرن الحادي تنشيء دولتها بعد أن أعلنت مواثيقها "دولة المتطهرين"والعشرين، ثم مضت وأقامت سلطتها وتمكنت من إزاحة بقايا مليشيات المجاهدين إلى ركن في شمال أفغانستان باندفاع لا تفسير له غير أن تلك المليشيات تآكلت وتحللت من الداخل !بالكامل

إعلان أفغانستان إمارة إسلامية ـ ومبايعة :وكانت عملية تنظيم دولة طالبان بسيطة أمير للمؤمنين له وحده السمع والطاعة ـ وإنشاء مجلس "الملا محمد عمر" الشورى إلى جانب أمير المؤمنين له حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وتولى بعض أعضاء مجلس الشورى على رأس وزارات الدولة، أو ما بقي منها خصوصا وزارة للخارجية لأنه كان لا بد منها حلقة اتصال بين عالم طالبان وعالم " ."بقية الدول

:على أن الصلات مع العالم كانت تحتاج إلى نصح، وذلك دور تفردت تقريبا به المخابرات العسكرية الباكستانية، أو انفرد به بعض ضباطها بصفة شخصية؛ لأن لمرحلة تالية "سلاحا مأمولا فيه"ارتباطهم بالحركة كان وثيقا، ولأن طالبان كانت .عندما يحين وقت تنشيط العمل العسكري ضد الهند في كشمير

ولم يكن للمملكة العربية السعودية اختصاص واسع في تلك الأحوال؛ لأن دورها انحسر في تقديم المساعدات المالية، خصوصا بعد أن أثبتت أفغانستان فائدتها مرة خطرة على الأرض السعودية، في حين أن "نفايات سياسية" :أخرى مجالا لـ أراضي أفغانستان وأحوالها ومناخها ـ مجال واسع أمامها يستوعب الجهاد، وما !يصاحبه من شحن ديني ـ جهادي ـ قد يفلت عياره

**

- ومنذ بداية زمانها تلقت طالبان من أصدقائها في المخابرات العسكرية الباكستانية والشاهد أنه .ما طمأنها إلى مواقف إسلام آباد حيالها مهما تغيرت هناك الحكومات عندما حققت طالبان سيطرتها على أفغانستان كانت رئاسة الحكومة في إسلام آباد ، وفجأة وقع انقلاب دستوري في باكستان، وضع "بناظير بوتو"في عهدة السيدة ، وفجأة ـ مرة أخرى ـ وقع انقلاب "نواز شريف"رئاسة الحكومة في عهدة السيد برفيز "عسكري، لكن الجيش احتفظ لنفسه برئاسة الدولة وأسندها للجنرال وبرغم هذه الانقلابات، فإن طالبان بصلتها بالمخابرات العسكرية ."مشرف الباكستانية، وبدور المخابرات العسكرية الباكستانية في إدارة الصراع مع الهند ـ

تحظى بدعم متواصل بسبب علاقتها مع "حالة خاصة"ضمنت لنفسها وضعا جعلها مؤسسة الأمن القومي في باكستان.

....

ولعل المخابرات العسكرية الباكستانية ساعدت دون قصد على سقوط دولة]
بن "بتسليم "الملا عمر"، فعندما وجهت الولايات المتحدة إنذارها إلى "طالبان"
بوفد عسكري "مزار شريف"إلى "برفيز مشرف"وبعث الجنرال ...وإلا "لادن
ومجلس شوراه بجدية التهديد الأمريكي - فقد "الملا عمر"باكستاني يتولى إقناع
على الرفض بدلا "الملا عمر"تبين فيما بعد أن الوفد العسكري الباكستاني حرّض
من إقناعه بالقبول، وكان رئيس المخابرات العسكرية الباكستانية الذي رأس الوفد
يرى أن التهديد الأمريكي ليس جديا، وأن قبوله هو التهديد لطالبان؛ لأنه يفقدها
وربما أن عناصر في المخابرات العسكرية الباكستانية !احترامها بين المسلمين
وأصدقاءها من المجاهدين القدامى والجدد كرهوا إلى حد الموت طرفا دوليا
استعملهم ثم تركهم في العراء عندما لم تعد له فيهم مصلحة، وهو الآن يوشك أن
[!أعدوه لإزعاج الهند في كشمير ينزع منهم سلاحاً

....

وكانت المملكة العربية السعودية تواصل مساعداتها المالية، لكن العبء راح يزيد، وأسعار البترول تتراجع والمملكة تتأخر مدفوعاتها، وجاءت نجدة المقادير لدولة المتطهرين، حين أقبلت بعض شركات البترول الأمريكية المعنية بموارد وسط آسيا "وهي المنطقة المرشحة لأن تكون إضافة مهمة توازن نفط الخليج العربي"الغنية - تبحث مع حكومة طالبان مشروع خطوط أنابيب ينقل النفط وسط الجبال والوديان التي تسيطر عليها دولة المتطهرين.

لكن العقود مع شركات البترول الأمريكية طالت، ومدفوعات السعودية تعثرت، وكان أن تبحث لنفسها عن مصادر إضافية للتمويل لا تجعلها رهينة "طالبان"على لطرف، خصوصا أن أصدقاء لها من المتطهرين والوهابيين لم يكفوا عن نصح إمارة المؤمنين الجديدة بألا تترك نفسها رهينة لعطايا المملكة وحدها أو شركات النفط الأمريكية معها.

تبحث لنفسها عن موارد جديدة، تكون بديلاً لما يغنيها إذا "طالبان"وكذلك مضت دعا الأمر، خصوصا أنها كانت - أيضاً - في حاجة إلى فتح مزيد من المدارس سنداً ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك نوع من الاتفاق "جند الله"ومدداً لا ينقطع من الضروري لإصلاح الطرق وتجديد وسائط النقل، وإنشاء شبكة اتصال تربط مواقع لأن دولة المتطهرين تحتاج صلابة في رقابتها "السيطرة في الإمارة مع بعضها

."على الأمور توازي الصلابة في صدق الإيمان
ما توصل إليه "طالبان"وأمام الاحتياج إلى المال يضغط كل يوم، فقد اكتشفت
."الأفيون"غيرها من حكام أفغانستان قبلها أي
وهنا أصدر أمير المؤمنين فتوى من أغرب ما صدر عن المجتهدين في التاريخ
:مؤداها أن
زراعة الأفيون وتجارته مباحة شرعاً، وأما زراعة الحشيش وتجارته فهي "
والداعي أن الأفيون تقع زراعته وصناعته بهدف التصدير ولذلك ."محرمة شرعا
ينزل ضرره على غير المؤمنين، وأما الحشيش فإنه يستهلك محلياً ولذلك ينزل
!ضرره على المؤمنين
**
:وعلى هذه الأرضية استجد عاملان
وجد في إمارة أفغانستان الإسلامية قاعدة "أسامة بن لادن"إن :ـ العامل الأول
من الأصل شابا من أسرة سعودية ((أسامة بن لادن))لدور تصوره لنفسه وكان
عملت في مجال المقاولات وحققت غنى فادحا حين أوكل إليها مشروع توسعة
وهو مشروع يستحق "الحرم الشريف في مكة بتكلفة قدرها خمسون بليون دولار
تقدير كل مسلم ولكن تمويله وملابسات هذا التمويل أثارت وما زالت تثير جدلاً
."واسعا في السعودية
قد اتصل بعمليات المجاهدين الأولى في أفغانستان حين "أسامة بن لادن"وكان
ـ واجهة من "كابول"وقع استخدام مكتب المقاولات الذي كان مسئولا عنه في
واجهات تمويل النشاط الجهادي، وتفويت الأموال اللازمة لهذا النشاط من مصادرها
.الأصلية إلى طلابها في الميدان
كان في تلك الأوقات صديقاً مقرباً من الأمير "إسامة بن لادن"وفيما يظهر فإن
رئيس المخابرات السعودية، وكان حلقة وصل بينه وبين "تركي بن فيصل"
!جماعات جهادية مختلفة في أفغانستان وخارجها
فاندمج فيها، ولم يعد مجرد واجهة "أسامة بن لادن"أخذت "أجواء الجهاد"لكن
.أو وسيط أو ممول، وإنما تحول بدوره إلى فاعل قائم بذاته وصاحب أمر ونهي
!وتلك ليست أول مرة في التاريخ يصبح فيها الوكيل أصيلا أو التابع مستقلا
وفي النصف الأول من تسعينات القرن العشرين، وكانت مرحلة الجهاد الأولى قد
على بلدان عديدة من "أسامة بن لادن"انتهت، ومرحلة طالبان لم تبدأ بعد ـ طاف
الصومال إلى السودان إلى اليمن، وظهر له ظل على مواقع عمليات دموية تلاحقت
.في القرن الأفريقي أو بالقرب منه ـ على وجه التحديد

، وتبدي له ـ وهو معقول ـ أن إمارة "أسامة بن لادن"وكذلك بدأت مطاردة
.المؤمنين في أفغانستان أنسب ملاذ يحتمي به، وكانت الإمارة من جانبها مستعدة
خلال سنوات إقامته في ظل أمير المؤمنين أصبح "إسامة بن لادن"وبالفعل فإن
مرافقاً للملا محمد عمر ومفتيا وكذلك ممولاً للإمارة، قدم لها ما يزيد على مائة
وإن كان رد الجميل في النهاية قد "وكانت الإمارة تشعر بجميله، !مليون دولار
!"كلف طالبان دولتها
بن "الذي استجد فهو أن إمارة أفغانستان الإسلامية، ووجود :ـ وأما العامل الثاني
فيها، أصبحت عنصر جذب ينادي جماعات إسلامية أصولية مطاردة في "لادن
كي تقصد إلى دولة المتطهرين .أوطانها ـ ومنها جماعة الجهاد المصرية
الإسلاميين، والظن أنهم هناك في أمان ولو بعزلة المكان وصعوبة تضاريسه
وأجوائه الجهادية المواتية، وأنهم من هناك يقدرون ويملكون فرصة إعداد وتنفيذ
!"مطلوبة"مشروعات وخطط جهادية

....

ومن الإنصاف للحقيقة القول هنا أنه لم يكن صعبا في هذه الظروف سواء على]
"الإلحاد"التقدم في نقلة واحدة من الجهاد ضد "الملا عمر"ولا على "بن لادن"
ـ أو ما يتصورونه كذلك ـ وكان ذلك لعبا بالنار، لأنها "الكفر"إلى الجهاد ضد
أصبحت حربا على العالم كله بما فيه الإسلام وغالبية أهله لا يعترفون بتفسير
[.لروحه وشريعته ونصوصه "طالبان"

....

**

ومع بداية القرن الحادي والعشرين أصبحت إمارة أفغانستان الإسلامية كتلة حرجة
، وكانت هذه الكتلة الحرجة تتمدد "شبه نووية"بذلك الخليط الذي تحول إلى عجينة
داخل إمارة المؤمنين الطالبانية وتهدر فيها ـ ثم إن بلوغ درجة الانفجار زاد قرباً
!وما يتحرك حوله ـ وجماعة الجهاد المصرية وما وراءها "بن لادن"بوجود
.وكانت الولايات المتحدة الأمريكية ترصد وتتابع وترتب
كانت قد استغلت الأفكار والعقائد والأديان، وأولها الإسلام في عصر مضى لمحاربة
والآن فذلك ميدان فات زمانه، لأن .الاتحاد السوفيتي، بدعوى الجهاد ضد الإلحاد
.وإنما هو زمان الأسواق وليس زمان العقائد .الصراع الجديد لم يعد حربا بالأفكار

....

....

أو أن "القاعدة" "بن لادن"ولست متأكدا ـ حتى الآن ـ أن طالبان أو تنظيم]

11جماعة الجهاد المصرية كانوا وراء صواعق النار فوق نيويورك وواشنطن يوم سبتمبر الماضي، ولعلهم كانوا هناك مع آخرين لم يظهر أثرهم بعد، لكن هؤلاء أو وضعتهم الظروف والقوى وضمنها الولايات "الإسلاميين وضعوا أنفسهم موضع الشبهة ورأس قائمة المطلوبين ـ وكذلك كان "المتحدة الأمريكية بنفسها.

....

....

لماذا تظهر فيما تكتب شكوك تستبعد :وقد سألني سفير أوربي مرموق في القاهرة] ؟ ثم 2001سبتمبر 11أن تقوم جماعات إسلامية وعربية ـ بتخطيط وتنفيذ عمليات أليس ذلك ـ في جزء منه ـ نزعا للثقة في كفاءة أطراف إسلامية :استطرد السائل وعربية، وقدرتها في القيام بعمل على هذا المستوى المدهش من ناحية التخطيط والإدارة والتكنولوجيا، بصرف النظر عن مقاصد الفعل ونتائجه المأساوية؟
إنني لا أنزع قدرة شباب مسلم وعربي على أعمال مدهشة تخطيطا :وكان ردى وإدارة وتكنولوجيا ـ لكني كنت وما زلت أتكلم بالتحديد عن تلك العناصر التي نسبت وما زال تقديري ـ وقد .إليها المسئولية فعلا عما جرى في نيويورك وواشنطن عرضته على الناس نقلاً عن مصادر في بروكسل ـ وزاد عليه فيما بعد تقرير صادر عن مركز دراسات إستراتيجية معتمد في موسكو أشارت أليه صحف بريطانية يمكن "كبرى، وملخصه أن عناصر بلقانية كانت ضالعة في تلك العمليات المدهشة أيضاً مراجعة تصريح لنائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني قال فيه بعد ساعات من "إن ما جرى يحمل توقيع جهاز دولة :صواعق النار فوق نيويورك وواشنطن إن مستوى العناصر العربية والإسلامية التي نسبت إليها المسئولية :أضفت أيضا سبتمبر كانت لها من قبل سوابق فعل في مواقع أكثر سهولة من 11عن حوادث وهنا في مصر فقد رأينا امتحانا لمستواها في مجزرة السياح .نيويورك وواشنطن في الأقصر قبل سنوات قليلة ـ وإذا كان ذلك هو المستوى، ثم وضعنا معه أساليب الإدارة السياسية والعسكرية في الدفاع عن دولة طالبان في أفغانستان ذاتها ـ إذن فنحن أمام تأكيد جديدة يؤكد مرة أخرى أن مجزرة السياح في الأقصر هي المستوى.

....

:ولسوء الحظ فإن الإسلام أسيء إليه مرة ثانية، كما أسيء إليه مرة أولى]
○ .وكانت المرة الأولى باستدعائه للجهاد بواسطة المخابرات المركزية الأمريكية
○ ضرباً بلا هوادة، حتى "جند الله"وكانت المرة الثانية بالطيران الأمريكي يضرب بدا وكأنه عقاب للمسلمين جميعاً حتى أولئك الذين لم يشاركوا في الجهاد الإسلامي

!"على طريقة برجينسكي"
وكان الموضوع من أوله إلى آخره كارثة أصابت العرب في أنفسهم وقضاياهم ومستقبلهم، ثم إن الشظايا طالت أطرافا عربية وإسلامية بادرت وتطوعت للخدمة، وسمحت بأن يكون الجهاد الإسلامي مركبة مجانية للسيطرة الأمريكية، ثم تصورت خطا أن ما تطوعت به يوفر لها حصانات وحقوقا، وذلك نسيان ـ لا يستحق الغفران [!ـ لطبائع القوى أو طبائع الإمبراطوريات

....

هو الذي لخص تجربته في الخطاب الأخير من "داويت أيزنهاور"وكان الرئيس إن السياسات الطيبة ليست ضماناً أكيداً للنجاح ولكن "سس :رئاسته قائلاً ."السياسات السيئة ضمان محقق للفشل
!وذلك صحيح
في نفس هذا الخطاب الأخير استشهد "أيزنهاور"على أنه مما يستحق التأمل أن :أيضاً بحكمة إغريقية بليغة تقول
إن الآلهة لا تعاقب البشر حين تغضب عليهم وإنما هي تسلط عليهم أنفسهم "
!"وكفى
!!وذلك ما جرى